ذكريات

عند الثمانين

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾

الأستاذ الدكتور
أحمد أحمد غلوش
عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق
جامعة الأزهر

ذكريات
عند الثمانين

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع

٢٦٨٣٠ / ٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى أله وصحبه، وأتباعه ومن ولاه إلى يوم الدين .

أما بعد ؛؛؛؛

فإني في يومي هذا يوم الاثنين العاشر من شهر أكتوبر سنة ٢٠١٦م أبلغ ثمانين عاما ميلادية، وعندها وجدت نفسي أقف متأملا فيما مضى من عمري، ومتصورا حاضري الذي أعيشه، ومؤملا في مستقبلي الذي قدره الله لي، وأسأله سبحانه أن يرحمني، ويغفر لي، فهو الغفور الرحيم، وأنا العبد الضعيف، الذليل، المحتاج ....

في هذا الوقت أرى نفسي على قمة الجبل، وتحته السفح، وفوقه السحاب، وكل أملي رضى الله ﷻ ورضوانه، وعونه فيما بقى لي في الدنيا، ودعائي لله ﷻ أن يذكرني بفضله عليَّ عند صعودي من القاع للقمة، حتى لا أنسى فالفضل له وحده سبحانه ... ورجائي أن يجعل هذه القمة سببا لاستمرار التواصل معه، ونيل عطائه ونعمه، وأن ينقلني من قمة الدنيا التي قدرها لي إلى قمة السعادة عنده في جنات النعيم.

إني انظر إلى القمم العديدة التي سبقتني إلى الله بالصلاح والتقى واتخذها أسوتي وقدوتي، وأتمنى التذكر الدائم لمن في القاع أو من على السفح لأتبين فضل الله أكثر وأكثر .

في هذا الوقت أتذكر أحداث الماضي معي، ومع أقراني الذين زاملتهم

في اللعب، والكتاَّب، والذهاب إلى المسجد يوم أن كنت طفلا أجوب حواري القرية، وألعب مع الصغار في خلواتها، وطرقاتها، وأرى هذه المواقف بصورتها يوم حدثت، تقفز أمامي وكأنها ما زالت موجودة، .... أرى الشوارع الواسعة، والحارات الضيقة، والأزقة المغلقة، وطريقة اللعب، وحب السعي والجري فيها، ... وأرى كيفية استغلال طرق القرية، وفراغاتها بأكوام السباخ، وفضلات الماشية، ...

عشت هذه الذكريات، وتجولت فيها بعقلي مارا بطفولتي، ويفاعتي، وشبابي، وفترات ضعفي وقوتي، وتذكرت أحلامي العاجلة يومها، حيث رجوت ثوبا جديدا ، أو مصاحبة أبي للذهاب لأرض الحوشة ، .... كما تذكرت أحلامي البعيدة يوم تصورت نفسي مدرسا أعلم، أو واعظا أخطب، أو شابا يركب فرسا، ويحمل عروسه بيده اليمنى بلباسها الأبيض، أو غنيا يملك أرضا وضيعة، وعنده عدد من الغنم والبقر، ...

تذكرت كل هذا، وتأملته، وأحببت أن أكتب ما أذكره عنه، تصويرا للحدث، وشكرا لله ﷻ، واستفادة بعبره ودروسه، وتقوية للحاضر الموجود، وأملا في مستقبل يصفو فيه القلب، ويخلص معه السعي والعمل، وأحقق من ذلة نفسي العبودية القانتة لله رب العالمين، ولا أغتر بشيء، أو يأخذني الزهو ويبعدني عن ربي العظيم .

إني أكتب الحقيقة التي أذكرها كما عشتها صغيرا في بلدي، ليعلم الجيل الحديث ما كانت عليه قريتهم، ويقارنوه بما هم فيه اليوم ليشكروا الله على ما أعطاهم، وما قدره لهم، وما قضى به لأبناء القرية كلها .

وليعذرني من يقرأ هذه الذكريات إذا رأى أن نسيانها كان أجمل، وتجاوزها أكرم وأولى، فليس لي مقصد إلا بيان فضل الله تعالى، وإظهار شيء من التاريخ ليكون عبرة لأولى الألباب، ... وليكتشف أبنائي وأحفادي ما كنت فيه ، وما عملت معهم، عسى أن يأخذهم إلى الصواب ، ويبعدهم عن الشطط والغلو الذي توسوس به الشياطين.

وأيضا فإن التزامي بالصدق في كل ما أذكره يحتم علي أن أروي ما حدث على وجهه سواء كان حسنا أو سيئا .

كما أني التزم بأمر هام، وهو عدم الخوض في أمر له مساس بغيري حتى لا أسيء به لنفسي وغيري ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ ﴾ (١)

إنها ذكريات لا مذكرات أقف معها على أهم أحداث حياتي في مراحل عمري، وأتأملها، وأتصور من خلالها واقع القرية والناس في هذا الزمن المديد

إنها ذكريات لا مذكرات، لأنها لا تلم بكل المواقف، وما أورده ليس متتابعا، وما أرويه هو ما أتذكره بعقلي، فلم أدونه، ولم أسجله قبل ذلك.

إني سأكتب ما سأتذكره، وسأكتبه بصورته التي عشتها، مراعيا الصدق والدقة بقدر طاقتي، وسأترك أحداثا لعدم إحاطتي بها إحاطة كلية، أو عدم معرفتي لسببها، أو لترك ما يثار حولها، وسأشير لبعض الأحداث في إجمال منعا للخطأ فيها، وتجنبا لظنون قد تترتب عليها .

---

(١) سورة هود الآية : ٨٨ .

وسيجد القارئ أحداث اليوم في القرية مختلفة عن أحداث الماضي في صورتها، وأشخاصها، والغاية منها، ... ولهذا أرجو من العقلاء أن يقارنوا ، ويعودوا بأذهانهم إلى الوراء من باب العلم المجرد، واكتشاف التطور الذي حدث، ومعرفة العناء الذي عاشه الآباء والأجداد تمهيدا لراحتهم، ويشكروا ربهم على ما قدر وقضى .

وأحد ما آمله من هذه الذكريات تصوير الماضي كما كان، وبخاصة تلك الأحداث التي كان لها تأثير في الناس .

إن الماضي قد مضى وانتهى من حياتنا، ولم يبق منه إلا الذكريات التي نقص حكايتها، ونروي أحداثها، لإظهار مناط الشكر، وإبراز فضل الله تعالى على الناس، ونحاول الاستفادة منها في كل الحالات .

نسأل الله تعالى أن يستر عيوبنا، ويغفر ذنوبنا، ويقبل توبتنا، لنعيش الحاضر كما نتمنى عبيدا لله حنفاء قانتين، ويأتينا المستقبل الذي قدره الله لنا صفحة بيضاء، نقية خالية من شوائب الماضي وعيوب الحاضر

وأسأل الله ﷻ أن يصرف عني شياطين الإنس والجن، وينجيني من الذنوب والمعاصي، لألقاه سعيدا بجنته، فرحا برحمته، مخلدا في دار النعيم بإذنه وكرمه .

إنه الأمل والرجاء في الله تعالى ، والله خير مأمول وخير مرتجى .

وأملي من هذه المذكرات أن أبقى في أذهان من يحبني ليدعو لي، ولسائر الناس دروسا وعبرا، ليستفيد بها العقلاء ، ويعلم منها شباب اليوم حقائق موطنهم في هذا الزمن البعيد .

وسوف أحاول تحليل المواقف التي سأذكرها لإظهار ما أتمناه من روايتها، وبخاصة تلك الفضائل الربانية التي ظلت معي طوال عمري غريبة عجيبة، وكانت تخرجني من الضرر إلى الإصلاح، وتبعدني عن الطريق الذي تمنيته، وتضعني في طريق لم أكن أرغبه ليحقق الله فيّ مراده الكريم، ويكرمني بكل خير أنا فيه، إني أذكر هذه الأحداث وأحللها بكل تجرد وموضوعية، وآمل أن يصدقها من يقرآها أو يعلم بها، وأعاهد القارئ أن أكون صادقا فيما أذكره، ليكون الحكم عن تصور صادق.

إن التصاقي بالقرية التي ولدت فيها، وحبي لأبنائها، وسعادتي بتقدمهم ورفعتهم هو دافعي لكتابة هذه الذكريات، لأقول بلسان الحال : أنا لكم ومعكم، فلنكن إخوة متعاونين في نهضة القرية، وصحبة عاملين في المسير والمصير .

إن واقع قرية " منية مسير" قد تغير كثيرا، وصار مختلفا عن الماضي بصورة كبيرة، فقد نشأت بها مؤسسات عدة، وكثرت فيها معاهد التعليم بكافة مراحله للبنين والبنات، وفيها المئات والآلاف من طلاب العلم، ويكفي أن من أبنائها اليوم أكثر من سبعين عالما حصلوا على درجة الدكتوراه في مختلف الفنون، واشتغل أبناء القرية بالتجارة، وملكوا الأراضي الزراعية، وسافروا إلى الخارج، ومكنهم الله تعالى من الترقي الفكري، والكسب المادي، والانتشار العلمي، فشغلوا المناصب العالية في الشرطة، والجيش، والقضاء، والجامعات، ومختلف المؤسسات، ... وصارت القرية مدينة حديثة، وتوسعت مساحتها توسعا كبيرا، ....

وإنـي اعتبـر هـذه الـذكريات صـورة حقيقيـة للماضـي أقدمها للجيل الحـديث، لـيعلم الأبنـاء والشـباب مـا قدمـه أجـدادهم وآبـاؤهم فـي هـذا الماضـي، فقد وضـعوا لهـم أسـس مـا هـم فيـه اليـوم، ويسـروا لهـم أمـر المعاش والحياة، ورحلوا إلى ربهم بعدما أدوا رسالتهم على قدر عطاء الله لهم، ففي هذه المذكرات ذكرى، وإن الذكرى تنفع المؤمنين .

إن الإنسان حين يتذكر ماضيه تمر أمامه رحلته الطويلة بخيرها وشرها، ويتأمل في قدر الله معه، ويقف على مكارم الله تعالى، وتوفيقه، ويرى أن الفضل هو بقدر الله ومعونته في مواقف واضحة تأخذه إلى صدق الإيمان ، ومعرفة الله تعالى .

وهنا أتقدم لكل من عاشرني والتقى بي راجيا منه أن يأخذ حقه مني إن كان له حق، وإن كان قليلا، وليستقد مني، فمن شتمته فليشتمني، ومن أخذت ماله، أو قصرت في إعطائه ماله فليأخذ من مالي، ومن اعتديت عليه بأي صورة فليعتد علي كما يريد، وأنا سعيد راض

إن رغبتي في الجنان كبيرة، ورجائي أن يغفر الله لي، ويعفو عني، ويضعني في مقعد الصدق عنده، فهو حسبي ونعم الوكيل.

أ.د أحمد أحمد غلوش

من أبناء منية مسير

القاهرة الجديدة النرجس ٤ في ٩ محرم ١٤٣٨ هـ

١٠ /١٠ / ٢٠١٦م

-١-
القرية

يحتفظ العقل بذكرياته الأولى، وبخاصة التي عاشها في طفولته، ووعيه الأول، وقد أحب الأماكن التي عاش فيها، واتخذها مسرحا للعبه، وتسليته، وما زلت أذكر أيامي الأولى في "**منية مسير**" التي ولدت في أحد بيوتها، ودرجت في حواريها، واستنشقت هواءها، ولعبت مع أقراني في جنباتها، وسوف تبقى في عقلي رمزا عاليا يجمع إعجابي ، وحبي، وأملي، ... وأحمد الله تعالى على ما صارت إليه قريتي العزيزة، فقد تبدل حالها، واتسع العمران فيها، وانتشر بنوها في مصر وفي العالم رجالا يعملون في كل مجال، وعلماء ينشرون العلم والمعرفة في المواطن التي يوجدون فيها.

كانت قرية "منية مسير" صغيرة المساحة، قليلة العدد، وكانت مبانيها تشغل جزءا من حوض "**داير الناحية**" الذي خصص للبناء، وهي اليوم تشغله كله، وتشغل أحواضا أخرى معه.

تتبع "**منية مسير**" مركز "كفر الشيخ" الذي كان تابعا لمحافظة الغربية حتى عام ١٩٥٠م ، إذ صار بعد هذا التاريخ تابعا لمحافظة كفر الشيخ التي أنشئت في هذا العام، وكان اسمها قبل الثورة " محافظة أحمد فؤاد الثاني" ولي العهد يومذاك، ولما قامت ثورة ١٩٥٢م تغير اسمها إلى "محافظة كفر الشيخ " .

وقد لاحظت وجود عدد من القرى المتداخلة تنسب إلى " مسير " ، وبحثت في الأمر، ولم أعرف له سببا معينا، فلجأت إلى التوقعات.

تقول التوقعات أن "مسير" هذا هو أسم أو لقب أحد الخواجات الأوربيين الذي تولى أمر المنطقة، فسميت " مسير" باسمه، لأنه كان يقيم فيها، ويملك معها بلدات "**محلة مسير**"، و"**منية مسير**"، و"**نجع مسير**".

ففي المحلة كانت تجارته وأعماله .

وفي المنية كان ميناء بواخره، ومخازن زراعته .

وفي النجع كانت جولاته ورحلاته، ... لقد سمعت هذا ولم أقف على دليل ثابت يؤكده.

وكانت " **نجع مسير** " متداخلة مع " **منية مسير**" بيوتا وسكنا، ولها شيخ يتولى شئونها الإدارية هو الشيخ " **محمد علام**"، وكانت البلدتان معا متجاورتين ملتصقتين بـ" مسير " ، وكانت "محلة مسير" تبعد عن "مسير" في الجنوب الشرقي بعشرين كيلو متر تقريبا، وكانت نقطة الشرطة التي تتبعها القرى الأربع في محلة مسير، وكان لـ" مسير" عمدة، ولـ" منية مسير، ونجع مسير" معا عمدة .

والمهم أن أراضي هذه البلدات الأربع كانت مملوكة لوزارة الزراعة مع أراضي بلدات أخرى مجاورة ، وقد أسست وزارة الزراعة تفتيشا لإدارة الأراضي التي تملكها في مركز " كفر الشيخ" في "سخا" ، وأسست في كل بلدة مصلحة إدارية تشرف على الزراعة، وتجمع المحاصيل، وكان في "مسير" مصلحتان لسعة أراضيها، وكثرة أهلها وبذلك كانت الأراضي كلها مملوكة لوزارة الزراعة، ولم يملك أبناء القرى منها إلا القليل .

وقد وضعت وزارة الزراعة نظاما معينا لإدارة الأراضي في هذه البلاد، وهو ما رأيته في بلدي، وكان له الأثر الكبير في طباع أبناء القرية كلها، وأخلاقهم، واهتماماتهم .

تقع قرية " منية مسير " في مستطيل من الأراضي يمتد من الشرق إلى الغرب، ويحيط بها مصرف للصرف كان يبدأ من شمال غرب "مسير" التي تقع في جنوب قريتي ، ويمر هذا المصرف حول القرية مبتدئا من جنوب غربها، ويمر حولها غربا، وشمالا، وشرقا ليجعل منها شبه جزيرة ، يحيط بها ماء المصرف من الغرب، والشمال، والشرق.

أما حدها الجنوبي فهو قضبان سكة حديد الدلتا الذي كان يمر بين قريتي " مسير" و" منية مسير" ، ويتخذه أهالي القريتين والعزب المجاورة وسيلة السفر إلى المحلة الكبرى، أو كفر الشيخ، أو العزب والقرى التي يمر بها .

وكانت مساكن القرية تشغل مساحة قليلة من هذا المستطيل، وكان يوجد بها فراغ كبير في جنوبها، وشرقها، وغربها، كما أنها انقسمت إلى قسمين ، هما "الكفر الشرقي"، و"الكفر الغربي" ، وبينهما مساحات فارغة تمر وسطها قناة جافة كانت للسقي قبل ذلك ، يجاورها طريق ترابي سماه أهل القرية "طريق وسط البلد "، وهو الطريق الممتد من الجنوب إلى الشمال .

وقد شغل أبناء القرية هذه الفراغات بإلقاء الفضلات الناتجة من أعمال الناس، وروث الحيوانات بعيدا عن الأماكن التي اتخذوها لدرس

المحاصيل الزراعية والتي تعرف بـ "الأجران" جمع "جرن"، والأماكن التي جعلوها لإقامة المناسبات الدينية، وأشهرها المكان الذي يوجد في جنوبها وقد خصصوه لإقامة "مولد الروازقي" ورفعوا في وسطه راية خضراء ليحافظ الناس عليه، ويعلموا أهميته، ويدركوا ضرورة المحافظة عليه، وكانوا يتخذونه مكانا للدراس، وجمع المحصول، وتشوين أكياس القطن .

وكانت مباني القرية عادية، وضيقة، وجدرانها من اللبن، وسقفها من الخشب والغاب، إلا أن الأماكن التي أقامتها وزارة الزراعة كانت على الطراز الانجليزي، حيث كان بناؤها من الطوب الأحمر، وسقفها من الخشب، وتتميز بيوت الرؤساء وكبار الموظفين بسقف آخر فوق السقف الأول، يوضع على هيئة مثلث قاعدته السقف الأول ليصنع فراغا بين السقفين يمنع الحرارة ، والمطر، ويكيف الهواء، وكانت هذه البيوت فلا كبيرة تحيط بكل منها حديقة واسعة خصصت لكبار الموظفين، كما خصص لهم الخدم من الفلاحين، وأبناء القرية، وتقع هذه الفلل في شمال الكفر الغربي بجوار المصرف الذي يفصلها عن مقام سيدي "جوهر" الذي كان له مولد صغير في الساحة الموجودة حوله .

وأقامت وزارة الزراعة لصغار موظفيها – وهم من غير أبناء القرية أيضا – مساكن عادية، صغيرة، ومتجاورة ، ومتلاصقة في جنوب الكفر الشرقي ، ولا يفصلها عن خط السكة الحديد إلا دوار المصلحة ،

وبنك التسليف الزراعي، وبعض بيوت لأهالي مسير .

لم تكن الأراضي الزراعية في القرية ملكا لأبنائها، وإنما ملكها الأجانب، والغرباء، فلقد ملك الخواجة " اسكندر" عزبتين في شرق البلدة، عرفا بـ"اسكندر الكبرى ، واسكندر الصغرى " ، وبجوارهما من جهة الجنوب عزبة " الأفغاني" ، وهي أصغر منهما، وفي شمالهما تقع " أرض الطارى" نسبة إلى الخواجة صاحبها، وملك الميرغني صاحب صوفية السودان أرضا عرفت باسم " عزبة الميرغني" ، وملكت وزارة الزراعة التي سيطر عليها الاستعمار الأراضي الباقية، ولم يتركوا لأبناء القرية إلا حوضين صغيرين هما " حوض البحرية، وحوض الزورة " .

وبهذا عاش أبناء القرية فقراء ضعفاء .... ولم يكن أمامهم إلا العمل في أراضي وزارة الزراعة وفق نظام عرف بنظام " **الظهرات والتملية** " وهو أن يستلم الرجل الكبير في السن فدانين ونصفا تقريبا يزرعها لنفسه في مقابل العمل الدائم في أرض وزارة الزراعة وهؤلاء هم " **التملية** " ، .... **وأما الظهرات** فهم صغار السن ، الذين يعملون في أرض وزارة الزراعة مقابل نصف فدان يسلم لهم مقابل عملهم .

ولم يجد أغلب أهالي القرية بدا من هذا العمل، وكانوا يرون اختيارهم لهذا العمل فرصة لا نظير لها ، وقبلوا أن يورث هذا العمل في أبنائهم من بعدهم، لتبقى الأرض التي يزرعونها معهم، ويستفيدوا بريعها ونتاجها.

وعملت وزارة الزراعة على الاستفادة بالعمد والمشايخ في ضبط العمل ، ومنع ثورة العاملين، فأعطت لهم في مقابل ذلك أرضا، حيث يأخذ العمدة ثلاثة أضعاف التملي، ويأخذ الشيخ ضعفين، وكان لأصحاب العزب الأجانب تواصلا مع العمد والمشايخ للمحافظة على أملاكهم .

لم يكن في بلدتي مؤسسات للخدمة سوى المدرسة الابتدائية ذات الفصل الواحد التي أقيمت شرق فلل كبار الموظفين شمال الكفر الشرقي، ... وبنك التسليف الزراعي الذي أقيم جنوب شرق مساكن صغار الموظفين بجوار دوار المصلحة، ولذلك لم يكن عجيبا قلة عدد المتعلمين في القرية .

ففي الثلاثين من القرن الماضي لم يوجد فيها عالم واحد ، اللهم إلا مأذون القرية ، وهو الشيخ " متولي حمادة " وكان يعمل إماما لمسجد "**سيدي عبد الرزاق**" الموجود في الكفر الغربي، وشيخ آخر غريب يؤم الناس في مسجد " **المهراني**" الموجود في الكفر الشرقي، وبدل أن يقوم المشايخ بإرشاد الناس ودعوتهم قاموا بالاشتراك في مشاكل القرية، ولم يساهموا في حلها.

وقد أدى القصور في الدعوة إلى انتشار الخرافات بين الناس في القرية، إذ كثرت جلسات الزار في البيوت لطرد الجن الذي يسكن في أجساد بعض الأفراد – كما يزعمون–.

وكنا ونحن أطفال نتصور أن الجن يملأ الحارات ، والخرابات غير المسكونة، والأماكن المظلمة، وبخاصة في المقابر القديمة

الموجودة غرب مقابر الروازقية المعروف بمقابر المشايخ، وأكبرهم الشيخ/ عبد الرزاق، أو عند المقابر الجديدة جنوب شرق القرية ، وكنت حين أمر عليها بعد المغرب وأنا راجع من أرض الملقة أسرع الخطى، وآخذ في قراءة ما أحفظ من القرآن الكريم ، طردا للشياطين التي كنت أتصور وجودها في هذا المكان ....

وكثيرا ما كان يأتي إلى القرية مندوبون عن الطرق الصوفية لأخذ العهود للطرقهم مثل الرفاعية أو الشاذلية، ... أو لغيرهما وكان الأهالي يقبلون عليهم أملا في تمكنهم من طرد الثعابين من البيوت كما كان يبشر المندوبون .

وكان في القرية خليفة للروازقية يأخذ عهودا لطريقته في قرى أخرى غير قريتي .

وكنت ترى عند الغروب أطفالا صغارا يسحبون البقر والجاموس، ويطوفون بها سبعة أشواط حول قبر "سيدي جوهر" الموجود في شمال القرية، وبينه وبين مساكن القرية المصرف الكبير، ويعودون بعدها إلى بيوتهم، ولا ينطقون بكلمة إلا بعد ربط البهيمة في الحظيرة، ورش ضرعها بالماء، لزيادة إدرار اللبن كما يظنون .

وكنت ترى بعض النسوة يتدحرجن في الساحة الموجودة شرق قبر "سيدي جوهر" مسافة عشرين مترا تقريبا أملا في الحمل – كما يزعمون– .

والحمد لله رب العالمين فقد انتهت هذه الخرافات الآن، بسبب وعي الناس، وكثرة علماء الأزهر، وغيرهم من المثقفين .

في أوائل الأربعينات تخرج الشيخ "مصطفى السماحي" من كلية الشريعة، وفي وسط الأربعينات تخرج من كلية الشريعة أيضا أبناء الشيخ متولي حمادة الثلاثة ، والشيخ حسن كلبوش .

وفي الخمسينات تخرج من كلية الشريعة الشيخ/ غازي ، والأستاذ/ عبد المنعم أشقاء الشيخ/ حسن كلبوش، وتخرج من كلية دار العلوم الأستاذ / أبو العز من عائلة "العتربي"

وكان في القرية كُتاَّبان لتحفيظ القرآن الكريم ، هما كتاب الشيخ / محمد عبد العال، وكتاب الشيخين/ إبراهيم ويح، وعيسى طه وهما سبب لكل من تخرج من الأزهر بعد ذلك، وأنا واحد منهم، وقد بدأت تعليمي في كتاب الشيخ "محمد عبد العال"، وانتقلت منه بعد مدة قصيرة إلى الكتاب الثاني، فهو أكثر شهرة، وأرقى تعليما.

لم يهتم أبناء القرية بتملك الأرض، ولا بالتجارة لقلة المال، وعدم الخبرة، والاشتغال الدائم في أراضي وزارة الزراعة ... إلا أن جدي لأبي واسمه " أحمد " وباسمه سماني أبي، وكان وافدا على القرية هربا من السخرة التي كانت تتم أثناء فيضان النيل لثلاثة أشهر تقريبا، وتسمى "خدمة البحر" حيث كانت إدارة البلاد تأخذ من القرى رجالا عديدين من العمال والفلاحين قهرا لإقامة سدود ترابية تمنع الفيضان من إغراق البيوت، والزراعة، والطرق ...

وكان العمال يعملون ليلا ونهار بلا أجر، وكثيرا ما مات كثير منهم غرقى في ماء النيل .

ولم تضع الإدارة نظاما معينا تسير عليه في استخدام الناس .

استقر جدي في قرية "منية مسير"، وتزوج من عائلة الصعيدي، وعمل بتجارة الحبوب، وغيرها، وكان كثير التنقل بين المدن القريبة والإسكندرية فاكتسب شيئا من المال، واتجه لملكية الأرض فاشترى خمسة أفدنه، ثلاثا في حوض" الملقة" واثنان في حوض "البحرية " .

وكانت هذه الأراضي سببا لتولي عمي عمودية القرية حين اختارت الحكومة أكبر خمسة ملاك من أهل القرية يملكون أرضا لانتخاب عمدة من بينهم، وكان الخمسة هم (أبي، وعمي، والحاج/ أحمد العتربي، والحاج/ السيد علي، والشيخ/ محمد أحمد كلبوش المشهور بـ" المغازي") ، انضم إلى عمي أبي والحاج " أحمد العتربي" ، وانتخبوا عمي عمدة للقرية، يوم أن كانت العمودية تقود القرية في كل شئونها .

استمرت القرية في حياتها على نمط واحد ، راضية بوضعها البسيط، واكتفت بالعدد القليل الذي تخرج من الأزهر الشريف .

لم يوجد في القرية محل كبير لبيع الحاجات اليومية للناس ، وكل ما كان موجودا فيها هو محلات صغيرة، ومقاهي عادية، وكان الأهالي يلجأون إلى الخمارة التي أسسها اليونانيون في " مسير " ليشتروا منها ما يحتاجون إليه، وكان الأغنياء من مسير، ومنية مسير يتجمعون ليلا في المقهى الموجود بجوار محطة السكة الحديد .

وكـان قطـار الـدلتا هـو الوسيلة الوحيـدة التـي تـربط القريـة بـالقرى والمدن الأخرى، وكان هو وسيلة إحضار البريد والصحف، وكنت ترى فـي العربـة الأخيـرة مـن القطـار مكانـا خاصـا يجلـس فيـه موظـف يسلم الخطابات والصحف لناظر المحطة، ويأخذ ما معه من رسائل، وكان هذا المكـان يعـرف بـ" السبنسـة" وكـان أهـالي " منيـة مسـير" يفضـلون موظـف البريـد الـذي يـأتي مـع القطـار عـن مكتـب البريـد الموجـود بقريـة "مسير" .

لم توجد فـي القريـة مصحة للعلاج، أو سوق للتجارة، أو مقر لأي نشاط اجتماعي يجمع الناس، ويوحد اتجاهات الشباب .

وتميـز أبنـاء " منيـة مسـير " بطيبـة القلـب، والميـل إلـى التبعيـة ، وطاعة الكبار، واعتبار ناظر الزراعة مسئولا لا يرد له طلب .

ومـن طيبـتهم أنهـم كـانوا يلجـأون فـي أغلـب شـئونهم لشـيخ مسـجد "سيدي عبـد الـرزاق " للحكـم بينهم، والفصـل فـي مشـاكلهم، ولا يجادلونـه فـي رأيـه، لأنـه يمثـل الـدين فـي نظـرهم، وكـانوا يطيعـون رأيـه، ويتمسـكون بما كان يحكم به فيهم .

ووجد فـي القريـة أفراد يجيدون القراءة والكتابة ، وهؤلاء كانت لهم منزلـة فـي القريـة حيـث يلجـأ النـاس إلـيهم حـين رفـع مظلمـة مكتوبـة ، أو شكوى لمسئول، وأغلبهم كـان يعمـل فـي مشـروعات الخواجـات التـي أقاموها في مسير.

لـم يتوسـع أبنـاء القريـة فـي تملـك الأرض إلا بعـد تـولي عمـي العموديـة، فقد رأوا أهميـة تملك الأرض ، فوجدت الملكيـات البسيطة فـي عدد من أسر القرية

في هذه القرية، وفي هذا الجو الاجتماعي كانت نشأتي ، وكانت حياتي الأولى .

وأسـجل هنـا بعض التـأثيرات البيئيـة، والاجتماعيـة التـي توارثهـا أبناء القرية من هذا الزمن القديم :-

١- **تـأثر أهل القريـة بنظـام العمل فـي أراضـي وزارة الزراعـة**، وأدى ذلك إلـى الاستكانة الصامتة، والهدوء الطيب، والخضوع للواقـع، والاكتفاء بالأرض التي استلموها من وزارة الزراعة، ولذلك عمت مهنـة الزراعـة أبنـاء القريـة، ولـم يهتمـوا بـالتعليم لقلـة ذات اليـد، وانعدام من يعرفهم بأهميتـه، وبعد مؤسسـات التعليم عن القريـة، وحاجة التعليم إلى النفقة والمال.

٢- **أدت طيبـة أبنـاء القريـة واستكانتهم إلـى تـرك التجـارة**، واكتفوا بالحصـول علـى حاجاتهم من "مسير" وهذا الحـال يفسـر ظـاهرة اجتماعية وهي أن أبناء " مسير " يحبون التجارة، وينشطون فـي العمل، وعندهم طموح لا يوجد في أبناء قريتي"منية مسير" ..

إلا أن الله تعالى عوض قريتـي علـى طيبـة بنيها فزرع فيهم بذرة التعليم، فحرصـوا علـى تعليم أبنائهم بعدما وفق الله تعالى بعض الأوائل للسبق العلمي، والتقدم العملـي، والكسـب المـادي، فصـاروا

قدوة وأسوة، فقلدهم غيرهم حتى دخل التعليم كل بيت، ونشط شباب القرية في العمل، ووفقهم الله تعالى في كل مجال .

٣- **لم تنج القرية من الفكر الاستعماري الذي زرعه الاستعمار** في كل القرى، وهو إيجاد صراع في كل قرية يقسم الناس إلى قسمين مختلفين لأسباب متعددة، مثل الصراع حول العمودية، أو حول الأراضي الزراعية، أو العنصرية الأسرية، .... أو غير ذلك، ... والمهم وجود هذا الصراع ليسود الاستعماريون البلاد، ... ومن المؤسف انعدام وجود حكماء لمنع الصراع، وتوحيد أبناء القرى ليعملوا لمستقبلهم ومستقبل أبنائهم .

لقد كان هناك تنافس بين أبناء الكفر الشرقي والكفر الغربي في بلدي، وبين أبناء قرية "مسير"، وأبناء قرية "منية مسير" وكنا ونحن صغار نقوم بصراع عملي في صورة حرب بالعصى والطوب بين فريق وفريق، وكان يستمر إلى أن ينهزم أحد الفريقين ويفر من الميدان، ويدخل كل في داره، وكان الاتساع بيت الكفرين هو ميدان الصراع بين أبناء الكفرين، وكان ميدان الروازقية هو ميدان الصراع بين شباب منية مسير، وشباب مسير .... والحمد لله فقد انتهى هذا الآن .

٤- **تركت وزارة الزراعة في الناس عادات وسلوكيات سيئة**، فلقد اعتبر كثير من الفلاحين أرض وزارة الزراعة كلأ مباحا يأخذون منه في الليل والنهار ما يريدون، لدرجة أني كنت في الصباح

الباكر أرى الرجال والنساء يعودون من أرض وزارة الزراعة محملين بالمزروعات النافعة لهم ولمواشيهم، وكان الأهالي يبيحون لأنفسهم رعي الغنم في مزروعات وزارة الزراعة، وأخذت هذه العادات صورة الظاهرة في القرية، حتى صار يقال لمن يأخذ شيئا لا حق له فيه: هي أرض مصلحة،أي لا صاحب لها **كما تعود الناس الحيل الماكرة**، والأكاذيب العملية، ومن أمثلة ذلك أن منتجات أرض وزارة الزراعة كانت تجمع في الدوار في شون ومخازن، ويوضع عليها حراس، فإذا ما أبعد الحارس عن الحراسة قام بحرق ما كان يحرسه ليلا، ويدعي البراءة .

٥- **الشعور بالضعف، والإحساس بالطبقية**، كان أبناء القرية يشعرون بالضعف، وقلة المال، وانقسم الناس إلى طبقات :

فهناك طبقة الموظفين ، وهم جميعا من غير أبناء القرية ، ولا يختلطون بالناس إلا نادرا .

وهناك طبقة أبناء العمد، والمشايخ، وشيخ الخفراء، ولهم مزاياهم، وصلاتهم بالمسئولين .

وطبقة الفلاحين، وهم الذين يعملون في أرض وزارة الزراعة وأرضهم .

وأذكر عندما بدأتُ في مرحلة التعليم الابتدائي أن بنات ناظر الزراعة الذين كانوا يدرسون في المراحل الأولى كانت لهم منزلتهم التي تمنع الآخرين من التحدث معهم، وفي مرة تجرأ

تلميذ، وقال لهم : صباح الخير ، فكان جزاؤه أن شرد أبوه من عمله، وكان يعمل خفيرا في قرية "مسير" المجاورة .

٦- **لم تكن في القرية دعوة جادة إلى الله تعالى،** لقلة العلماء، وانصراف من تعلم إلى العمل الحزبي والمادي، ووجود صراع كبير بين العائلات، وبالرغم من وجود ميل عام عند الناس إلى معرفة الدين، وطاعة الله تعالى إلا أنهم لم يجدوا من يعلمهم، ولذلك استمر النشء على ما كان عليه الآباء والأجداد من جهل علمي، وسطحية عملية، وبعد عن طاعة الله، وعدم الاستقامة على منهجه ﷻ .

وهذا أمر لا يستقيم مع طبيعة أبناء القرية، فهم يتميزون بالطيبة، والاستسلام، والرضى بالواقع .

وإني أتألم اليوم لهذا الحال، ولا أتهم أحدا، وأتأمل الحاضر وقد تغير كل شيء في القرية، وكثرت المساجد، وكثر العلماء من سائر التخصصات، وكثر علماء الأزهر، وانتهى الصراع، وتعاون الجميع، إلا أن القصور الديني مازال موجودا عند أبناء القرية، **ولذلك أسأل ...**

- أين تطبيق الإسلام في أبناء قريتي، فكل أبنائها مسلمون ؟!!
- وأين تأثير العلم الديني في حياتهم؟!!
- وأين دور خريجي الأزهر من أبناء القرية ؟ !!
- وأين آثار الإسلام عند الأفراد، وفي الأسر، وفي المجتمع كله؟ !

وأقول أخيراً : -

هنيئا لقريتي تقدمها وازدهارها، وأتمنى لبنيها أن يقوموا بحق الله عليهم، سائلا لهم الخير الدائم، واليقين العظيم، والعلم النافع المفيد .

لقد أنشأ الأهالي اليوم في القرية مساجد عديدة، وفيها عدد من الأئمة والخطباء من أبناء القرية، إلا أن إحساس الأئمة وغيرهم من العلماء بالمسئولية الدينية، وقيامهم بالواجب على الوجه الصحيح قاصر، لا يحقق للناس مصلحة .

يتألم العاقل حينما يرى الاهتمام المادي غالب على الناس، وضعف الجانب الديني في حياتهم، وهذا أمر لا أحبه لأهلي وقومي .

إن النهوض بالقرية يحتاج إلى قيام كل فرد بواجبه تجاه إخوانه، والمحافظة على دين الله تعالى، ... وهذا ما نرجوه للجيل الجديد الذي يتميز بالوعي والفهم، والسعي الجاد للنهوض والتقدم.

أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع للخير والسداد .

-٢-
العائلة

أسرة "غلوش " في "منية مسير" قليلة العدد، فقد بدأ وجودها في القرية حينما أتى إليها جدي " أحمد " من قريته الأصلية " **برما**" التابعة لمحافظة الغربية، وقد تركها هربا من تشغيله رغما عنه، وبلا أجر في خدمة الجيش الانجليزي، أو في مواجهة فيضان النيل، لأن الفيضان كان يغرق الزراعة والبلاد المجاورة لنهر النيل، وكان المسئولون يجلبون الناس قهرا لإقامة سدود ترابية حول النهر، وحول القرى ، وحول الزراعات المنكوبة، وبلا أجر، وبلا نظام معين، وكثير من الناس غرقوا في النيل وهم يعملون، وكل من تمكن من النجاة من هذه السخرة نجا اختفاء، أو هربا .

وكان جدي أحد الذين جاءوا إلى " منية مسير " فارا من بلدته، فنجا بنفسه، واعتبره أهل القرية ضيفا عليهم، وكان لا يقيم في القرية طويلا، فليس له أرض ، أو حرفة، فأخذ يسافر إلى المدن المجاورة ، وهي (كفر الشيخ ، أو المحلة الكبرى، أو الاسكندرية) يبحث عن عمل يكسب منه قوته ومعاشه، ففكر في التجارة فيما يحتاجه الناس، فكان يأتي بالأقمشة والحبوب من المدينة إلى القرية والعكس، فيأخذ من القرية ما يحتاجه أهل المدن، ويأخذ من المدينة ما يحتاجه أهل القرية، فبعد بذلك عن الفلاحة، ونجا من سخرة الفيضان ووزارة الزراعة .

وبعد مدة تزوج جدي أحد بنات أسرة " الصعيدي" ، وهي أسرة قليلة العدد، طيبة القلب، لا طموح فيها حيث كان يعمل أغلب أبنائها في

أراضي وزارة الزراعة، وأقام جدي لنفسه بيتا بينهم في الكفر الغربي، ورزقه الله تعالى من زوجته " مريم " ولدين هما والدي " أحمد" ، وعمي " السيد " ، وبنتا هي عمتي " فاطمة " .

وكان لجدي صهران شقيقان لزوجته هما "عبد الرزاق، وعبد العزيز" ، تأثر أكبرهما " عبد الرزاق" بجدي ، فترك القرية، ورحل إلى قرية "دمرو الحدادي" وامتهن صيد السمك من بحيرة " البرلس" والتجارة فيه، وقد أكرمه الله تعالى في ذلك إلى حد كبير .

وتميز جدي بالصلاح، والكرم، وشهد له الناس بكثرة الصلاة، والإحسان إلى الأرامل، واليتامى والمساكين إذ كان يدق بيوتهم في ظلام الليل عند الفجر، ويلقي إليهم ما تيسر من المال، والملابس، والأقوات التي تفيض عنده بعد تحصيل ثمنها وربحه منها، فإذا ما فتحت صاحبة البيت الباب ألقى ما معه، وانصرف مسرعا حتى لا تعرفه صاحبة البيت، إلا أن النسوة عرفنه لكثرة مجيئه إليهن، يقول البعض من أبناء القرية: لما مات جدي بكته الأرامل ، وكن يقلن : "من سيأتينا بعده" .

تأثر جدي بسفرياته، وتجارته، وأحب أن يكون له من ولديه من يتاجر معه، ويضبط له حساباته، فاهتم بتعليم عمي " السيد " ، وقد رأيت عمي أحد الذين يجيدون القراءة والكتابة ، ويحسن التفكير والتنظيم

وعمي أكبر من أبي بعشر سنوات ، وبينهما كانت عمتي، ولقى جدي ربه وعمر أبي خمس سنوات تقريبا .

تمكن جدي من شراء خمسة أفدنة، ثلاثة في حوض " الملقة"، واثنان

في حوض " البحرية"، وهي التركة التي تركها لأبنائه الثلاثة .

وتزوجت عمتي رجلا من مسير هو الشيخ " عبد الرحمن زردق" ، وبقى عمي وأبي في " منية مسير " يمثلان أسرة غلوش .

وبعد أن بلغا وصارا شابين يافعين تزوج عمي ابنة مأذون القرية وشيخها الشيخ " متولي حمادة " بعد زواج من آل كلبوش، انتهى بموت الأبناء والطلاق.

وتزوج أبي من آل كلبوش ابنة الشيخ " محمد كلبوش" .

واستقر أبي وعمي مع زوجتيهما، واستقام حالهما ، واتجه عمي لتعليم أولاده جميعا، ووفقهم الله تعالى وتم حصولهم على المؤهلات العليا، وتولوا مناصب راقية، وكان لهم نشاط في الشأن العام، وسياسة الدولة، ونال ابن عمي الدكتور "مصطفى" الدكتوراه، وصار أستاذا للعقيدة في كلية أصول الدين جامعة الأزهر .

وأما أبي فقد تأثر بالجو حوله، ورغب أن يكون من أبنائه متعلم مثل أبناء المحيطين به، فعمل على تعليمي وأخي إبراهيم، وأبقى إخوتي الثلاثة (عبد العال، ومحمد، ومحمود) لفلاحة الأرض، ومساعدته في الزراعة، ولم يلتفت أبي إلى النصائح التي سمعها وخوفته من تعليمنا، بحجة أن التعليم سيؤدي إلى بيع الأرض، وبذلك يضيع مستقبل إخوتي المزارعين، ولأن صنعة في اليد أمان من الفقر .

وأعان الله تعالى أبي فوفقه لوظيفة عادية بوزارة الزراعة بمرتب شهري استعان به في الإنفاق على تعليمي وأخي،وتمكن أبي من تعليمنا

، وزيادة الأرض التي ورثها بشراء أرض الحوشة وغيرها.

والحمد لله رب العالمين فقد تخرجت من جامعة الأزهر، وحصلت على الدكتوراه، وأكرمني الله تعالى بالعلم، والولد، والمال .

وتخرج أخي " **إبراهيم**" من كلية العلوم– جامعة عين شمس، وعمل بوزارة التربية والتعليم حتى صار مديرا عاما قبل أن يحال للتقاعد .

وصار للأسرة مكانة طيبة بين أسر " منية مسير " ، وتخرج من بنيها أفراد عديدون رفع الله تعالى شأنهم في كل مجال عملوا به في الجيش، والشرطة، والقضاء، والجامعات المختلفة، وبذلك تضاعفت مسئوليتهم أمام الله تعالى، وعليهم أن يقوموا بها.

وإن كان لي من تعليق فإني أقول ما يلي : –

١) **ضرورة العناية بالحاضر**، والاستفادة من الماضي، ومحاولة الترقي في المستقبل، والتغلب على المشاكل التي تعترض الناس، والتعامل مع الواقع بما يكافئه، ومن الضروري الاستفادة بأي تقدم وتطور، ولا مانع من ترك الديار قصد تحقيق الأمل، فقد هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وأسس دولته بها، وقد ترك كثير من أبناء قريتي القرية، وسكنوا في مناطق أخرى مثل قرية "**الخاشعة**" و"**مدبول**" ، فوسع الله تعالى عليهم في مجتمعهم الجديد، وتغير حالهم فيها .

٢) **من المهم العناية بتربية الأبناء**، وزرع الأخلاق الحسنة في عقولهم، وتعويدهم على الخير، والتعاون، وتعليمهم العلوم الدينية

وغيرها، وصدق من قال :

العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقد دلت التجارب على صدق هذه المقولة، فقد أثبت الواقع في القرية أن العلم رفع أقواما، وذل الجهل آخرين .

٣) **أهمية الترابط الاجتماعي**، ومعاشرة الناس بالحسنى، والقيام بحق الله معهم، والتعاون على البر والتقوى، والمحافظة على دين الله تعالى نظريا وعمليا، فآثار الأعمال الصالحة تبقى في الأبناء ، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (١)

وإني أرى ما كان يفعله جدي "أحمد" مع الناس وبخاصة اليتامى والمساكين، والأرامل هو الأثر الباقي في أبنائه وذريته، وأملي أن يستمر أبنائي على هذا المنهج ليوفقهم الله تعالى، ويصلح بالهم.

٤) **ضرورة النصح الأمين**، ومساعدة الضعفاء، وإعطاء الفقراء، والمحافظة على أداء حقوق الله في النفس، والمال، والولد، فإن الحسنة لا تضيع، والمعروف لا يبلى، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الكهف الآية : ٨٢ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٣٠ .

٥) **العمل على ترك الورثة أغنياء خير من تركهم فقراء** يمدون أيديهم للسؤال، والورثة العقلاء يستفيدون بالمال علما، وعملا، وجاها.

٦) **ضرورة إيصال التركة لأصحابها**، وفق شرع الله تعالى، والحمد لله فقد توزعت تركت جدي بشرع الله تعالى، فأخذ كل ولد من أبنائه فدانين، وأخذت عمتي الفدان الخامس، وأتمنى أن يحافظ أبنائي من بعدي على هذا العهد، ويحصل كل وارث على نصيبه في تركتي بعد رحيلي بوقت قصير .

٧) **الاستفادة من العمر في العمل الصالح**، ولابد من الاستفادة من العمل في كل المجالات، لأن الكسل لا يفيد، والعجز يؤدي إلى عجز أكبر، والله يقول : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ (١) .

٨) **ضرورة قيام كل فرد من أبناء القرية أكرمه الله تعالى بالعلم والمال، أو بالسلطة برد الجميل للقرية، وأهلها**، فمعهم كانت النشأة الأولى، ووسطهم كان العمل والحركة، والتواصل الإنساني والاجتماعي في بداية الحياة كان فيهم، والعادات والتقاليد والأعراف التي تسيطر علينا حتى الآن هي عاداتهم وأعرافهم، وبركة المكان تشمل جميع من فيه، وهذه الضرورة أتمناها لنفسي، ولسائر أبناء القرية،لأن الجميع منها وإليها.

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٥ .

٩) **ضرورة العمل الجاد في السلوك**، والتربية على ترك العصبيات العائلية، والتفرقة المكانية، وبخاصة مع عدم وجود الكفر الشرقي والكفر الغربي، وانتهاء الصراع العائلي، وكثرة المثقفين والعلماء، وظهور قيادات شبابية عديدة في القرية في كافة العائلات الكبيرة، أو الصغيرة، .... وعلى الجميع بذل الجهد في هذا المجال .

إني وإن بعدت عن قريتي في الإقامة والعمل فإني ما زلت أتعلق بها، وأحب دروبها، وأزقتها، وتعاودني ذكراها بين الحين والحين، وأرى صورتها القديمة في مخيلتي ، وفي منامي، وكأني أعيشها .

بارك الله في قريتي ، وبارك في أهلها، ووفق الجميع للحب والتعاون، والصفاء، وأنار أمامهم طريق الحق، ومتعهم بالعلم النافع، والغنى الجميل، والذرية الصالحة .... والله ولي التوفيق .

-٣-
الميلاد

ولدتني أمي في اليوم العاشر من شهر أكتوبر عام ١٩٣٦م كما هو مدون في شهادة الميلاد، وبالطبع خرجت كما خلقني الله تعالى لا أعلم شيئا، ولا أدري بشيء حولي، إلا أن المشاهدين للحدث حكوا غرائبه، ورددوا وقائعه، وقصوا ما حدث اعترافا بفضل الله تعالى، أو إعجابا بالحدث، أو لمجرد السرد والحكاية، أو التأمل في مفاجآته، وعجائبه، وقد سمعت أحداث يوم ميلادي من أبواي وأقاربي ، ....

فقد علمت ما عناه أبواي معي، إذ توحمت أمي بعدما حملت بي على غير عادتها على التفاح الأحمر، فاضطر والدي لإحضاره من الإسكندرية، وكثيرا ما مرضت أمي أثناء حملي، حيث كان يتورم جسدها، فتخاف على ما في بطنها أكثر من خوفها على نفسها، وتهمل تناول الدواء .

ولم يكن حال أبي ميسورا، بل كان مثقلا برهن أرض البحرية الذي اضطر إليه ليعالج من مرض أصابه، ورأى الأطباء ضرورة العلاج في الإسكندرية، ولا سبيل أمامه للمال إلا بالرهن الموجود يومذاك ويقوم به الخواجات اليونانيون، وهو أن يأخذ المحتاج قدرا من المال من شخص له مال في مقابل أرض زراعية يسلمها لصاحب المال، أو يقوم بزراعتها هو، ويأخذ رب المال غلة الأرض لحسابه إلى أن يرد المدين إليه ماله بفوائده في مدة محددة، فإن لم يرد المدين المال في هذه المدة تصير الأرض ملكا لصاحب المال، أو يجدد الربا مضاعفا...

وكان عدد من اليونانيين يقيم في قرية "مسير" المجاورة لبلدي "منية مسير" يستثمرون أموالهم في عمليات الرهن، لكل من يحتاج إليه، وكانوا سببا رئيسيا في نشر الرذائل وسط الناس، لأنهم كانوا يشترون نتاج الأرض بثمن بخس قبل ظهور الثمر، وكانوا يقرضون بالربا المضاعف، وينشرون الرذائل في المنطقة مثل إدارة صالة للقمار، وفتح دار للدعارة، وإنشاء مقهى للشيشة وغيرها، وقد أقاموا مبنى كبيرا يقيمون فيه، ويباشرون منه أعمالهم المتنوعة، يعرفه الناس باسم "الخمارة " نسبة إلى الخمر الذي تخصصوا في بيعه مع سائر المسكرات، وبذلك سيطروا على خيرات البلد، وأفكار الشباب، وكانوا مصدرا للهو والهوى.

كان أبي يملك فدانيين ورثهما من أبيه، أحدهما بحوض " البحرية " القريب، ذي الجودة العالية، والثاني بحوض " الملقة" البعيد، القليل الجودة، وقد حاول أبي أن يجعل الرهن للفدان البعيد، إلا أن الخواجا أصر على الفدان القريب لخصوبته، وقد أرشده إلى ذلك بعض الموظفين معه، ليستولوا عليه بعد عجز أبي عن السداد .

وكان أبي بعد أن شفي من مرضه كثير الهم والخوف على الفدان المرهون من أن يستولي الخواجة عليه حين يعجز عن السداد، وكانت سعادته يوم أن قدر الله له أن يرد المال لصاحبه ، ويفك رهن الأرض .

ومن عجيب الصدف أن يتم فضل الله تعالى على أبي في يوم مولدي ، ففرح أبي فرحتين في هذا اليوم ، أحدهما بمولدي، والثانية بفك

الرهن، وكان والدي يقول لي : مجيئك كان سببا لكثرة فرحي وسعادتي.

ما أعظمك أبي ؟ !!، وما أعظمك أمي ؟!!

لقد تحملتما الكثير من أجل أولادكما، ولم تقصرا في الإنجاب والعطاء، وهداكما الله تعالى لما فيه الخير، فقد أنجب والداي قبلي ثلاث بنات وولدا، هم على الترتيب " مريم" ، و" السيدة" ، و" عبد العال" ، و"فوزية" وأنجبا بعدي أربع ذكور، وثلاث بنات، هم على الترتيب "محمد، ومحمود وتوأمه الذي ولد ميتا، وإبراهيم، والسيدة ، وممتاز ، ومديحة " ، فبلغ عدد أبنائهما اثنى عشرة ولدا وبنتا، مات منهم ثلاثة هم " مريم "، و " السيدة "، وهما أكبر الأبناء ، ماتا غرقا عندما كان عمر " مريم" خمس سنوات، وعمر الثانية " السيدة " ثلاث سنوات، والثالث هو توأم محمود، وكنا نسميه " المنسي" .

وقد حزن أبواي كثيرا على فقد البنتين، فقد سمعت منهما أحاديث كثيرة عنهما، وعن جمال ونجابة البنت الكبرى " مريم" وحمدا لله أن نجى لهما الابن الأكبر " عبد العال" من الغرق معهما، فقد نزل معهما الترعة إلا أنه ظل ممسكا بجذور شجرة في شاطئ الترعة .

وقد أنجبت أمي بعد أخي "عبد العال" أختي "فوزية" وهي أكبر مني مباشرة .

ما أعظمكما أبي ، وأمي ؟ ! ... فقد قمتما بعبء هذه الذرية مع ضيق النفقة، وقصر اليد، وخلو البلد التام من المستشفيات، والمؤسسات الخدمية، وكانت الأم تحمل ولدها للتطعيم في مدينة " كفر الشيخ" على

بعد عشرة كيلو مترات من البلد، ولم توجد وسيلة للمواصلات إلا قطار الدلتا، الكثير الغياب والعطل، وكثيرا ما ذهبت الأمهات بأولادهن إلى كفر الشيخ سيرا على الأقدام، أو راكبة الحمار .

لقد صبر الآباء على التعب، وكان يهمهم أن يعيش الولد، وتستمر الذرية، ويتعلم الولد .

أذكر أني عندما دخلت الكتَّاب القريب من بيتنا أمطرت الدنيا ، فقلت لأبي : لن أمشي في الطين أملا في الغياب ، ... فحملني على كتفه، وذهب بي إلى الكتَّاب، وعند الظهر جاء وحملني على كتفه في العودة، ....

وفي اليوم الثاني قلت لأبي: أنا لا أوافق على أن تحملني على كتفك لأن الأولاد يهزأون مني، ولم يكن عندنا حمار، فاشترطت على أبي ضرورة ركوب دابة من ذوات الأربع، لتصوري أن ذلك غير ممكن لعدم وجود الحمار، وبذلك أتغيب عن الكتَّاب، فما كان من والدي إلا أن أركبني ظهر بقرة ، وذهب بي إلى الكتَّاب حتى لا أغيب ، .... وهذه عينات بسيطة على ما بذله أبي، فرحمة الله عليك يا أبي، وجزاك عن سعيك وتعبك خير الجزاء

وفي مرة أخرى هربت من البيت ليلا لسبب لا أتذكره الآن، فما كان من أبي وأمي إلا أن أخذا يبحثان عني في أماكن عديدة مستعينين بمصباح ليلي، وكنت أراهما وأنا في مخبئي، فلما يئسا من العثور عليَّ

همّا بالرجوع إلى البيت، فانتابني الخوف من الظلام والوحدة فصحت : "**أنا هنا**"، فجاءا إلي وأخذاني ، وأشبعاني بقبلاتهما، يرحمهما الله تعالى.

ولم أكن وقتها شيئا يذكر، ولم يبحثا عن أجر أو مقابل يأخذاه مني ولكنه حب الأب، وحنان الأم الذي فطرهما الله عليه، وهي فطرة يشعر بها كل الآباء، ... **وإني أسأل هنا** :

- هل يتذكر الأبناء ما صنع الوالدان معهما في الصغر ؟
- وهل يمكن للابن رد هذا الجميل بلا تأفف ؟
- وهل يتذكر الابن أن أباه قد أحب وسعى في تربيته مثل ما يفعل هو مع أبنائه ؟
- وهل يعي الابن أن التربية اليوم سهلة بخلاف ما كان مع الآباء حيث الصعوبة، وقلة الظروف، والإمكانيات، ليقدر لهما تعبهما؟

أسأل الله تعالى أن يجزي أبي وأمي عني وعن إخوتي خير الجزاء، وأن يجمعني بهما في الفردوس الأعلى، وأن يعينني على تذكرهما، وبرهما، والدعاء لهما، ﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ (١)

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٢٤ .

ـ٤ـ
النشأة الأولى

ولدت في بيت متواضع كسائر بيوت أهل القرية في "منية مسير"، وكان مكونا من حجرات أربع، وحظيرة للماشية، وبه فناء خلفي أقيم فيه "فرن" لإعداد الخبز، و" كانون" للطبخ، وبناء صغير لقضاء الحاجة، وعشت في كنف أبي وأمي، لا أعرف شيئا عن فترة رضاعتي، وحضانتي إلا أن ما أؤمن به هو أن أبي وأمي بذلا وسعهما في تنشئتي وأخوتي الاثنين اللذين كانا يكبراني، وهما "عبد العال، وفوزية" كما بذلا جهدهما مع باقي الإخوة، وكل ما أذكره في هذه الفترة أن خالي " نصر" شقيق والدتي كان معجبا بي حجما، وصورة، وكان يحملني ويداعبني، ويوصي أمي بي، ويقول لها : اهتمي بهذا الولد – كما حكت لي أمي.

وامتد بي الزمن فخرجت من البيت، وأخذت ألعب مع أقراني من أبناء الجيران الألعاب السائدة يومذاك مثل **لعبة** "**عسكر وحرامية** "، وفيه يختفي ممثل الحرامي في أماكن مجهولة للعسكري، ويأخذ العسكري في البحث عنه لمدة متفق عليها، فإن عجز، ورجع الحرامي إلى أماكن التجمع يتحول العسكري إلى حرامي .

ومثل لعبة " **الاستغماية**" وفيها يعصب أحد الأطفال عينيه ويقف وسط دائرة من الأطفال، ويضربه أحدهم ، ويحاول الإمساك به، ولهذه اللعبة صور أخرى، مثل الاختفاء في مكان، ويبحث عنه الآخرون، ويعد فائزا إن عاد إلى المكان المحدد قبل أن يصل إليه زملاؤه .

ومثل لعبة " **الميس**" وفيها يحاول الأطفال توجيه الكرة إلى قالب من الطوب على بعد أربعة أمتار تقريبا فمن أصابه فقد فاز .

ومثل لعبة "**روَّح**" حيث يتوزع الأطفال في ملعب يتناقلون الكرة وهم فريقان، فريق يتناقل الكرة ليصيب بها أحد أعضاء الفريق الآخر الذي يقطع مسافة مجاورة لهم وهو يجري، ويقوم الفريق الثاني بتشتيت الكرة بعيدا عن الفريق الأول لنجاة صاحبهم من الإصابة، والفائز من يحقق ما يعمل له .

وعلى هذا النمط كانت الألعاب ، وهي على بساطتها كانت توحد قلوب الفريق الواحد، وتحقق المساواة والعدل، وتورث الأطفال الروح الجماعية بعيدا عن التعصب والقبلية، وأذكر أني كنت أحيانا ألعب في فريق، وشقيقي يلعب في الفريق الآخر، وكنت والآخرون حريصين على هذه الألعاب الجماعية ولو كان الجو ممطرا .

إن هذا الاختلاط بين الصغار ضروري في التنشئة، فبواسطته يتعلم الصغير الكلام، وطرق الحوار، والفوز والهزيمة، وقبول الآخر، والعمل الجماعي، وحب التعاون، والمشاركة في العمل والهدف، ويصير إيجابيا في واقعه ومستقبله، ولا يحتاج إلا إلى إشراف الآباء والأمهات من بعيد،... ولو اهتم المربون والآباء بهذا الاختلاط، فإنهم يحسنون صنعا مع الصغار.

وأخذت من هذا العمر أدور مع أقراني في شوارع القرية، وحواريها وأزقتها، نحدد مكانا في طرف القرية، ونتسابق في الوصول إليه من

طرق عدة، حيث يختار كل متسابق طريقا للوصول، وبذلك صارت طرق البلدة كلها مصورة في عقلي، أغمض عيني اليوم وأراها ماثلة أمامي ، بل إني أراها في نومي وأنا أتعامل، وألعب، وأجري مع أقراني خلالها .

إن النشأة الأولى لا تغيب عن الخاطر أبدا، وأحداث الماضي تعاود الذكرى، وتأخذني إلى حيث كنت أسرح، وأمرح، وألعب، لقد درجت في نواحي القرية، واستنشقت هواءها، وتعرفت برجالها، وكنت أنادي الكبار بلفظ "عم ، أو أب" وأقبل أيديهم، وأطيع أمرهم بلا أي غضاضة أو تردد .

إني أعترف لقريتي بالجميل، وأتمنى لها ولأهلها التقدم والرفعة، وأطلب منهم أن يتحابوا، ويتعاونوا، ويعودوا بقلوبهم إلى هذا الزمن الجميل .

ولما بلغت سن الرابعة أخذني أبي إلى شيخ الكتاب لأتعلم القراءة والكتابة، وأحفظ القرآن الكريم، ولم يكن للتعليم في القرية إلا مؤسسات الكتَّاب، والمدرسة الابتدائية ذات الفصل الواحد، وكانت مناهجهما متقاربة ..

فالمدرسة الابتدائية فيها موظف واحد هو ناظرها، ومدرسها، وكاتبها، ومعه فراش للخدمة والنظافة، ومهمة المدرسة تعليم القراءة والكتابة ، ومبادئ الحساب، وكان ناظر المدرسة يقوم أحيانا بتربية الأطفال دينيا ، ويقص بعض القصص عليهم، وكانت المدرسة توزع

على الأطفال المنتسبين لها الكتب المقررة، ووجبة غذاء يومية، وكان فيها البنين والبنات، ومبنى المدرسة واسع ومفروش، مكون من ثلاث حجر، إحداهما للدراسة، والثانية مكتب الناظر، والثالثة مخزن الكتب والأدوات المدرسية، وبالمدرسة صور تعليمية وإرشادية عديدة، وخرائط كبيرة لمصر والسودان، ودول حوض النيل، وكانت الدراسة في المدرسة تستغرق ثلاثة أعوام، يتعلم الأطفال فيها القراءة والكتابة، ومبادئ الحساب، وبعض آيات القرآن الكريم، وشيئا من القصص الإسلامي، وأحداث مصر يومذاك.

أما الكتَّاب فهو بناء مكون من حجرة واحدة كبيرة يكتظ فيها الأطفال على مختلف مستوياتهم، فمنهم من يتعلم القراءة والكتابة، فإذا ما أتمها انتقل إلى حفظ القرآن الكريم، ومنهم من يقوم بقراءة آيات على الشيخ ليحفظها، ومنهم من يسمع الحفظ المطالب به، .... ويستمر هذا النشاط إلى الظهر، ونذهب عند الظهر للغذاء، وبعد الغذاء نعود للكتاب للقراءة الجماعية للمحفوظ من القرآن الكريم .

وكان حفظة القرآن الكريم على مستويين الكبار والصغار، فالصغار هم الذين يحفظون القدر الذي يكتبونه في اللوح، ويقومون بتسميعه ولا يعودون إليه، وعند وصولهم إلى سور معينة يبدأون في حفظ اللوح وتسميعه، ومراجعة ما حفظوا من السور التي حدد لهم الشيخ بدايتها، وبذلك يتحولون إلى صف الكبار، لأنهم يحفظون اللوح الجديد، ويسمعونه مع تسميع قدر من السور التي سبق لهم حفظها، وكنا نسمي

المحفوظ السابق " تربية" .

ويختلف الكتَّاب عن المدرسة في أنه يهتم بالقراءة والكتابة، وتحفيظ القرآن الكريم، ولا مانع من أن يجمع التلميذ بين المدرسة والكتاب، بل كان ناظر المدرسة وشيخ الكتاب يحرصان على ذلك ليكمل كل منهما الآخر، ... وكان الجمع بين المدرسة والكتاب يتم بطريقة سلسة حيث يذهب التلميذ مبكرا إلى الكتَّاب، ويأخذ المقرر عليه، ويذهب إلى المدرسة ويتلقى بعض الدروس حتى الظهر، ويتناول الغذاء في المدرسة، ثم يعود إلى الكتَّاب ، .... وكان ناظر المدرسة يتخير طلبة الكتَّاب الجيدين ليظهر فيهم آثره، ويسهل عليه تعليمهم، وكان الأولاد يتسابقون للذهاب للمدرسة لنظافتها، ولوجود مقاعد فيها، ولوجبة الغذاء المكونة من رغيف، وقطعة جبن، وقطعة حلوى، وكيس من الفول السوداني، وخمس تمرات .

وقد أكرمني الله تعالى بالذهاب إلى المدرسة مع الدراسة في الكتَّاب، وتميزت فيهما، فكان أن حضر ناظر المدرسة الأستاذ / مصطفى السعدني إلى أبي في بيتنا، وأوصاه بضرورة تعليمي، وكان يكلفني بالإشراف على التلاميذ، ومتابعتهم فيما يمليه علينا، وأذكر أن ناظر المدرسة كان له ابن اسمه "صلاح" دخل الأزهر، فكلفني بالجلوس معه لأعاونه في المذاكرة، وأسمع له ما يحفظه .

ومثل ذلك فعل شيخ الكتَّاب ، فقد قال لأبي حين سأله عني وعن مستواي: لا تقلق على ابنك فسيكون له شأن .

وكان يقول لي: هل ستنساني يوم أن يكون لك منصب كبير ؟ ...، وكنت أسمع ولا أجيب ، ولا أعرف من مقصده شيئا .

إن دور كتاب القرية هام في تعليم مبادئ القراءة والكتابة، كما أنه يعد محضن تعليم وتحفيظ القرآن الكريم بشرط إجادة شيخ الكتاب للقراءة، وإخلاصه في العمل، وحرصه على تعليم أبناء القرية .

وأشهد أمام الله تعالى صادقا بأن الكتَّاب الذي تعلمت فيه قبل الأزهر تميز بشيخين كريمين هما : الشيخ "**عيسى طه**"، والشيخ "**إبراهيم ويح**"، ... وكلاهما يحفظ القرآن الكريم ، ويجيدان تلاوته، وتجويده، ويحرصان على تحفيظ الأولاد بكل جدية ممكنة، وينتبهان إلى حيل الصغار للهروب من التسميع بذكاء وفهم، .... وأذكر هنا أن الشيخ "إبراهيم ويح" وكان مكفوف البصر سمَّع عليه بعض الطلبة فلاحظ منه حفظا لم يعهده فيه من قبل فمد يده إلى الطالب وضبطه متلبسا بقراءته من المصحف، فنال جزاءه الذي يستحقه.

لقد تخرج من كتَّاب القرية حفظة القرآن الكريم ، وتمكنوا بعده من مواصلة التعليم في الأزهر، فكل الذين تخرجوا من الجامعات على تنوعها تخرجوا أولا من كتَّاب القرية، ويمكن الاعتماد على منهجية الكتَّاب في تحفيظ القرآن الكريم بشرط إعداد المكان المناسب، ومكافأة الشيخ على جهوده وعمله، والإشراف العلمي على نشاط الكتَّاب، وتنظيمه، وتوجيهه،... وهذا خير من قيام معاهد الأزهر الابتدائية والإعدادية بتحفيظ القرآن الكريم ، لأن الطلاب في المعاهد عدد كبير ،

ومدرسوا التحفيظ قليلون، وساعات الحفظ قليلة، ولو تبنى الأزهر الكتاتيب، وأشرف عليها ماليا، وإداريا، وتنظيميا لكان أخير وأحسن.

لقد مكثت في كتَّاب القرية تسع سنوات جمعت في ثلاث منها بين الكتَّاب والمدرسة، ومرت هذه المدة كما قدر الله تعالى لها ، ولا أعي منها الكثير، **إلا أني اذكر منها دروسا وعبرا أهمها ما يلي : -**

أولاً : مرحلة الطفولة الأولى تحتاج إلى تنظيم تربوي، يضمن حرية حركة الصغير، ووضعه في مسارات حسنة بشكل سلس لا يحس فيها بضغط أو إكراه، ويا حبذا لو تمكن المربون من إشعاره بأنه يحقق رغبته، واليوم توجد "مراكز الشباب" ، ويا حبذا لو جعل المشرفون عليها مكانا للصغار يمرحون، ويرون أعمال الكبار .

ثانياً: الطفل في مراحله الأولى يميل إلى تقليد أبويه، ومن يعاشرهم من الأهل والأقارب، ولذلك يحسن للآباء أن يتعاملوا مع الصغير برفق وهدوء، ولا يثيروا مشاكلهم أمامه، لأنه ينفعل بما يرى ويسمع، ويجب أن يبعدوه عن سيئي الخلق، والسلوك حتى لا يتأثر بهم.

لقد ثبت أن الطفل في فترة الحضانة يختزن ما يسمع ويرى قبل أن يقدر على الكلام والحركة، ولا يظهر ما يختزنه إلا بعد نطقه وإدراكه الأول .

ثالثاً : يستحب تلقين الطفل في سنواته الأولى حب الإسلام، وحب تعاليمه، وكيفية القيام به بطريقة مقبولة، وحقيقية، مع عدم المبالغة، ... مثل ربط العبادة برضى الله ﷻ ، وتذكيرهم بالنعيم للصالحين، ولا يصح

رواية قصص خيالي، لأنها تضر ولا تفيد، فمثلا تظهر بعض الأديان الأخرى رجلا بمظهر جذاب، ويضعون معه الحلوى، والهدايا المختلفة، ويأخذها الأطفال بزعم أنها جاءت من رسولهم وإلههم، ... وقد يسر الطفل بالهدية إلا أنه بعد فترة سيكتشف الخداع في الهدية ، ومن المؤسف أن بعض المسلمين يشاركون في هذا الخداع حين احتفالهم بأعياد الميلاد .

ومن المهم عدم ترك الأطفال للقصص الخرافي الذي يتحاكون به، ويمكن الاستفادة بالتوجه الفطري عند الأطفال الذي ينشط بعد معرفتهم شيئا عن الإسلام على النحو الذي سمعناه في الكتَّاب والمدرسة، وأذكر عن نفسي وزملائي في الصغر أنا كنا نطوف بالقرية في شهر رمضان نهتف في أوله ونقول : " هل هلالك يا رمضان، أهلا أهلا يا رمضان".

وبعد مرور عشرة أيام منه ندور في طرقات القرية، ونهتف ونقول : " فرق العشرة من العشرين سبحان الدايم يا رمضان " ....

وبعد مرور عشرين يوما منه كنا نطوف ونقول : " فرق العشرين من العشرة سبحان الدايم يا رمضان" .

وفي الجمعة الأخيرة من رمضان كنا نقوم بين الأذانين بكتابة أوراق فيها آيات من القرآن الكريم، ونعدها حجابا لجلب الخير، ودفع الشياطين

وكثيرا ما تحدثنا عن مزايا الإسلام عن غيره من الأديان، وتوافقه مع العقل، مثل جمع ١+١+١= ٣ وليس واحدا .

وكنا نحن الصغار نتجمع حول مشايخ الطرق الصوفية الذين كانوا يأتون إلى القرية لجلب مريدين لطريقتهم، ... وعني فقد أخذت عهدا من شيخ رفاعي، وحاولت استخدامه للقبض على ثعبان – كما قال الشيخ – فلم أتمكن، ...

وهذا الاستعداد الفطري عند الصغار يحتاج لرعاية وتربية ممن يهمهم أمر أبناء القرية .

والمسئولية الأكبر تقع على علماء القرية، ومثقفيها بعد كثرتهم، ... ولا يصح ترك الصغار في اللعب واللهو ليلا ونهارا بلا توجيه، ولا يجوز إهمال الطفل في سنواته الأولى، وعدم تعليمه بسائط دينه الحنيف

وكل الأمل اليوم في الآباء والأمهات خلال مرحلة الصغر إلا أن الآباء والأمهات قد شغلوا عن أبنائهم بالوظائف، والأعمال الحرة، ومسئوليات الحياة ، إضافة إلى أن أغلب الآباء والأمهات يحتاجون إلى معرفة الإسلام ، وطرق التربية الإسلامية .

عشت هذه الفترة مع أم عزيزة، بذلت طاقتها في العناية بأولادها، وإعداد كل ما يحتاجون إليه من مأكل وملبس بقدر استطاعتها المادية، بالإضافة إلى مساعدة أبي في زراعة الأرض التي ورثها عن أبيه، ....

ومع أب كريم يقضي يومه في أعمال الزراعة، ويحرص على أن أحفظ القرآن الكريم لالتحق بالأزهر الشريف، وكان يطمئن علي بمقابلة شيخ الكتَّاب ، وناظر المدرسة، ويسهر معي ليتأكد أني أحفظ المقرر المطلوب .

وكان أبي يضطر أحيانا إلى تكليفي بأعمال زراعية معه في أرضنا، أو عند الآخرين بأجرة زهيدة، ....

وأذكر أني عملت في أراضي " آل سعيد" بمدبول ، وكفر مدبول مع المقاول " محمد الحيطاوي" .

وأراضي اسكندر في عزبته مع المقاول " علي السماحي" .

وأراضي سراج الدين بالجرايدة، وكفر الجرايدة مع المقاول " قطب العجمي" .

وأراضي وزارة الزراعة في قرى منية مسير مع المقاول حسين خليل.

وفي أراضي الحمراوي، والقرضا، ودفرية، وكفر دفرية مع المقاول "علي السماحي" وكنت متفوقا عن الآخرين في أعمال الزراعة .

وكثيرا ما تغيبت عن الكتاب لهذه الأعمال، مما جعل شيخ الكتاب يعدني من الصغار الذين لا يكلفهم بمراجعة وتسميع أجزاء من القرآن الكريم مع تسميع اللوح الجديد، فقد وصلت باللوح إلى سورة " الأعراف" ولم أراجع شيئا مما سبق، بينما بدأ الأصغر مني وهم أبناء العمدة، ومشايخ القرية في التسميع والمراجعة من سورة الكهف، ....

وفي يوم صرح الشيخ للصغار بعدم الحضور بعد الظهر وكنت أنا منهم، وأمر بحضور الكبار فقط .

فلما رأى أبي الأصاغر مني يذهبون إلى الكتَّاب، ولم أذهب أنا سألني عن السبب في ذلك ، فلما قلت له : أنا من الصغار الذين أمرهم الشيخ بعدم الحضور، تألم كثيرا، وذهب ثائرا من وقته إلى الكتَّاب

وعاتب الشيخ بشدة، وسحبني من الكتَّاب، وألحقني بكتَّاب الشيخ "محمد عبد العال"، الذي بدأ بتحفيظي القرآن الكريم بدءا من سورة البقرة ، وكان يكلفني بلوح كبير، ومراجعة وتسميع المحفوظ من أول سورة البقرة، وبذلك سبقت زملائي الآخرين .

وللشيخ الأول عذره معي فقد كنت أغيب كثيرا عن الكتَّاب، والأجر الذي يدفعه أبي قليل، وكان الشيخ يظن أن الكتَّاب هو نهاية المطاف في تعليمي، أما غيري فإن أباه كان يدفع أكثر مما يدفع أبي ، ومجاملات العمدة وشيوخ البلد للشيخ وأقربائه عديدة ومتكررة، واستمرار تعليمهم لا شك فيه .

ورب ضارة نافعة، فلقد اهتم شيخ الكتَّاب الثاني بي كثيرا ، واشترط علي أن لا أغيب عن الكتَّاب، ورغب أن يظهر كفاءته، وجهده معي، ... والتزم أبي بشرط الشيخ، ولم أغب عن الكتَّاب يوما ، وسبقت زملائي في الحفظ، ... وبعدها رجعت للكتَّاب الأول بعدما علم بحرص أبي على تعليمي، وبضغوط من والدتي لقرب الشيخ الأول لها، وأيضا فإن الشيخ " عيسى طه" صاحب الكتَّاب الأول كانت له دراية بمتطلبات التقدم للأزهر، وكانت له صلة وثيقة بـ "جمعية تحفيظ القرآن الكريم" الملحقة بالمعهد الأزهري المنشأ حديثا بمدينة " كفر الشيخ "، وكان يعد طلبته وفق الامتحان الذي يتم للطلبة المتقدمين للدراسة في الأزهر، وكان يهتم بمبادئ الحساب، وقواعد الإملاء مع تحفيظ القرآن الكريم .

في الفترة الأخيرة في هذه المرحلة لم أعد أكلف بأعمال زراعية، ولكني كنت أساعد والدتي في البيت في أعمال مثل كنس البيت، وتنظيف المصابيح، وملئها بالسولار، ورعاية الدجاج والبط، والأرانب .

إني أتذكر هذه الحقائق ، وأعود لنفسي وأقر بكل حسم وقوة بفضل الله تعالى علي، وأقارن ما أنا فيه اليوم بما كنت فيه في صغري، فأرى كرم الله تعالى يغمرني، وعطاءه المديد يلفني، وعنايته سبحانه وتعالى تحيط بي من كل جانب، ...

ولابد لي هنا أن أتوقف لأحمد الله تعالى على عنايته ورحمته بي، وهدايتي للدراسة بالأزهر، وتوفيقي في المسار التعليمي الطويل حتى حصلت على الدكتوراه في الدعوة الإسلامية .

لابد لي من شكر الله تعالى والثناء عليه، وتذكر أن الفضل كله له سبحانه وتعالى .

لابد لي أن أقر بأن ما أنا فيه عطاء إلهي محض لم أكن أتوقعه، ولم أتوقع شيئا منه أبدا، وهو فوق تصوراتي، وأحلامي، ورجائي .

ولو وقف أكبر علماء الفكر والاقتصاد على حالتي ، وما كنت فيه في شبابي وكل حياتي الماضية ما تصور شيئا مما أنا فيه اليوم، ....

إن ما أنا فيه اليوم بكل يقين عطاء الله تعالى، فهو الرزاق يقول للشيء كن فيكون، وواجب علي أن استمر عبدا شاكرا لله تعالى .

لقد فكرت وأنا في آخر سنة بكلية أصول الدين أن أبحث عن عمل بالثانوية الأزهرية يبعدني عن البطالة، ويغنيني عند الحاجة بعد التخرج،

وكان العمل وقتها كل أملي، فتقدمت لمسابقات عدة، وتم ترشيحي للعمل مقيما للشعائر في منية مسير، وواعظا بسجن أسيوط، ومرشدا للأيتام في أحد المبرات الخيرية بطنطا ، وظهرت هذه الترشيحات مع ظهور نتيجة السنة الأخيرة في كلية أصول الدين، وكنت الأول على قسم الدعوة، فتوقفت عن استلام أي عمل مؤملا في عطاء الله ﷻ المادي والعلمي، فقد رأيت أن الله معي، وشجعني أبي على ترك أي عمل من الأعمال التي رشحت لها، والاستعداد للدراسات العليا ....

وأسأل نفسي أمام القراء متمنيا منهم أن يتأملوا معي في هذه الأسئلة ليروا ما رأيته من عجائب القدر، وسعة رحمة الله تعالى، وضرورة الطاعة الدائمة، وتحقيق العبودية القانتة لله رب العالمين، فهو صاحب الفضل العظيم ....

وإني أسأل : -

- هل المقدمات التي عشتها في طفولتي تنبئ بشيء مما أنا فيه الآن ؟ ...
- ومن ألهمني الإجادة والبراعة في الكتَّاب والمدرسة ، وأعمال الزراعة، وأعمال البيت ؟
- وهل في مقدور بشر – مهما كانت سلطته وغناه- أن يصنع ذلك مع غلام عادي، فقير، لا يملك أبواه إلا القليل، ولم يملكا بذاتهما أسباب التعليم والتوجيه ؟ ...

- وهل توقع أحد لي وأنا في كتَّاب القرية أن أصل إلى شيء مما أنا فيه الآن ؟ ...
- وهل أصاب أحد ما أصابني ؟ ...
- ألم يكن من الممكن والمعقول أن يتجه بي أبي إلى الزراعة، وقد أثبت إجادتي، أو يعلمني مهنة خالي كحائك للملابس، وتاجر للأقمشة؟ وكنت أشترك معه أحيانا، وأساعده في عمله .

إن مسار القدر معي عجيب، مدهش، فلقد وضع في قلب أبي الإصرار على تعليمي رغم تحذيرات عديدة من الناصحين.

فقد نصحه خالي بأن التجارة أفضل من التعليم، وأنه يربح من تجارته أضعاف ما يناله خريجو الأزهر، فلئن كان خريجو الأزهر يعملون بمرتب تسعة جنيهات وقتها، فهو يربح هذا المبلغ في أسبوع، وربما في يوم واحد .

ونصحه عمي بعد أن أخبره أبي بنصيحة خالي بأن المهنة خير من الفقر، وبخاصة لمن يعجز عن التعليم ولا يتمكن منه .

ونصحه عالم يقدره أبي بأن تعليمي وتعليم أخي سيجبره على بيع الأرض، ومدة الدراسة طويلة، تأتي ثمارها متأخرة، مع أن هذا العالم هو الذي سخره الله تعالى ، ومكنه من تعيين أبي في وظيفة بسيطة بأرض وزارة الزراعة بمرتب شهري عند دخولي السنة الثانية الابتدائية في المعهد الأزهري.

يحكي لي الدكتور وهو الشيخ /عباس حمادة وكان نائبا للوفد عن الدائرة التي تتبعها منية مسير عن مسار القدر معه في تعيين أبي ، يقول : أخذت معي عدة طلبات للتوظيف من أبناء الأسر الكبيرة في القرية، ومعهم طلب أبيك، ودخلت على وزير الزراعة يومذاك الأستاذ / أحمد حمزة لتعيينهم فأخبرني بأن التعيين متوقف بسبب إلغاء معاهدة ١٩٣٦م ، والعمل على استيعاب العاملين بمعسكرات الجيش الانجليزي في القناة وعددهم سبعون ألفا، فألححت عليه، ورجوته أن لا أخرج من عنده خاويا، فأخذ مني الطلبات، وكانت عشرا، وسحب منها طلب أبيك، وقال : سأعين هذا فقط .

يقول الدكتور الشيخ : لو خيرت في هذا الوقت لاخترت تعيين أحد أبناء الأسر الكبيرة ردا لجميلهم معي في المعركة الانتخابية، إلا أن الخوف سيطر عليّ من طلب تغيير الموظف حتى لا يتصور الوزير أني آخذ رشوة من الناس، ... وهكذا تم تعيين أبي .

ولم يلتفت أبي إلى النصائح التي سمعها، واكتفى بنصيحة ناظر المدرسة الأستاذ / مصطفى السعدني الذي طلب منه ضرورة تعليمي لما رآه فيَّ من استعداد للتعلم .

عشت أيامي الأولى قبل دخولي الأزهر فترة نابضة في حياتي ، حفرها القدر في عقلي، وأراها اليوم في خيالي صورا حسية لا أنساها، ولا أقدر على التخلص منها أو إهمالها، وأخاطب نفسي :

- هل أنسى حواري القرية القديمة، وكانت مسالك حياتي ، ومكان لعبي مع أصحابي ؟
- وهل أنسى الهواء الذي استنشقته، والطعام الذي أكلته، وكله من منتجات القرية التي عشت فيها ؟ ومنها كان نموي وتطوري .
- وهل أنسى الكبار الذين كنت أناديهم بعمي، وأبي؟
- وهل أنسى زملائي في الكتاب الذين جلست معهم على الحصير نتعلم، ونتهامس، ونمشي سويا ؟
- وهل أنسى ملاهي الطفولة، وألعابها المتنوعة في بساطتها، وعفويتها؟

أنا لست أدري كيف أنسى ذكرياتي لا القلب ينساها ولا جنباتي
أنا لست أعشق أن أعيش مكذبا للحق فيما مضى ولا في الآتي
أنا عبد للإله أعانني وأمدني بالفضل والكرمات
ولقد نويت لربي طاعة أدوم بها طوال حياتي
وآمل في القبول وعونه لأسعد في الحياة وفي الممات

إن الفضل كله لله تعالى فقد هدى أبي إلى تعليمي، وأعطاني من المزايا التي شجعت أبي على مراده، ومكنتني من إجادة كل عمل قمت به، وسدد خطاي في الدراسة والتعليم، وأعطاني ما لم يخطر على بال أحد

ولو بقيت أتكلم عن ذكريات هذه الفترة فلن أنتهي منها .

لقد كانت فترة حياتي الأولى فترة صعبة لأهل القرية جميعا، فقد أنهمكوا في الزراعة والفلاحة، ولم يتجه إلى تعليم الأبناء إلا عدد قليل في القرية، سبقني منهم عدد، وقدر الله تعالى لي أن ألحق بهذا الركب

كما تمنى أبي تشبها ببعض علماء القرية، وكان كل أمله أن أتعلم الدين وأحفظ القرآن، وأشبه العلماء والأئمة، والوعاظ الذين كان يراهم أحيانا .

رحمك الله يا أبي، فلقد خضت معي معركة لم تكن مؤهلا لها، وكان إيمانك بالقدر، وتوكلك على الله تعالى ، وحلمك بمستقبل أفضل هو دافعك على هذا الحرص، وهو سلاحك في هذه المعركة .

رحمك الله يا أبي ، فلقد كنت – وأنت الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب– تجلس معي ساهرا بالليل لأحفظ المقرر ولا أنام .

رحمك الله يا أبي : فقد اقتطعت من دخلك قرشا واحدا كل أسبوع تعطيه لي وأنا في الكتاب لأذهب إلى السوق في قرية " مسير" لأشتري به كتابا صغيرا يتضمن قصصا شعبية مثل : عنترة بن شداد، وأدهم الشرقاوي، ورابعة العدوية، والسيد البدوي، وإبراهيم الدسوقي ، ....الخ .

وكنت في هذه المرحلة شغوفا بقراءة هذه الكتيبات، وكان أبي يعطيني ثمنها، وكان القرش يومئذ ينفع في شراء طلبات العائلة من خضروات وفاكهة .

واليوم أنظر في هذه المرحلة من عمري، وأرجع إلى طفولتي وآخذ منها العبر التالية : –

أولاً : ضرورة الإيمان بالله تعالى، والتسليم لقضائه وقدره، وسؤاله التوفيق والسداد، فهو المعطي، والرزاق، والله ذو الفضل العظيم، والعمل على تنشئة الأطفال على مبادئ الإسلام، ومزاياه بطريقة سهلة ومحبوبة، والاستفادة بتجارب الآخرين.

ثانياً: من الضروري الاهتمام بكتاتيب القرى، وذلك يتم بزيادة المصاريف التي يدفعها الطلاب شهريا لشيخ الكتَّاب، وقياسها بمصاريف الدروس التي يأخذها المدرسون في المواد العلمية ما لم تقم الدولة برعاية شيوخ الكتاتيب.

ولابد من إيجاد فصول عديدة للكتَّاب، ليجلس في كل فصل الطلاب ذوو المستوى الواحد .

ولا يصح أن يستمر طلاب الكتَّاب جالسين في مكان واحد متسع، على فراش رقيق صيفا وشتاء بأعداد تصل أحيانا إلى المئات .

وأحيانا يدرس الشيخ لبنات صغار مع الأولاد ، وهذا يوجب وجود فصول عديدة، ومدرسات من حفظة القرآن الكريم .

ثالثاً: قيام مثقفي القرية ومن أكرمهم الله تعالى بحفظ القرآن الكريم والتخرج من كتَّاب القرية، المساهمة بقدر استطاعتهم في نشر القرآن الكريم بين الناس، وتوجيه الصغار إلى حفظه، وفهمه، والعمل به

وقد أعانني الله تعالى بإنشاء مدرسة دولية بالقاهرة تتبع المنهج الأمريكي، وفيها حاولت تحفيظ الطلبة القرآن الكريم ، فعينت عددا من حافظات القرآن الكريم للقيام بهذه المهمة خلال حصص التربية الدينية، على أن تقوم المُدرسِّة الواحدة بتحفيظ خمسة طلاب على الأكثر ، ... وقد أثمرت التجربة قليلا لأن الحصص قليلة ، ووجود عدة لغات يتعلمها الطلاب يقلل اهتمامهم بحفظ القرآن الكريم، وأغلبهم يكتفي بإتقان تجويده، وإتقان قراءته في المصحف ، وحفظ القليل منه .

والتجربة تحتاج إلى تطوير يناسب الواقع في المدارس الدولية .

رابعاً: ضرورة رعاية شيوخ الكتَّاب، وإمدادهم بما يحتاجون إليه من كتب وكراسات، ولا مانع من وضعهم في مرتبة وظيفية تناسب علمهم، وأحوالهم، فقد حفظوا القرآن الكريم، وجودوه، وبعضهم يحمل مؤهلات علمية، وله أسرة هو مسئول عنها .

ومن الضروري أن يشرف الأزهر على الكتاتيب باعتبارها مقدمات للتعليم الأزهري، مع الاستعانة بشيوخ الكتاتيب في تحفيظ القرآن الكريم في المعاهد الأزهرية، ومن المهم أن تكون الدراسة في الكتاتيب مجانية، ووضع منهج لها .

إن الكتَّاب هو التعليم الأساسي للأزهر الشريف، والواجب تنظيمه ليصير مقدمة حسنة للأزهر الشريف .

خامساً : الفترة الأولى للطفل فترة هامة، يتم فيها التوجيه الذهني والعملي، وينمو الطفل خلالها لما يميل إليه، ولذلك وجب على الوالدين اكتشاف استعداد أبنائهم، وتنميته، وتوجيهه إلى الغاية التي يأملونها في أبنائهم، والإشراف على الأبناء من قريب، وبث روح الأمل في الصغار، .... وأذكر أن أبي كان يحثني على حفظ القرآن الكريم ، ويسأل عني المشايخ، وكان يمكنني من شراء كتاب أسبوعي من سوق القرية ، وهذا عودني على حب القراءة ، والرغبة في متابعة أخبار السابقين، فنشأت محبا للأخبار السياسية، ومكنني الله تعالى على ذلك بطريقة سهلة ، لأن العمدة والمشايخ كلفوا الشيخ/ عيسى طه بإحضار الصحف اليومية

التي كانت تأتي لهم يوميا مع قطار السكة الحديد ، وكان الشيخ يكلفني بإحضارها من محطة السكة الحديد، فكنت أقطع مسافة الذهاب وأنا أجري بلا توقف،... وأقطع العودة في هدوء وأناة لأقرا عناوين الصحف المرسلة أثناء رجوعي، وكانت هذه الصحف هي " الأساس" لسان الحزب السعدي، و"البلاغ"، و" المصري" لسان حزب الوفد ، وبهذا الهدوء أصل للكتَّاب وقد قرأت أهم عناوين هذه الصحف .

سادساً: من الضروري تنظيم ألعاب الصغار، والإشراف عليها، لأن الخبثاء يندسون بين الأطفال لنشر العادات السيئة ، .... والأمر اليوم سهل، فقد أنشأت الدولة مراكز الشباب ، وأوجدت المؤسسات العلمية العديدة، ولابد من إشراف الآباء وأولي الأمر ليتعود الأطفال الألعاب الجماعية، وحب الخير والغير، وحب التعاون، وحب القرية، وحب الوطن، وبهذا يحرصون على أداء الواجب في شبابهم ورجولتهم .

ولما بلغ سني الثالثة عشرة أتممت حفظ القرآن الكريم، ومبادئ الحساب، والقراءة، وصرت مؤهلا للانتقال إلى الدراسة في الأزهر الشريف، وبدأت مرحلة جديدة من عمري .

وهنا

أحب أن أعلن أن نصائح الأهل والأقارب لأبي لم تكن غريبة ، أو شاذة، فقد تعاملوا فيها مع الواقع الاجتماعي في القرية، حيث لا يعلم أغلب الناس أبناءهم، وكانت مؤسسات التعليم الأزهري في عواصم المديرية فقط، في طنطا وكان أقرب معهد لنا في " دسوق"، وليس في

"كفر الشيخ"، لأن كفر الشيخ لم تكن مديرية إلا في سنة ١٩٥٠م، ولم يكن من أبائي من يرعاني في الدرس والمذاكرة، ولم يكن أبي غنيا، وفي نفس الوقت له عدد وفير من الأولاد، ... وتوقعوا مني تفوقا في أعمال الزراعة تساعدني في المستقبل، وإني أضع هذه النصائح اليوم في موضعها، ولا أظن في أهلي وأقربائي الناصحين إلا خيرا .

وأذكر بالفضل كل من ساعدني في مسيرتي، وأرجوا الله تعالى أن يجزيه عني خير الجزاء.

وأذكر أني كنت سلبيا في نظرتي للمستقبل، ولم أقصد هدفا محددا ، ولكنها إرادة الله ﷻ ، فقد يسر لي السبيل، ووفقني في الأداء .

-٥-
في رحاب معهد كفر الشيخ الديني

الأزهر الشريف هو موئل الإسلام في مصر، وفي العالم كله، وأهم معقل للدعوة إلى الله تعالى، فلقد أنشأ المعاهد الدينية في مصر، وفي العالم الإسلامي، وأرسل الوعاظ والمدرسين للدول الإسلامية ، وأقام المراكز الإسلامية العديدة في العالم الخارجي، وله وعاظه المنتشرون في كل أرجاء الدنيا، وأئمة وزارة الأوقاف جميعا من خريجي الأزهر .

وكانت معاهد الأزهر التعليمية في مصر محدودة في النصف الأول من القرن الماضي، إذ اكتفى الأزهر بإقامة معهد ديني في عاصمة كل مديرية التي تحولت بعد الثورة إلى محافظة، وقد أنشأ الأزهر معهدا في دسوق قبل أن توجد مديرية كفر الشيخ، وبذلك وجد معهدان في مدرية الغربية وعاصمتها "طنطا" هما معهد طنطا الديني، ومعهد دسوق الديني

وكانت الدراسة في الأزهر تشمل مرحلتي الابتدائية والثانوية ، ومدة الدراسة الابتدائية أربع سنوات، ومدة المرحلة الثانوية خمس سنوات، على أن يقبل الأزهر في المرحلة الابتدائية الطالب إذا أتم حفظ القرآن الكريم ، ونجح في الامتحان التحريري الذي يشمل الإملاء، والحساب ، واختبارات الذكاء، وفي الامتحان الشفوي في حفظ القرآن الكريم، واجتياز المقابلة الشخصية .

وفكر أبي في تعليمي ولم يكن أمامه إلا معهدا دسوق، وطنطا، وعليه أن يختار أحدهما، وكلاهما بعيد عن موطني ويحتاج إلى مصاريف كثيرة، إلا أن بعض المصلحين في مدينتي كفر الشيخ وميت علوان

اجتهدوا في تحويل جمعية تحفيظ القرآن الكريم بكفر الشيخ إلى معهد ابتدائي مكون من أربع فصول فقط، ونشأ معهد كفر الشيخ معهدا حرا بعيدا عن الأزهر قبل دخولي بعام واحد ، وتولى التدريس فيه الشيخ "**حسن خرسا**" ، والشيخ "**محمد عبد العال**"، وهما صاحبا فكرة إنشائه مع بعض المدرسين المبتدئين.

وبعد مرور السنة الأولى وافق الأزهر على ضم معهد كفر الشيخ الديني، ووضعه تحت إشرافه، وأمده بالمدرسين، ولذلك تغير عدد الداخلين، ففي السنة الأولى كان به عشر طلاب، وفي السنة الثانية، وهي السنة التي دخلت فيها كان عدد الطلاب أكثر من أربعين طالبا .

وكانت المناهج دقيقة تشمل الفقه، والنحو، والصرف، والتوحيد، والسيرة النبوية، والتاريخ، والجغرافيا، والرياضيات، والرسم، والإملاء ، والمطالعة بالإضافة إلى حصص الألعاب الرياضية .

وفي المرحلة الابتدائية كانت كتب الدراسة في العلوم الإسلامية والعربية من كتب التراث، ففي الفقه كان **كتاب اللباب**، وفي النحو والصرف كان **شرح الأجرومية، وتنقيح الأزهرية، وقطر الندى، وشذور الذهب**، ... وكانت الدراسة في المعهد جادة، فلم يغب طالب إلا نادرا، ولم يقصر مدرس في الشرح، وكان الطلبة يحبون الأساتذة ، ويعاملونهم بتقدير كما يتعاملون مع أبائهم، وكان المدرسون نعم المربين، ونعم الآباء، فلقد كانت إدارة الأزهر تختارهم من أوائل الخريجين من الكليات الأزهرية، وهي كليات "أصول الدين، والشريعة، واللغة العربية " .

والحمد لله فما زلت أذكر شروحهم، ووقفاتهم، وطريقتهم في التفهيم والمراجعة، وإني كلما ذكرتهم دعوت لهم فقد وضعونا على الطريق الصحيح ، وحببونا في المنهج المستقيم .

لما انتهيت من حفظ القرآن الكريم تدربت على مواد امتحان القبول، وعلمني الشيخ " عيسى طه" طرق الإجابة، ورغب أبي في تقديم أوراقي إلى المعهد الديني، فسأل من له خبرة عن معهد كفر الشيخ الحر، وهل سيعتمده الأزهر ، فسمع من الشيخ " مصطفى السماحي" أن الأفضل معهد دسوق، لأن الأزهر يعتمد شهاداته، وقد أدخل ابنه الشيخ "حسن" فيه، ... إلا أن الآخرين بينوا لأبي أن الأزهر سيعترف لاحقا بمعهد كفر الشيخ ... وذهب أبي إلى بعض أقاربي بعزبة خميس الذين لهم أبناء في جمعية تحفيظ القرآن الكريم بكفر الشيخ، وهي التي تؤهل خريجيها للمعهد، وطلب منهم أن انضم للجمعية لأضمن الدخول في المعهد، فأخبروه أن الوقت قد مضى، ولا سبيل أمامه إلا التقدم لامتحان القبول الذي يعقده المعهد للمتقدمين المستوفين للشروط .

وقد اهتم أبي بإلحاقي بالمعهد الديني بكفر الشيخ، بعد أن اطمأن على إمكانية أن يضمه الأزهر إليه، وأخذ يجهز الأوراق، والتعهدات المطلوبة في سرية تامة، وضاعف الشيخ / عيسى مقرر الحفظ، وبدأ يُسمَّع لي جزأين في اليوم، مع الحرص على الحفظ التام، ونشأت مشكلة، فقد ذهبت إلى مستشفى الأمراض المتوطنة لاستخراج شهادة بخلوي من هذه الأمراض كأحد أوراق التقديم للمعهد، ورأى الأطباء بعد

التحليل أني مصاب بهذه الأمراض، ولابد من علاجي، فكنت أذهب إلى كفر الشيخ يوميا لآخذ الحقن المقررة، وأعود بعد الظهر لتسميع ما قرره شيخي عليّ، بعد أن أكون راجعت حفظه في الليل وفي المستشفى .

ولما تم إعداد أوراق التقديم أخذها أبي وسلمها إلى الشيخ/ حسن كلبوش، وهو قريب والدتي، وطلب منه الحرص عليها وتقديمها للمعهد، والمحافظة على السرية حتى يتم القبول .

وقد قام الشيخ / حسن كلبوش بالأمر، وقيدني في جدول المتقدمين للقبول بالمعهد الديني .

وفي يوم الامتحان اصطحبني أبي، وأديت الامتحان التحريري ثم الشفوي في يوميين متتابعين .

وبعد أسبوع ظهرت النتيجة، وأرسل المعهد للناجحين إخطارا بنجاحهم، وتحديد موعد الدراسة، وشروط الحضور في المعهد حيث من الضروري أن يلبس الطالب الزي الأزهري ، وهو العمة والكاكولة.

وهنا

قابل أبي أول أزمة، وهي أنه لا يملك المال الذي يشتري لي به الزي الأزهري، فذهب إلى شيخ المعهد، وطلب منه أن أحضر بغير الزي الأزهري فوافق مشكورا .

وبدأ إشراف الأزهر على معهد كفر الشيخ، فعين به خمسا من المدرسين اختارهم من أوائل خريجي الكليات الأزهرية الثلاث، وأشهد لهم أمام الله تعالى ، فلقد كانوا جادين مخلصين، صادقين، لم يغب

أحدهم حصة واحدة طوال العام، وكانت شروحهم للعلوم واضحة، وكانوا يتابعون الطلاب يوميا بالدرس والحوار، ولم يضيعوا دقيقة واحدة من أي حصة، ونشأت بينهم وبين الطلاب علاقة أبوية، وكنا نحب ذواتهم، وعلمهم، ونحب أن ننفذ ما يطلبونه منا في المذاكرة، وتحضير الدرس، والاستعداد للاختبارات الشفوية والتحريرية .

ومن عجيب إخلاص هذه الصفوة من المدرسين أن طلاب السنة الثانية التي تسبقنا بعام واحد قرروا عدم الخروج من الفصل ليذاكروا في وقت الفسحة، فما كان من الأساتذة إلا أن أعدوا جدولا خاصا بهم ليشاركوا الطلاب في فترة الفسحة.

وكنا نحن طلاب السنة الأولى نمر على باب غرفة طلاب السنة الثانية، وننظر إليهم بدهشة، وإعجاب، وتقدير، وكان الأساتذة يثنون عليهم أمامنا، ويطلبون منا أن نجتهد مثلهم .

لقد كان الأساتذة يوجهوننا لطاعة الله تعالى، ويوضحون لنا خلال دروسهم جوانب الإعجاز الإلهي في كل ما خلق وشرع ، وجعلوا العلوم على تنوعها طريقا هاديا لله تعالى .

ومع إخلاص المدرسين كان جهد شيخ المعهد الشيخ / حسن خرسا خلال اليوم الدراسي، فهو دائب المرور على الفصول الدراسية، وحريص على أن يعرف طلاب المعهد فعددهم قليل، وكان يستقبل أولياء الأمور شهريا ليسمع منهم، ويطلب منهم مساعدته في تربية الطلاب .

ولم يخل المعهد في أيام الدراسة من مفتش لأحد العلوم المقررة ، فكان يفتش على مادته، ويشرف على حركة الطلاب، ونشاط المعهد .

كان عدد المعاهد الأزهرية في القطر المصري لا يزيد عن عشرين معهدا، حيث يوجد في كل مدرية معهد واحد يضم القسم الابتدائي والثانوي، وكان المفتش يمر بهذه المعاهد من أسوان إلى الإسكندرية، وهذا هو سر تواجد المفتشين في المعهد طوال العام .

ومن دقة هؤلاء المفتشين أنهم كانوا يعقدون مقارنات بين طلاب المعاهد ، ويحاولون معرفة الإيجابيات والسلبيات في كل المعاهد ، ويقترحون الحلول التي يرونها .

لقد تمكن الأزهر خلال هذه الفترة من تعليم طلابه، وتخريج عدد كبير من الطلاب الجادين الراغبين في العلم والمعرفة .

لقد كانت المناهج عالية المستوى، والكتب هي كتب التراث، والأساتذة علماء جادون في التعليم والدعوة، وكان الطلاب على مستوى جيد ، فقد حفظوا القرآن الكريم ، ونجحوا في امتحان القبول بالمعهد ، والإدارة واعية تراقب بذكاء، وتطاع بأدب، والمفتشون لم يتركوا ثغرة بلا تتبع وإشراف، واستفادوا بقلة المعاهد ، وقلة عدد الطلاب، ونجحوا بسبب إخلاص وصدق كل العاملين في المعاهد الأزهرية .

وأنا اليوم أرجع إلى الوراء، وأؤكد أنهم كانوا رجالا مخلصين لله ﷻ ولرسوله ﷺ ، وللإسلام ، والمسلمين، وكانوا خير رسل الأزهر إلى الناس، وخير الدعاة إلى دين الله تعالى .

ومضت سنوات المرحلة الابتدائية، ونجحت في سنواتها الأربع بتفوق وسوف أختار منها بعض الأحداث الخاصة بي، والتي أتذكرها جيدا: –

أولاً: بعد نجاحي في السنة الأولى وانتقالي إلى السنة الثانية تقدم أخي " إبراهيم " للمدرسة الإعدادية بكفر الشيخ، ونجح في امتحان القبول، وصار واجبا على أبي أن يجهز له الزي المدرسي المطلوب، وهو عبارة عن قميص وبنطلون شورت ، بالإضافة إلى تجهيز الزي الأزهري لي ... وأكرمه الله تعالى في أجازة الصيف فتم تعيينه بوظيفة بسيطة في أعمال وزارة الزراعة بالقرية ، فرأى أن يحضر لإبراهيم بنطلونا وقميصا من أول مرتب لضرورته، ويشتري لي الزي الأزهري بعد ثلاثة أشهر، وسأل الله تعالى المعونة والتوفيق .

وسارت الأمور على غير ما خطط أبي ، فقد تقدم للأزهر هذا العام عدد من أبناء القرية ، وهم : –

١– " مصطفى " ابن عمي عمدة القرية .

٢– " محمد " ابن الشيخ بسيوني كواسة ، شيخ منية مسير .

٣– " عبد الرازق " ابن الشيخ محمد بسيوني علام شيخ نجع مسير

٤– "زين" ابن الحاج أبو شعيشع المنياوي الذي يعمل بمديرية الأمن

فلما قبلهم المعهد تجمع آباؤهم، وذهبوا سويا إلى شركة بيع المصنوعات المصرية واشتروا لأبنائهم قماش الزي الأزهري، وما يلزمهم من حقائب وغير ذلك، فقابلهم الشيخ / حسن كلبوش وسألهم عن سر تجمعهم ، فأخبروه ، واستعانوا به في معرفة الترزي الجيد في حياكة

الكواكيل، وصناعة العمم، فأخبرهم، ... فلما رجع إلى البلد أرسل إلى أبي وسأله عن السبب في عدم شراء الزي الأزهري لي، فشرح له أبي خطته ، فما كان منه إلا أن أخذني وأخي إبراهيم في اليوم التالي ، ولم يرض أن أذهب إلى الأزهر بجلباب عادي ، ويذهب من هم أصغر مني بالزي الأزهري، وأصر على أخذي وأخي في اليوم التالي، واشترى القماش الذي يكفي الكاكولة الأزهرية، وبنطلونين وقميصا لإبراهيم ، وذهب بنا إلى الترزي الذي يعرفه ، ودفع له الأجرة مقدما، وطلب منه الانتهاء بسرعة من الحياكة ، فاستجاب الترزي ، وانتهى من الحياكة بعد أسبوع واحد، واشترى لي ولأخي حقيبتين وما يلزم للدراسة .

إني لا أنسى للشيخ / حسن كلبوش هذا الموقف، وأدعو له بالرحمة وحسن الجزاء .

وقد قام أبي بشكره، وسدد له ما أنفقه علينا من مرتب أربعة أشهر تالية

ثانياً: كنت أحب الدراسة، وأحرص على التفوق، وكنت أستعير الكتب من الطلاب السابقين وأذاكرها في فترة الصيف، وذات يوم وأنا في السنة الثانية سألني زميلي "عيسى علي عيسى" من قرية " الكوم الطويل" وكان يجلس بجواري في الفصل قبيل حصة السيرة ، وقال : هل أنت تذاكر؟ ... فقلت له: لقد انتهيت من السيرة، فأخذ الكتاب وأخذ يسألني، واندهش لأني أجبته في كل ما سأل، فلما دخل الشيخ نصحنا بضرورة المذاكرة، وعدم إضاعة الوقت، فقال له زميلي: إن أحمد يحفظ الكتاب كله، فسألني الأستاذ ومدحني، وطلب مني الاستمرار في المذاكرة .

ثالثاً : كانت وزارة المعارف تصرف لطلابها غذاء مجانيا، وكان أخي "إبراهيم " يخرج من المدرسة قبلي، ويأتيني وينادي علي من الشباك الذي كنت أجلس بجواره، ويسلمني كيس الفول السوداني، ويكتفي بالبرتقالة والتغذية، واستمر على ذلك يقسم نصيبه بيني وبينه .

رابعاً : في نهاية السنة الثانية وفي يوم ظهور النتيجة حضر أولياء أمور الطلاب، وأغلبهم عمد، ومشايخ، وأثرياء المركز والمديرية ، وحضر أبي معهم ، فلما جاء شيخ المعهد ليعلن النتيجة أمسك بيد أبي ورفعها، وقال : لم ينجح إلا ابن هذا الرجل الفقير، لأنه يشرف على ابنه، ويحثه على المذاكرة، فسر أبي سرورا كبيرا، وقبلني، وكان دائما يقول لي: " **لقد رفعت رأسي بين الأعيان**" .

خامساً: كانت مادة الرياضيات بفروعها الثلاثة –الحساب، والهندسة والجبر – مقررة علينا في المرحلة الابتدائية، وقد عهد مني أستاذ المادة الأستاذ / خطاب تجاوبي معه في حل لغز مسائل الحساب ، وتمارين الهندسة، وكان يطلب مني أن لا أجيب على أسئلته إلا بعد أن يأذن لي، وكان يأذن لي دائما بعد عجز الطلاب، ولاحظ أني لا أتجاوب معه يوم الثلاثاء في الحصة الأولى، وبحث عن السبب فعرف أني أشتري مجلة " التحرير" التي تصدر في يوم الثلاثاء ، وانشغل عنه بقراءتها في الخفاء، فما كان منه بعد ذلك في كل يوم ثلاثاء إلا أن يأتي إلي ويأخذ المجلة قبل أن يبدأ في الدرس، ليضمن مشاركتي معه .

سادساً: أذكر أني بعد نجاحي من السنة الثانية استعان بي بعض

الذين لهم دور ثان في الرياضيات أن أدرس لهم بأجر اكتسبته لأول مرة في حياتي من الدروس .

سابعاً : لم يدم سفري وأخي إلى كفر الشيخ في قطار الدلتا، فقد خصص التفتيش الزراعي عربة نقل لأبناء الموظفين يركبونها وهم ذاهبون إلى المدرسة أو المعهد ، وأثناء رجوعهم، وبذلك أخذنا نستخدم العربة في الذهاب والعودة .

تاسعاً: ذات يوم فكرت في الذهاب إلى احتفالات مولد "**سيدي طلحة**" بكفر الشيخ، وحدث لي أن وقفت أمام من يلعب " **الثلاث ورقات**" فرأيت من يلعب بجنيه يأخذ جنيهين، ففكرت أن أكون مثله، فلعبت بعشرة قروش فخسرتها، فلعبت بكل ما معي وقدره خمسة عشر قرشا، فخسرتها ، وكانت هي مصاريف الأسبوع ، فلم أخبر أحدا، وبقيت طوال الأسبوع لا أصرف شيئا ، ولم أعد لمثلها ، وظللت أكره الذهاب إلى الموالد .

عاشراً : حرصت خلال المرحلة الابتدائية على قراءة صحيفة يومية، وكانت هي جريدة "المصري" قبل الثورة، وجريدة " الشعب " بعد الثورة، وكنت أحرص على قراءة كتاب أو كتابين كل شهر، وكنت أوفر ثمن الجريدة والكتابين من مصروفي، ولا أخبر بذلك أحدا، حتى لا يتصور أني أضيع الوقت في غير المذاكرة، وكان أبي يسهر بجانبي حتى لا أنام ، وخوفا عليَّ من نار المصباح، وذات يوم كنت أقرا في مذكرات "أحمد عرابي " وأنا في السنة الثالثة الابتدائية فلما وصلت إلى موضوع " نفيه من مصر " ، وركوبه السفينة من السويس إلى سرنديب " سيلان

" التي قرروا نفيه فيها ، وقد أخذ ينظر إلى موطنه النظرة الأخيرة ، ويتباكى عليه، ويشكو لربه المؤامرات التي أحاطت به ، فبكيت وسالت دموعي، فأشفق علي أبي، وظن سوءا لحق بي، وأخذ يسألني عن سبب بكائي، فلم أجبه، فقال لي: هل ضربك أحد؟، هل بك مرض أو وجع ؟ أو تخاف في امتحان الغد ؟ ..، فنفيت ذلك كله، ولم أخبره بالحقيقة حتى لا يعدني لاعبا، منصرفا عن المذاكرة المقررة .

لقد كنت حريصا على إرضاء أبي ، ولذا لم أخبره بقراءة الكتب الخارجية لتستمر ثقته فيَّ .

حادي عشر : أصبح عدد الدارسين في المعهد الديني بكفر الشيخ من أبناء مسير، ومنية مسير اثنى عشر طالبا، وعادة أهل الريف يسألون في أخر العام عن الناجحين؟ وعن من لهم دور ثان ؟ وعن من هو راسب ؟ ... وكانوا قبل ظهور النتيجة يقولون: لا تسالوا عن أحمد بن أحمد غلوش، فنجاحه مقرر .

ثاني عشر : كان أبناء القرية يحتفلون بنجاحهم في آخر العام، وكنت أقول لأبي: لا تحتفل بنجاحي، وهل يحتفل الفلاح بحصاد المحصول؟ ...

فيقول لي : لا .

فأقول له : وأنا مثل الفلاح أحصد ما زرعت ، وأجني ما عملت له .

ثالث عشر : أحب أن أذكر فضل الله تعالى علينا، وعلى أبي، فقد وسع الله تعالى عليه وأنا في المرحلة الابتدائية، وزادت ملكيته، فباع

فدان "الملقة" الذي ورثه عن جدي، واشترى فدانين ونصفا في حوض "الحوشة"، وفدانا في حوض "الشون" بمسير ، ثم باع بعد ذلك فدان حوض "الشون"، وفدان البحرية الذي ورثه ، واشترى أربعة أفدنة في أرض السرو، وبعدها اشترى أرضا بعزبة اسكندر، وأرضا بعزبة الطارق ومات إلى رحمة الله تعالى وترك لورثته ثمانية عشر فدانا .

وهنا أمر لابد من ذكره وهو أني نصحت أبي وأنا في المرحلة الابتدائية أن يعامل إخوتي المزارعين معاملة الشركاء الغرباء الذين يزرعون الأرض، بمعنى أن يكون لهم نصف ما تنتجه الأرض، وإذا اشترى فدانا جديدا فله نصفه، ولإخوتي المزارعين النصف الآخر، ... وقد نصحت والدي بذلك لأنه لا يصح أن أتساوى بإخوتي عند الميراث في الأرض الجديدة، وأنا لم أعمل معهم، ووافق أبي على تلك النصيحة وكان من نتيجة ذلك أن توزعت تركة أبي بعد وفاته على النحو التالي :

حصل إخوتي المزارعين على اثنى عشر فدانا ونصف .

وحصل إخوتي البنات على فدانين .

وحصلت أنا وأخي إبراهيم على ثلاثة أفدنة ونصف، مع التزام كل واحد من الورثة الذكور بدفع أربعين جنيها شهريا لأمي قيمة إيجار إرثها

والحمد لله على رؤيتي المبكرة لحق إخوتي في عملهم، وجهدهم .

والحمد لله أن أكرم أبي فوسع رزقه، ومكنه من مضاعفة أراضيه التي ملكها ، وكان يخاف من ضياعها .

والحمد لله أن كتب التوفيق لورثة أبي جميعا، ...

وأحب هنا أن أبين سبب نصيحتي لأبي، ذلك أني رأيت بعض الأسر يقوم فيها بعض الأبناء بجهد مثمر كبير، ومعهم إخوتهم الكسالى الذين يعيشون بلا جهد ولا عمل، ... وفي النهاية يتساوون في الميراث، ويأخذ الكسول قدر المجتهد بلا حق، وربما يعمل الكسول على أخذ المزيد، فلم أحب تكرار هذه الصورة معي، وقد استجاب والدي لنصيحتي، وأدعو الله تعالى أن يجازيني بنيتي واجتهادي، ويبارك لأهلي وإخوتي جميعا .

وأنصح الآباء بمثل ما نصحت به أبي حتى ينال كل عامل نتاج ما عمل، ولا يجور وارث على عمل غيره من الورثة ، كما أنصح الآباء بتوضيح الأمر للورثة إن فعلوا مثل أبي .

لقد عشت المرحلة الابتدائية مواظبا في الدراسة ، ولم أغب عن المعهد يوما قط، وأشكر الله أن رزقني الصحة لأداوم على الدراسة ، وأعطاني الفهم والإدراك ، لاستوعب كل ما سمعت، ورأيت، ومكنني من العمل، والقراءة، والمذاكرة .

وكنت أشعر بأن الله تعالى معي في كل عمل، وكنت أدخل الامتحان وأنا مستعد لإجابة أي سؤال في المقرر بعد أن وعيته وحفظته، وفهمته، .... ومن معية الله تعالى معي أني كنت انتهي من دراسة الجزء في أي مقرر في وقت يحتاج زملائي إلى أربعة أضعافه لتحصيل ما حصلته وكنت لا أنسى ما أحفظه، ولم يغب عن ذاكرتي حدث عشت فيه .

وأتذكر هنا قيام طلاب المعهد بالمظاهرات الوطنية الصاخبة، وانضمامهم إلى طلاب المدرسة الثانوية، وهم يجوبون الشوارع في مدينة

كفر الشيخ ، ويهتفون بسقوط الملك بعد سفر أمه وأخته إلى أمريكا وردتهما عن الإسلام، وزواجهما من نصرانيين، وكان الأهالي يتعاونون مع المتظاهرين ، فإذا ما داهمت الشرطة المتظاهرين كانوا يفتحون لهم بيوتهم ليحتموا فيها، وكانت الشرطة إذا ألقت القبض على بعض الطلاب أفرجت عنهم آخر النهار بلا أدنى أذى أو مساءلة .

وأتذكر الحوار الدائم مع زميل لي من قرية "مدبول"، لأنه كان سعديا يتبع الحزب السعدي فمن بلدهم كان مرشح السعديين، وكنت أعارضه لأني اتبع مرشح الوفد من قريتي، وهو نائب الدائرة في هذا الوقت .

لقد تركت المرحلة الابتدائية في عقلي دروسا وعبرا،... أهمها : -

أولاً : ضرورة اختيار عناصر العملية التعليمية بعناية، لتقوم المعاهد الأزهرية بالغايات المأمولة، لأن الإدارة الناجحة تشرف على تيسير العمل، وتشجيع المدرسين، وتراقب الطلاب، وتعد المكان النظيف للدراسة والعمل، وكافة الأنشطة داخل وخارج المعهد ، .... ولا يصح اختيار قيادات للمعاهد عاجزة أمام المدرسين، وأولياء الأمور، والطلاب

ثانياً : من اليسير على إدارة الأزهر أن تربي الأبناء دينيا مع تعليمهم منهجيا بوضع خطة توجيهية للمدرسين لتربية الأبناء ، ويشرف عليها شيخ المعهد والمفتشون .

ومن المهم الاهتمام بالأنشطة اللاصفية كالرحلات والألعاب الرياضية، والتربية الفنية، لأنها تعرف الصغار بدينهم، ووطنهم، وتربي فيهم الإحساس بالجمال والذّوق، والخيال، وتنشئتهم على الحب والتعاون

ثالثاً : العلاقة الحسنة بين الطلاب والمدرسين واجبة ، وهي تتم بصورة تلقائية إذا وجد المدرس الجيد ، والتلميذ الجاد، لأن المدرس الجيد يحب الطالب المجتهد، ويعمل على توجيهه، والتلميذ اليقظ يرتبط بأستاذه، ويحبه ويحب أن يسمع منه .

ولقد كنا ونحن صغار نلتقي بالأساتذة في الرحلات، وفي المسجد، وفي غير أوقات الدراسة، وكان الأساتذة يسألون عن أعمالنا ونشاطنا، ويحثوننا على المحافظة على الصلاة، والآداب الإسلامية- رحمهم الله جميعا ، وجزاهم الله عن جهادهم معنا خير الجزاء .

كان مدرس اللغة العربية يختار أمثلة دروسه من آيات القرآن الكريم ومن السنة النبوية، فنتعلم مع العربية شيئا من التفسير والحديث .

رابعاً : تمتين الصلة بين إدارة المعهد، وأولياء الأمور ليتعاون أولياء الأمور مع المعهد في توجيه الطلاب، وأداء الواجب، والإحاطة الدائمة بأحوال الطلاب النفسية والدراسية، لأن دور الآباء في العملية التربوية والتعليمية يكمل دور المدرسة ويفيد الأبناء كثيرا .

خامساً : كان المدرسون يهتمون كثيرا بالاختبارات التحريرية، والشفهية، ليتقن الطلاب ما درسوه، وأذكر أن المدرسين كانوا يعقدون لنا امتحانا أسبوعيا فيما درسناه خلال الأسبوع، وامتحانا شاملا لكل المقرر الذي تمت دراسته كل شهر، وكانوا يربطون الدرس الأتي بالدروس السابقة، وكنا نحن التلاميذ نتسابق في المذاكرة والتعليم أملا في كسب ود الأساتذة ، وهذا أمر له أهميته في العملية التعليمية.

وكـان الأسـاتذة يقـدمون للمتفـوقين جـوائز تشـجعيه مـن كراسـات، وأقلام، وبعض الكتب، وكان لذلك أثر كبير في نشاطنا .

سادسـاً: ضـرورة الاعتمـاد علـى كتـب التـراث فـي العلـوم الأزهريـة الأساسـية وهـي اللغـة العربيـة، والشـريعة، والإقـلال مـن الكتـب المؤلفـة حديثا، وأذكر أننا درسنا في المرحلة الابتدائية في النحو والصرف شرح الأجرومية، وتنقيح الأزهرية، وقطر الندى، وشذور الذهب ، وقد شرحها لنا الأساتذة بوضوح، من أول الكتاب إلى آخره .

ودرسنا كذلك في الفقه الحنفي اللباب في شرح الكتاب بعد توزيعه علـى السـنوات الأربـع ... **أمـا السـيرة النبويـة** والتوحيـد، والجغرافيـا، والتـاريخ، والرياضـيات، والرسـم، والإمـلاء، والخـط، فقـد ألـف الأسـاتذة بتكليف من إدارة الأزهر كتبا مبسطة ولكنها جامعة .

سابعاً : من المهم الإشراف الصحي على الطلاب، .... وأذكر أن إدارة المعهد كانـت تنتـدب مـن الإدارة الصـحية بعـض الأطبـاء شـهريا للكشف على الطلاب، للحفاظ على صحتهم البدينة، والعقلية، والنفسية.

وأذكر عن هذه الأيام أن جميع المواطنين كانوا ينظرون إلى الأزهر نظرة سامية، ويعتبرونه الإسلام بين الناس، ويهتمون به اهتماما بالغا... ويكفي أن نعلم أن الشيخ / حسن خرسا أحاطه الناس بالتقدير وهو كان تركيا، وهو الذي أسس جمعية تحفيظ القرآن الكريم بكفر الشيخ، وأنشأ لها مبنى كبيرا من أموال المتبرعين، وهو المبنى الذي صار مقرا للمعهد الديني الابتدائي بعد أن أوجد مقرا آخر لجمعية تحفيظ القرآن الكريم .

وكان الناس يحبوننا ونحن نسير في شوارع مدينة كفر الشيخ، وإذا ذهبنا لنشتري طعاما أو أي شيء كان التجار يرحبون بنا، ويستجيبون لما نطلبه بلا تأخير وإن كثرت الزبائن .

وأنظر اليوم، وأتحسر على الزمن الجميل الذي كنا فيه، فقد كثرت المعاهد، وانتشرت في القرى والعزب حتى أنه يوجد اليوم في القرية الواحدة معهدا للبنين، ومعهدا للبنات، ويتكون كل معهد من مراحل التعليم كلها، ويتأهل الطالب بعدها للالتحاق بإحدى كليات جامعة الأزهر، إلا أن هذه الكثرة لم تفد شيئا، لأن مستوى الطلاب هابط، وعلم المدرسين قليل، والإشراف شكلي فقط، حتى وصل الحال إلى أن الطلبة لا يحضرون للدراسة، والمدرسون لا يصلحون لتعليم شيء، وأولياء الأمور يتدخلون في شئون المعهد لينجح أبناؤهم بوسائل غير مشروعة .

وأصبح الحال في المعاهد الأزهرية سيئا في كافة الجوانب، ولم يعد طلبة الأزهر اليوم يجيدون شيئا من العلوم .

إن الأزهر الشريف في أمس الحاجة إلى أعادة النظر في كافة مؤسساته ليقوم بدوره المنوط به، وأرى أن إصلاح المعاهد الأزهرية يتضمن ما يلي : -

أولاً : تخريج أجيال من العلماء الجادين، لهم القدرة على الغوص في العلوم المختلفة لاستنباط الأحكام، ومعرفة الطرق الدعوية لتوصيل الإسلام للناس .

وهذا يحتاج إلى ضرورة إصلاح المعاهد الأزهرية ، وأرى أن يكون

البدء بإنشاء معهد نموذجي في كل محافظة، يضم المتفوقين من طلاب معاهد المحافظة كلها، وإمداد هذه المعاهد بمدرسين أكفاء، وشيوخ تفوقوا في الإدارة والعلم، ومراقبة مستمرة لهذه المعاهد النموذجية .

إن الأمل من هذه الفكرة أن يكون المعهد النموذجي قدوة للمعاهد الأخرى، وتجربة عملية قابلة للتطبيق في المعاهد الأخرى، ومن الممكن قيام إدارة المعهد النموذجي بتوجيه معاهد المحافظة، والإشراف التعليمي على مدرسيها وعقد دورات تدريبية لهم لتحسين مستواهم، ويفضل أن يعيش طلاب المعهد النموذجي في سكن داخلي، وكفالة معاشهم، والإشراف عليهم في الدراسة والسكن.

وأذكر هنا أن الدكتور/ محمد البهي يوم أن كان وزيرا للأزهر والأوقاف أعد مشروعا ونفذه، وهو أن يوحد نشاط وعاظ الأزهر، وأئمة المساجد، ومدرسي المعاهد الدينية تحت إشراف شيخ المعهد الموجود في عاصمة المحافظة، ليستعين بالكفاءات الموجودة في الهيئات الثلاث في التدريس، والوعظ، والإمامة، وتوجيهها إلى العمل المناسب في أحد الجهات الثلاث، وبذلك يمكن للواعظ الكفء، والأمام الكفء أن يدرسا في المعهد، وأن يقوم المدرسون بالخطبة، وإلقاء المواعظ، وذلك بمكافآت تقدم لهم على العمل الذي يكلفون به في غير عملهم الأساسي

وبهذه الطريقة تتم الاستفادة بالعلماء المخلصين في التدريس، والدعوة إلى الله تعالى، والوعظ، وتنمية خبرتهم، وربطهم بقضايا المجتمع والناس، ... وقد توقف هذا المشروع بخروج الوزير من الوزارة.

ثانياً: الاهتمام بالمدرسين أمر ضروري، فهم أساس العملية التعليمية وذلك باختيار الأكفاء ذي المستوى العلمي والعقلي المميز بجانب إخلاصهم لله وحبهم لدينه ﷻ، وعقد دورات تعليمية تثقيفية لهم على أن تجرى امتحانات لهم في نهاية كل دورة ، وتسليم من ينجح مكافأة قيمة.

ثالثاً : إعفاء طلاب الأزهر من الرسوم، وتسليمهم مكافأت شهرية ... وأذكر هنا أن طلاب الأزهر كانوا في زمننا يتسلمون مكافأت شهرية تسمى "الجراية " لأن المصلحين أوقفوا للطلاب أوقافا وأجروا ريعها على طلاب الأزهر، وكان مبلغ الجراية قليلا، إلا أن الأزهر قسم جراية كل شهر على الحصص الدراسية ليحصل الطالب على جرايته أخر الشهر بعد خصم قرش واحد عن كل حصة يغيب الطالب عنها، ولا يأخذ هذه الجراية من رسب في العام السابق، وكان لهذه الجراية أثر كبير في حضور الطلاب، وقيامهم بمذاكرة الواجب عليهم ، ولم نأخذ في معهد كفر الشيخ هذه الجراية، لأن المعهد لم يكن اندرج في ميزانية الأزهر، وبدأنا نأخذها في المرحلة الثانوية .

لقد كنا ننتظر أول الشهر لاستلام الجراية، ونعده عيدا للرفاهية، وكان الطالب يتألم إن خصم المعهد من جرايته قرشا واحدا، ... وكنت أستفيد من هذه الجراية في شراء كتب خارجية قيمة تعدها المكتبة التجارية المجاورة للمعهد للراغبين .

رابعاً : من الضروري ضبط العمل في المعاهد الأزهرية، وذلك بقيام شيخ المعهد بدوره مع المدرسين، والإداريين، والعمال، وأولياء الأمور .

ومـن الضـروري كـذلك عقـد امتحانـات دوريـة للطـلاب فـي كـل المقررات كل شهر على أن تعد درجات هذه الامتحانات أعمالا للسنة .

ومن الضروري كذلك استقلالية الأزهر بالمفهوم العلمي، بمعنى بعد الشيوخ والمدرسين عن العمل السياسي، ويكفيهم بناء الطلاب عمليا وعلميا، والإخلاص في التحضير، والتدريس، فعلومهم هي الدين، وهي الأمانة التي تحملوها .

ومـن الضـروري كـذلك اعتماد كتب التراث للدراسة، والإقلال من المذكرات المؤلفة حديثا، لأن نفعها للطلاب قليل، وتوجيه الطالب إلى القراءة والاطلاع واجب .

خامساً : رعايـة المدرسين والعاملين فـي المعاهد الأزهريـة، وزيادة رواتبهم ليتفرغوا للدراسة، ويبتعدوا عن أي عمل إضافي، ويتركوا الدروس الخارجية الحرة، لأنها تضيع الوقت والجهد، وتشتت أذهان الأساتذة في الوقت الذي نحتاج منهم إلى الجد والتركيز .

سادساً : تنقية المعاهد الأزهريـة من المعوقات التي تمنع الطلاب من التحصيل العلمي، ولا ترتقي بمستوى المدرسين، ومن الضروري تحويل المدرسين المقصرين وغير القادرين على العطاء المطلوب إلى أعمال إدارية، ومكافأة المخلصين على ما يقومون به .

لقد أدت سياسة الإكثار من المعاهد الأزهرية إلى كثرة الضعف فيها، بسبب أن موافقة ضمها مرتبط بتعيين المتبرعين بإنشائها بغض النظر عن المستوى الخلقي، والتعليمي لهم ، والواجب اختبار المتبرعين

قبل تعيينهم، واختيار من يصلح منهم للعمل، وترك ما عداهم .

وكـان مـن الأفضـل وضـع شـروط لضـم أي معهـد دينـي ينشـئه المتبرعون، تضمن صلاحية المبنى، وجودة المدرسين، وسلامة كافة جوانب العملية التعليمية.

وأذكـر هنـا أن القائمين على شئون الأزهر رغبوا في الإكثار من المعاهد الدينية لتعليم الناس الإسلام، ومواجهة الزحف المعادي له من كافة الطوائف في الداخل والخارج، وهذه رغبة حسنة إلا أن الناس استخدموها في مصالح شخصية، ولم يواكب كثرة المعاهد ما يناسبها من حسن الإدارة واختيار المدرسين .

لقد كان الدكتور/ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر يتمنى أن يصير التعليم في مصر تعليما إسلاميا، ويقضي بذلك على ثنائية التعليم، إلا أن الشيخ لم يجد من يساعده في هدفه ، ولم يجد المساعدين الفاهمين لفلسفته وأهدافه .

إن مؤسسات التعليم في العالم منارات في أوطانها تنير الطريق، وتصنع العلماء، وتبني الخير في كل مجال، ... ولا يصح أبدا أن تتخلف المعاهد الأزهرية ، وتعجز عن القيام بما يجب عليها .

والأمل في الأزهريين المخلصين ليهتموا بمستقبل الأزهر، ويتركوا الشلل الذي أصابه، ... والله الموفق .

-٦-

في رحاب معهد طنطا الثانوي

الحمد لله تعالى فقد اجتزت المرحلة الابتدائية بمعهد كفر الشيخ الديني، وحصلت على الشهادة الابتدائية منه بمجموع ٨٥ % ، وكان ترتيبي الأول ، وبدأ الإعداد للمرحلة الثانوية ومدتها خمس سنوات، تؤهل من يجتازها لدخول كليات الجامعة الأزهرية الثلاث، أو كلية دار العلوم جامعة فؤاد الأول –القاهرة بعد ذلك – وكان من " منية مسير " طالبان يسبقاني بسنة دراسية واحدة، هما الشيخ "فرج قاسم، والشيخ أحمد غزالة" المشهور بـ" زغلول"، وكانا لنا روادا نتبعهم في مسيرتهم، وكانا يقومان بدور توجيهي لنا في المذاكرة والسكن، .... وغير ذلك ، وكنا نحترمهم ونطيع توجيهاتهم، ولهذا قدمت أوراقي لمعهد طنطا الثانوي، وقبلت به، وسكنت معهم في السنوات الثلاث الأولى ، وفارقتهم في السنتين الأخيرتين .

وكانت المرحلة الثانوية بسنواتها الخمس مليئة بالمعرفة، ومشحونة بالعمل، وفيها كثير من الدروس والعبر، ومن ذلك : –

١– **بدأنا في الدراسة المتعمقة التحليلية**، حيث درسنا التفسير في تفسير النسفي، ودرسنا الحديث في شرح النووي على صحيح مسلم، والفقه في الاختيار لتعليل المختار، وأخذنا في دراسة المنطق القديم والحديث، والعروض والقوافي، وعلوم البلاغة، والأدب، والتاريخ بعصوره المختلفة، والعقيدة بأركانها.

٢- **كان في المعهد الثانوي أساتذة أفذاذ**، يسروا لنا العلوم السابقة من خلال شرح الكتب القديمة بأسلوب مبسط، ومنهج يقوم على التوضيح، والتحليل، والمقارنة، وقد تميز أساتذة المعهد بسعة العلم، وطول الخبرة، وعمق الإخلاص، وكنا نضبط الساعة على بدء شرح الأساتذة، وقد تعودنا من مدرس الفقه أن يبدأ بـ"**بسم الله الرحمن الرحيم**" عندما تدق الساعة الثامنة صباحا ، وينتهي من شرحه عند الدقيقة الأخيرة من الحصة، وهكذا سائر الأساتذة في جميع المقررات .

٣- **كان أساتذة المعهد كتلا من الصلاح والتقوى**، يشرحون لنا الدروس ويأخذوننا إلى الله برفق ولين، ويؤملوننا في توفيق الله ﷻ إن استقمنا على طريق الله، ومن وصاياهم " **لا تذاكروا إلا وقد أديتم الفرائض، وتجنبتم المعاصي، ليبارك الله لكم** " .

٤- **كان الطلبة طلاب علم، ومعرفة**، لا يغيب أحدهم إلا لعذر، وكانوا يتعلقون بالأساتذة، ويحبونهم بأدب، ويتخذونهم قدوة وأسوة، قلنا للأستاذ / عبد الباسط سليم مدرس الفقه الحنفي ذات مرة : أنت عالم طيب، فقال لنا : لا تقولوا طيبا، بل قولوا صالحا، ومستقيما، ومسلماً، لأن الطيب في عرف العامة يعني الساذج الأهبل، وتجنبوا الألفاظ التي لها أكثر من معنى في الاصطلاح أو العرف، ...

وكان إذا غضب أحد الأساتذة من الثرثرة الطلابية أثناء الدرس نذهب إليه في حجرته، ونلح عليه ليسامحنا، ويرضى عنا، ونتعاهد معه على الصمت والأدب، ونأخذ على يد المشاغبين.

وكان الطلبة يتابعون أخبار الأساتذة الخاصة، ويتواصلون مع أبنائهم كأنهم إخوة لهم .

وكان الطلاب يتسابقون في حضور حصص الأساتذة المجيدين في أي مقرر يدرسون فيه، وفي أي مستوى دراسي، وفي حصصهم كنا نجد الفصل يمتلئ بطلبة المعهد، وقوفا على أقدامهم، ومن هؤلاء الأستاذان عبد المنعم النمر، وتوفيق السبع.

وشاع في الطلبة نشر صحائف الحائط، فقام كل فصل بإخراج صحيفة له، فقام فصلي بإخراج صحيفة سميناها " نحو النور"، وقد توليت تحريرها، وتنسيقها .

٥- **كان من مقررات المرحلة الثانوية** مادة المطالعة، ومادة الخط والإملاء، ومع بساطة هذه المواد كان الأساتذة يحولونها إلى مواد لتربية الذوق الجمالي، وتوسعة المدارك العقلية، والوقوف على أهم أحداث الأمة الإسلامية في القديم والحديث .

فمثلا كان مدرس الخط يعرض لنا اللوحات الفنية في مختلف صور الخط العربي، من خلال نص نتدرب على كتابته، وقبل الكتابة يعرفنا بعديد من المعارف المتصلة بالنص المراد كتابته.

ومثـال ذلـك أن الأستاذ / فوزي خشبة وكان يدرس لنا علمي البلاغة والخط أتى لنا بنص رسالة ابن زيدون التي أرسلها إلى ولادة بنت الوزير عندما قاطعته ، ونصها : –

بيني وبينك ما لو شئت لم يضـــع سر إذا ذاعت الأسرار لم يـذع

يا بائعـــا حبه منـــي ولو بذلـــت لي الحياة لحبى منه لم أبـــع

ته أحتمل، واستطل أصبر، وعز أهن وول أقبل، وقل أسمع، ومر أطع

وأخذ يشرح ما يتصل بهذا النص خلال ساعتين فعرفنا بأحوال الخلافة في الأندلس، ورفعة الأدب فيها، وميلها إلى الترف الذي أدى في النهاية إلى سقوط الأندلس، ومنهج علماء الأندلس في التفسير والحديث، ولأدب، والبلاغة، والاعتقاد .

وبعد ذلك كلفنا بكتابة النص بخط النسخ، والثلث، والرقعة .

ومثل الخط كانت المطالعة، ولها كتابها المطبوع ، يأتي المدرس في حصة المطالعة فيقرأ كل طالب فقرة ، ويسأل الأستاذ عن إعراب الألفاظ، وعلامات الترقيم، ومعاني الفقرة، والفوائد العلمية والأخلاقية، ويطيل الشرح والتعليق في الموضوع .

ومن أمثلة ذلك أنه في موضوع "عدل عمر ﷺ " شرح لنا صورا عدة من عدل عمر ﷺ مع زوجاته وأبنائه، ومع الأمة كلها، وأسقط صور عدل عمر ﷺ على الواقع المأسوي الذي تعيشه الأمة ، ...

وفي موضوع " الوحدة الإسلامية " أبكانا عن التشرذم الذي يعيشه المسلمون، والحالة التي وصلوا إليها، وتحسر على هذا الضياع ، وقارنه بوحدة الأمة في عصر رسول الله ﷺ ، والسلف الصالح من بعده ﷺ .

وكانت إدارة المعاهد الأزهرية تختار من كتاب المطالعة عشرين موضوعا يتم الامتحان منها شفويا وتحريريا آخر العام .

وهكذا

كانت المرحلة الثانوية مرحلة راقية بأساتذتها، وطلابها، وأذكر أن عددا من طلاب هذه المرحلة أصدروا دواوين شعرية من تأليفهم، وقصصا من أدبهم، وكان الأساتذة يراجعون ما يكتب الطلاب، ويقدمون له عند الطباعة، وقد ألف زميلي الشيخ / محمد العتربي ابن بلدي قصة قصيرة سماها " بداية ونهاية" وطبعها ووزعها على طلبة المعهد.

وأقر عن قناعة أن المرحلة الثانوية كانت لنا مرحلة الثقل الحقيقي، والتعليم الشامل، ولها أثرها فيّ وفي الطلاب جميعا .

كانت مرحلة تعلمنا فيها اتصال كل علم بموضوعه، واستقلال كل علم بمنهجه، وطرق دراسته .

وكانت مرحلة تكوين الشخصية المعرفية، وأذكر أن الأساتذة كانوا يركزون على هذا الجانب من خلال موضوعات الإنشاء التي يخترونها من الأحداث الجارية .

ومثال ذلك أن أمريكا لما قدمت لدول المنطقة مشروعا عرف بموضوع "سد الفراغ في الشرق الأوسط " قام الأساتذة بشرح فكرة المشروع، وفائدته لإسرائيل، وكلفونا بالكتابة فيه بعد ذلك تحت عنوان "الرأي السديد في موضوع الشرق الأوسط الجديد " .

ومثل موضوع " ماذا تفعل لو كنت شيخا للمعهد " .

وموضوع " الطالب الأزهري بين المثالية والواقع " .

ومن عجيب ما فعله أستاذ مادة الإنشاء الشيخ/ كمال عون أن جمع نقاط ما اقترحه الطلاب في عمل شيخ المعهد، وسلمه لشيخ المعهد الشيخ/ عبد العزيز سمك الذي حاضر الطلاب في الموضوع، وناقشهم في آرائهم .

ومن أفكار الأساتذة نشأ مشروع "تشغيل طلبة الأزهر في دروس رمضان في المساجد " بمكافأة قدرها خمسة جنيهات في وقت كان خريجو الأزهر يعينون بمرتب عشر جنيهات في الشهر، .... فبدأوا بعقد اختبار للطلاب الراغبين في هذا المشروع ، وإخطار مديريات الأوقاف بأسماء الناجحين للاستفادة بهم في دروس رمضان في قريتهم، .... وقد تقدمت لهذه المسابقة، ورشحتني مديرية الأوقاف لأدرس في قريتي إلا أن عائقا منعني لا أعلمه حتى هذه الساعة التي أنا فيها اليوم

وكان طلاب المرحلة الثانوية في هذا الزمن مهتمين بالشأن العام ، وكان لهم موقف مؤيد لثورة الجيش عام ١٩٥٢م ، وقد قمت أنا وزميلي الشيخ / إبراهيم عابدين بالتطوع في منظمة الشباب، وأخذنا تدريبا عسكريا مدة شهر كامل في أحد معسكرات الجيش بطنطا استعدادا لمقاومة أي عدوان على مصر .

وكانت روح الشباب الوثابة عالية بين طلاب المعهد، حيث يتمنى كل طالب أن يعمل شيئا لمصر الحبيبة .

ولا أنسى دور شيخ المعهد الثانوي بطنطا وهو الشيخ/ عبد العزيز سمك

فلقد كان حازما في إدارته، يحضر قبل حضور الأساتذة والطلاب ، ويغلق الباب عند بدء الحصة الأولى ، ومن يأتي متأخرا من الأساتذة ، والموظفين، والطلاب بعد الساعة الثامنة يأتيه في مكتبه ليعرف عذره ، وسبب تأخره، وكان يتشدد في أخذ الغياب والحضور، ويربط ذلك بالمكافأة الشهرية " الجراية " التي تصرف من الوقف الخيري الذي أوقفه الصالحون ، وكان الطالب يكافأ بقرش واحد عن كل حصة واحدة، ويخصم منه هذا القرش إن غاب، وكان لهذا القرش أثره في مواظبة الطلاب على الحضور .

وأذكر من أحداث المرحلة الثانوية معي ما يلي :

أولاً : كنا نحن طلاب مسير، ومنية مسير الذين نسكن سويا في طنطا نصلي الفجر في المسجد، وكنا نرى حول المزابل والقاذورات قطعانا من الخنازير، وكنا نخاف منها، ونطاردها حتى تجري بعيدا عنا، ونحمد الله لبعدها عن طريقنا .

ثانياً : كنا نستعد للامتحانات، ونحرص على المذاكرة لدرجة أني اتفقت مع زميلي الشيخ / إبراهيم عابدين على أن نقضي يوم العيد في طنطا للمذاكرة لعدم تمكننا من المذاكرة يوم العيد في البلدة، والامتحانات ستبدأ بعد العيد مباشرة .

وبعد صلاة العيد في طنطا رأينا الاحتفالات والبهجة بين الناس فحزنا على قرارنا الذي أبعدنا عن الآباء، والأمهات ، والأخوة في يوم العيد ، ولم نعد لذلك بعد .

ثالثاً : وضعت المستقبل في عقلي خلال المرحلة الثانوية ، وكان ذلك سببا في بعدي عن هفوات الشباب، ونجاتي من المعاصي، وكلما مر بي خاطر سيء أتصوره عدوا يعمل على إضاعة مستقبلي، وحرماني من الخير الذي أتمناه، ....

وأيضا فقد أدى أملي في مستقبل حسن إلى تفرغي الكلي للدراسة، والاكتفاء بتحصيل العلم، وعبادة الله تعالى، فلم اشترك في عمل جماعي قط، ولم ارتبط بحزب ما، حسنا كان أو سيئا خوفا من ابتعادي عن الأمل الطيب الذي رغبت فيه .

وأحمد الله تعالى أن ملأ قلبي وعواطفي بهذا التوجه ، وهداني للحق والصواب.

إن مرحلة اليفاعة والمراهقة (١) مرحلة خطيرة ، تحتاج إلى الضبط والترويض، وأحسن السبل لذلك هو التربية الإيمانية ، والتوجه نحو

---

(١) يتفق العلماء على أن مرحلة الشباب تشمل العمر من الخامس عشر إلى الخامس والعشرين للرجال والنساء، وهي المرحلة التي يصبح فيها الإنسان قادرا على الإنجاب، ويتمتع بقدر من النضج الجسمي، والنفسي، والعقلي، والاجتماعي يمكنه من اكتساب خبرات مختلفة تساعده على مواجهة مطالب الحياة .

ويقسم بعض العلماء مرحلة الشباب إلى مراحل ثلاث هي :

المرحلة الأولى : ويسمونها "مرحلة الطفولة المتأخرة" ، وتتصف بأن الشاب خلالها يتدرج في كافة الجوانب الشخصية، بحيث يتمكن من التفاعل مع أفراد المحيط الذي يعيش فيه سواء كانوا أقرباء أو غرباء، ومن خلال هذا التفاعل يعيش مع الآخرين، ويستفيد بهم خلال=

المستقبل الطيب، والتحذير من أسباب الفشل والضياع، وإشغال الوقت بالنافع المفيد، وتوجيه الإنسان نحو مسئوليته عن عمره، وشبابه، وعلمه، وعمله .

رابعاً : فكرت مع زميلي الشيخ / إبراهيم عابدين – وكنا في السنة الثالثة الثانوية – في البحث عن عمل نشغل فيه فراغنا، ونكسب مالا نستعين به في حياتنا، وكانت مدارس البريد تقبل الطلاب الحاصلين على الابتدائية الأزهرية، وتقوم بتعيين الخريجين في مصلحة البريد، ففكرنا في الانتساب لها، إلا أننا وجدنا أن المدرسة تشترط الحضور،

==الدراسة، أو العمل، أو النشاط الحر وفق الضوابط الاجتماعية والتقاليد السائدة ، ومن خصائص هذه المرحلة أيضا أن يهتم الشباب بالجنس ، ويميل لحب الخير، والتعاون مع الآخرين، والبحث عن دور اجتماعي له وسط الناس .

المرحلة الثانية : ويسميها العلماء " مرحلة المراهقة " وفيها يكون النمو السريع للشاب، فالجوانب الجسدية تحدث فيها طفرة كبيرة، فيزداد الطول، والوزن، وينشط العقل في التفكير، وتسيطر العواطف على أحاسيس المراهق ، ومشاعره، وفي هذه المرحلة يقل اتصال المراهق بالكبار، فهم يعدونه صغيرا ويقسون عليه، ولا يشاورونه في مشاكلهم، وهو يعد نفسه كبيرا مثلهم، ويتهمهم بالرجعية والتخلف، ولذلك ينشط المراهق في اختيار أصدقاء جدد ، ويتفاعل معهم اجتماعيا، ويأخذ من عاداتهم وتقاليدهم .

المرحلة الثالثة : ويسمونها " مرحلة الرشد" لأن الشباب يصلون فيها إلى اكتمال نضجهم، والميل إلى الاستقرار، والتوافق مع المحيط الذي يعيش فيه، والمشاركة في اتخاذ القرارات الجماعية ، والاستعداد لتحمل المسئولية .

والعمل بهذا الدبلوم يستغرق الوقت كله ، فتركنا الفكرة ولم نعد لمثلها بعد ذلك .

خامساً : كان البرنامج اليومي أثناء الدراسة في المرحلة الثانوية بطنطا لطلبة منية مسير – وكنا نسكن معا – هو أن نبدأ بصلاة الفجر، وقراءة شيء من القرآن الكريم ، وبعدها نتناول الفطور، ونذهب إلى المعهد سيرا على الأقدام، ونمكث في الدراسة، ونصلي الظهر فيه ، ونعود للسكن للغذاء ، ثم نذهب بكتبنا إلى المسجد الأحمدي، ونظل فيه إلى صلاة العشاء نذاكر الدروس التي كلفنا بها الأساتذة، ثم نعود إلى السكن لتناول العشاء، وننام بعد ذلك ، وكنا نخصص عصر الخميس، ويوم الجمعة للذهاب لمكتبة البلدية بميدان الساعة في طنطا للقراءة الحرة، وجمع معلومات يكلفنا بها الأساتذة .

سادساً: كنا نحرص على سماع المحاضرات الثقافية التي تتم في أماكن عديدة، مثل نادي البلدية، ونادي طنطا، ودار الشبان المسلمين، وكان القائمون بالأمر يستقدمون المحاضرين في موضوعات شتى تهم الشباب، وغيرهم من المثقفين .

وقد لاحظت أن زميلي الشيخ / إسماعيل الدفتار كان له خمسة أعمام هم شيوخ الفقه الحنفي في معهد طنطا الديني، وكانوا يرعونه لوفاة والده شقيقهم، وقد أوصوه باصطحاب كشكول يكتب فيه ما يعجبه من نصوص، وحكم دينية وأدبية، ويحفظها، ويستمر يراجعها، فقلدته، وكانت فكرة رائعة مكنتني من حفظ أشعار كثيرة، ونصوص دينية عديدة

وقلت لنفسي وقتها: "**الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها**"

وكانت النوادي الثقافية، والرياضية في طنطا تعد برامج ثقافية ورياضية للشباب يتعلمون فيها فنون المصارعة، والملاكمة، وكرة القدم، وغير ذلك من الألعاب المختلفة، ولكني لم أهتم بذلك ، وفضلت الذهاب للمكتبة العامة في وقت الفراغ .

وساعدت الجمعيات الثقافية في تيسير الحصول على الكتب الدينية والثقافية، وذلك ببيعها للطلاب بسعر بسيط، وتقسيط مريح، كما وضعت نظاما للإعارة، وبذلك يتمكن الشباب من الحصول على الكتاب الديني بيسر وسهولة، وأقام الطلاب سوقا للكتاب القديم، وفيها يبيعون الكتب التي انتهوا من قراءتها أو دراستها .

وكان المعهد يقيم أمسيات ثقافية رائعة ، ومنها "**أمسية الأدب العربي**"، وفيها رأينا أدباء كل عصر بثيابهم، وعاداتهم يلقون علينا أشعارهم وخطبهم ابتداء من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث .

ومثل ندوة الفقهاء حيث كان تمثيل إمام المذهب وهو مع أصحابه يناقشون مسائل الفقه في مذهبهم، في حوار شجي، يجمع بين الخلق والأدب، وبذلك عرفنا المنهج الذي تكونت به المذاهب الفقهية، وتعلمنا أدب العالم والمتعلم.

وكان شيخ المعهد والمدرسون يلقون على أسماعنا أحاديث دينية تعرفنا بالإسلام، وتوضح لنا الصراط المستقيم بعد صلاة الظهر في المسجد .

وكانت إذاعة المعهد ميدانا فسيحا لتدريب الطلاب على الإلقاء الخطابي، واختيار الكلمات المناسبة، وقصائد الشعر المنتقاه، وقد نظمت إدارة المعهد عمل الطلاب في الإذاعة، فجعلت لطلاب كل فصل أسبوعا يقدمون فيه ما لديهم من كلمات تحت إشراف أحد أساتذتهم .

وكانت المعاهد الأزهرية تعقد الدورات الرياضية فيما بينها على أن تتم التصفية في آخر العام، ويأخذ المعهد الفائز كأس الدورة، ولم أشترك مع زملائي في هذه المسابقات ، واكتفيت بالتشجيع فقط .

سابعاً : كان المعهد يعد رحلات للطلاب إلى أماكن مصر الصناعية، والأثرية ، وقد ذهبنا إلى المحلة الكبرى لزيارة مصانع الغزل والنسيج بها، ورأينا صرح مصر الصناعي الذي أسسه طلعت حرب، وكان الأساتذة يتجولون معنا في ميادين طنطا وشوارعها، ويوضحون لنا أهمية المكان ، وسبب تسميته باسمه .

ثامناً : رغبنا نحن طلاب " **منية مسير** " في إنشاء تجمع ثقافي خلال أجازات الصيف نقضي به وقت الفراغ ، ونجمع الشباب، فقمنا بتأجير حجرة بوسط البلد في بيت "آل خالد"، وكلفنا كل طالب بإحضار عشرة كتب، وكونا بها مكتبة للقراءة ، وأخذنا نتجمع كل يوم من العصر إلى العشاء إلا أن التجربة لم تنجح لضيق المكان، وعدم وجود أنشطة غير القراءة ، ورغبة الأغلبية في اللعب الذي لا مكان له، وعدم إقبالهم على القراءة ، فقمنا برد الكتب إلى أصحابها، وانتهت التجربة، ...

وأخذت أتبادل الرسائل الشعرية الأدبية مع بعض الزملاء، وعلى رأسهم الزميل الأستاذ / محمد العتربي، وكنت أكتب له ما يعن لي ويكتب إلي ما يعن له، إلا أنه توقف فجأة فأرسلت له وقلت:

يا صديق الشعر مالك قص لي عما جرالك

هالني صمت البلابل مالها سكتت حيالك

وانتهت التجربة .

تاسعاً : يهتم الطلاب في السنة الرابعة والخامسة بتحديد الكلية التي يرغبون الدخول فيها، وكان الاختيار يتم بين كليات **أصول الدين، والشريعة الإسلامية، واللغة العربية**، وهي كليات الجامعة الأزهرية ، وكلية دار العلوم التابعة لجامعة فؤاد الأول، وكانت تقبل عددا قليلا من ثانوية الأزهر تختارهم من أعلى درجات المتقدمين لها ، ...

وكان أغلب الطلاب يأملون في كليتي اللغة العربية، ودار العلوم لأنهما تؤهلان الخريجين للتدريس، وغالبا يتعين خريجوهما بسرعة في مدارس وزارة المعارف، وفي معاهد الأزهر الشريف، ولذلك كانت تختار طلابها من الحاصلين على أعلى الدرجات .

وزهد الطلاب في كليتي أصول الدين، والشريعة لقلة من يتعين منهما بعد التخرج، وكنت أرى ذلك فيمن تخرجوا في بلدي، لأني رأيت بعضهم لم يتمكن من الحصول على وظيفة مؤذن في المسجد، وبعضهم يفلح الأرض، ويرعى الماشية بعد تخرجه مع إخوته وأبيه .

وسط هذا الحال رغبت في كلية دار العلوم، وأخذت أستعد لذلك،

وأملت في أن أكون طالبا شاعرا، وأديبا ينطق بالكلمة الموزونة، والأدب المنثور، ورأيت أن ذلك يحتاج إلى تفوق في العلوم العربية، وصياغة الشعر العربي الموزون، وبذلت جهدي، وأقرضت بعض القصائد الشعرية بعد تخيل بعض المواقف، وأعلق عليها بما أنحته من الشعر، وهي التي طبعت بعد ذلك تحت عنوان " **خيال الروح في زمن الصبا** "، وسيطر عليَّ هذا الأمل في نومي ويقظتي ، وعشت به، وعملت له، وكرهت أي خاطرة تبعدني عنه، ... وتقدمت لامتحان الثانوية الأزهرية فنجحت بتفوق، وكان ترتيبي التاسع على طلاب معهد طنطا، وحصلت على نسبة ٨٢% من الدرجات .

وبذلك تخيلت أن الأمل قد تحقق ، وأني صرت طالبا بكلية دار العلوم، وكان للقدر رأي آخر ألزمني بضرورة أن أكون طالبا بكلية أصول الدين، **وكان هذا الإلزام سببا لكل خير، والحمد لله رب العالمين** فقد قدر الله ﷻ لي الخير، ووضعني في الطريق الحسن الذي لم أكتشفه إلا في نهاية النفق، وسأوضح ما أحاط بي من أحداث في هذا الوقت فيما بعد .

وهنا أتوقف عن تذكر الماضي، وأتأمل الحاضر وما أنا فيه، وأربط هذا الحاضر بأحلام الماضي لاستخلاص الدروس والعبر لاستفيد بها ومعي من سيقرأ هذه الذكريات،... **ومن أهم هذه الدروس:** –

١) المرحلة الثانوية في زماننا كانت جزءا من فترة المراهقة لأنها تمتد من عمر السادسة عشر إلى عمر ثلاث وعشرين ، وهذه

المرحلة من العمر لها مزية وأهمية عند الله تعالى لو أحسن الشاب عمله فيها، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **(سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله : ...، ومنها .... وشاب نشأ في عبادة الله)** (١)

والواجب حماية الطلاب في هذه المرحلة ، واقترح ما يلي : -

أ- الإشراف الدائم والمباشر عليهم من الآباء والمربين، ومداومة نصحهم وتحديد مسئوليتهم مع دين الله تعالى .

ب- ربطهم بالأسوة الحسنة، والمثال الطيب ليسيروا على خطاه، ويصلوا إلى ما وصل إليه .

ت-إشغال وقتهم بالعبادة، والمذاكرة، وياحبذا لو توجه الشباب لإتقان لعبة رياضية، أو اكتساب مهارة مهنية، أو الانشغال بالقراءة الحرة، لأن هذه الأعمال تشغل الوقت، ولا تترك للشباب وقتا يلعبون فيه ويلهون وليس بغريب أن يساعد الشاب أباه وإخوته في أعمالهم، أو يشتغل بمهنة يقضي فيها وقته .

ث- تحقيق صلة مودة وصداقة بين الأب وابنه، وبين الطالب ومدرسه ليتمكن الآباء والمربون من توجيه الشباب، وتحقيق الاستجابة والطاعة .

ج- إحياء الروح الدينية في الشباب لخلق حمية دينية تنسيهم ملاهي الهوى، ونزغات الشياطين، وتبعدهم عن أنصار السوء والفساد .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين - حديث : ١٣٦٨ .

٢) الاهتمام بالمعاهد الأزهرية، فقد تغير نظام الدراسة بها، وصارت ثلاث مراحل هي الابتدائية، والإعدادية، والثانوية ، وكثرت جدا حتى وجدت المعاهد في القرى والعزب، وصارت تدرس علوما أدبية وإنسانية، وأخرى تجريبية، بجانب العلوم الإسلامية ... ومع هذا فقد أصابها الوهن، ولم تعد تعطي للطلاب شيئا، ... وهذا الحال يستوجب الاهتمام بالمعاهد الدينية لتعود إلى عهدها القديم الزاهر.

ويمكن أن يتم النهوض بالمعاهد الأزهرية كما يلي : -

أ- التركيز التام في تحفيظ القرآن الكريم على أن لا يسمح للطلاب بالالتحاق بالمرحلة الثانوية إلا بعد النجاح في حفظ القرآن الكريم

ب-إنشاء معاهد ثانوية أزهرية تدرس مقررات القسم الأدبي، وإنشاء معاهد أخرى تدرس مقررات القسم العلمي ، وتعود معاهد القسم الأدبي إلى نظامه الأول قبل تطوير الأزهر في التدريس والمناهج .

ت-اختيار المدرسين الأكفاء القادرين على هضم العلوم وإيصالها إلى عقول الطلاب، لأن المعهد بلا مدرس لا يخرج طلابا، وهدم المدرس العاجز للعقول أكثر من بنائها، ومن الضروري وضع كادر وظيفي يمكن من انتقاء المدرسين القادرين على العطاء والبناء .

إن المدرس من أعظم عوامل بناة الأمة والوطن، ويجب اختيارهم من أرقى العقول فطنة، وأقوى الناس عطاء وعملا، وأكثر المتدينين إيمانا ودعوة .

وهنا نحذر من استمرار الحال في المعاهد الدينية على ما هو عليه اليوم من تغيب دائم للطلاب ، وضعف مزر للمدرسين، وإهمال كبير في الإدارة والإشراف .

إن النهوض بالمعاهد الدينية نهضة للإسلام ، وتحقيقه في حياة الناس، وهذا هدف يجب التضحية من أجله .

ولا يصح استمرار المعاهد على حالها، فهي لا تخرج اليوم طالبا جيدا، ولا تفيد شيئا .

وأطلب من المحبين للأزهر، الغيورين على مستقبله أن يهتموا بالمعاهد الدينية بمراحلها المختلفة، حتى لا تسقط ويسقط الأزهر معها .

٣) ضرورة القضاء على الدروس الخصوصية التي يقوم بها المدرسون خارج المعهد، لأنها تصرف الطلبة عن الاهتمام بالحضور للمعهد، واستماع المدرسين، .... كما تصرف المدرسين عن الأداء الجيد للدرس، الأمر الذي يدفع الطلاب إلى الاشتراك في الحصص الخارجية ، ودفع أموال كثيرة للمدرسين .

والمنهج الأمثل للقضاء على ظاهرة الدروس الخصوصية هو زيادة مرتبات المدرسين، وعدم السماح للطلبة بالغياب، والحزم في معاملة المدرسين، ومعاقبة من يقصر من الطلاب في الحضور، أو التحضير، وعقد امتحانات دورية تسمح لمن يجتازها بدخول امتحان آخر العام ، ومن الممكن زيادة رسوم الدراسة لإيجاد مكافآت للمدرسين .

٤) من الضروري تشغيل الشباب خلال فترة المراهقة، وعدم تركهم بلا مسئولية ، وملء فراغهم بأعمال نافعة يكلفهم بها الآباء ، أو المدرسون وصدق من قال:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

وقد رأيت شبابا استفادوا بفترة القوة لديهم بمحو أمية البعض في موطنهم، وإقامة ندوات ثقافية في قراهم يحاورون فيها زملاءهم، ويبحثون عن طرق الإصلاح والنجاح لذواتهم وبلادهم .

ومن المعلوم أن فترة الشباب هي فترة القوة، والنشاط، والإحساس بالذات، والميل الجنسي، وهي فترة الطموح، والأمل، واستشراف المستقبل ولذلك فمن المستحسن تكليف الشباب في هذه المرحلة بأعمال يسألون عنها، ورسم صورة الأمل أمامهم، وإرشادهم إلى طريق الحصول عليه .

ومن المفضل توجيه الشباب نحو التدين، وتحبيبهم في الإيمان، وبذل الجهد في تربيتهم تربية صحيحة، وفتح الباب للاستماع لآرائهم ، وإشعارهم بالتقدير والحنان .

ويجب أن تتضافر جهود الأسرة، والمعهد، والمسجد، وأجهزة التوجيه، ومؤسسات تكوين الرأي العام لتوجيه الشباب وجهة سليمة، في إطار خطط واقعية مدروسة .

وهنا أقرر حقيقة عاشها طلاب المعاهد الأزهرية في الماضي، فلقد عاصرت مدرسين يمتلئون إيمانا وتقى، ويفيضون على طلبتهم بالعلوم الإسلامية وهم يشرحون ويعلمون.

كان المدرس داعيا قبل أن يكون مدرسا لمادة مقررة، كنا نرى الأستاذ أبا وزميلا، ومصدر إلهام ونور، نتعلم منه العلم، والإسلام، ومعالم الطريق .

ويجب إبعاد الشباب عن اللهو العابث، ومشاهدة الأفلام الخليعة، والاستماع لأغاني الميوعة والخنا، والفساد .

إن القصص الهابط في الآداب البشرية يقوم دائما على قصة حب محرم بين رجل وامرأة، وما يحدث منهما من غزل مسف، وكلمات جارحة، ومواقف لا يرضى بها عاقل، واختيار الجميلات اللاتي يجدن الميوعة والدلال في القول والحركة، فتشد الشباب إليها، وتفسد سلوكهم وحياتهم، ويفضل أن يستبدل بهذا القصص الهادف الذي ينشر الفضيلة، ويبعد الرذيلة، ويدعو للأحسن في كل شيء .

والقرآن الكريم مليء بقصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم ، ومن خلالها تظهر القيم النبيلة التي تصل الإنسان بالله تعالى، وتعرفه بطبائع النفوس، وأشكال الجدل الحسن، والجدل المقيت، وتنقل المستمع إلى عناصرها ، وتؤثر فيه تأثيرا واضحا.

ويستحسن أن يعرف الشباب خلال هذه المرحلة نماذج من الطهارة، والعفة التي عاشها المسلمون في عصر رسول الله ﷺ ، والسلف الصالح، وبيان ما ترتب عليها من نهضة الأمة، وانتشار الإسلام، وثبات الفضائل والقيم، وشيوعها بين المسلمين .

ويفضل الاستفادة بقوة الشباب، وميولهم الخيرية، وانجذابهم إلى الكبار، وذلك بالإكثار من مجالستهم، والاستماع لآرائهم وأمانيهم .

وليس هناك ما يمنع من إحاطتهم بقصص الشباب الذين ظهروا في الأمة والدولة على مدار التاريخ، وبيان ما بذلوه من أجل دين الله تعالى طاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ ، وإيمانا بقيمة الحياة والأحياء .

٥) يمكن الاستفادة بطاقة الشباب في الخدمات التي تقوم بها الجمعيات الخيرية لخدمة الضعفاء، واليتامى، وذلك بتعليمهم ، ومشاركتهم في أنشطتهم، ورحلاتهم .

ومن الممكن قيام الشباب بدور المدرس المربي مع هؤلاء، وتعليمهم بعض آيات القرآن الكريم، ومصاحبتهم إلى المسجد لحضور الجماعة، والتدريب على كيفية التلقين النظري للقيم، وتطبيقها عمليا.

ـ ٧ ـ
وقفة على أبواب الجامعة

أعانني الله تعالى في المرحلة الثانوية، وقدر لي الجد والاجتهاد خلالها، ووفقني للنجاح والحصول على الشهادة الثانوية من معهد طنطا الديني بنسبة ٨٢ % من مجموع الدرجات ، وقدمت أوراقي إلى كلية دار العلوم لمواصلة الدراسة الجامعية بها، وهو الأمل الذي تمنيته، وعملت للوصول إليه.

ولم تكن مكاتب التنسيق قد أنشئت بعد لطلاب ثانوية الأزهر، وكان الطالب يتقدم بأوراقه إلى الكلية التي يرغبها، فإذا لم تقبله يأخذ أوراقه إلى كلية أخرى تقبله .

قبلتني كلية دار العلوم، وأخذت أعد العدة للدراسة بها ، فأجرت سكنا بجوارها، وأنا سعيد بهذا القبول.

وفجأة تغير الحال، واتخذت الأمور مسارا آخر غير ما كنت أحلم به، فقد قدر الله لي ولا راد لقضائه ﷻ أن أترك كلية دار العلوم، والتحق بكلية أخرى، وفقدت أملا عملت له طويلا، وتمنيته في يقظتي ونومي..

نعم ...

فقدته بعد أن وضعت قدمي اليمنى عند بابه،... فأدركت على الفور بأن هذا قدر الله تعالى، وما الأمل إلا رغبة بشرية يجب أن لا تتجاوز حدودها، وقدرتها، ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ (١) .

---

(١) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

وسبب هذا التغيير أن كلية دار العلوم كانت تشترط بيان الموقف من التجنيد عند دخول الجامعة ، وكان طالب الأزهر يؤجل التجنيد في الثانوية إلى بلوغ أربع وعشرين سنة في أول أكتوبر، وطالب الثانوية العامة يؤجل التجنيد إلى بلوغ اثنين وعشرين عاما في أول أكتوبر أيضا، وكنت أبلغ في أول أكتوبر من ذاك العام اثنين وعشرين عاما إلا عشرة أيام .

فصدر قرار من وزارة الدفاع بتوحيد التأجيل لطلاب الأزهر، وطلاب وزارة التربية والتعليم وحددوه **باثنين وعشرين عاما عند أول يناير** من العام القادم، وهنا بدأت المشكلة معي .

فأنا في أول يناير يكون عمري اثنين وعشرين عاما وشهرين، وعشرين يوما، ولا أستحق التأجيل حسب القرار الجديد .

ولو بقى القرار القديم لأخذت قرار التأجيل بسهولة، وقدمته لكلية دار العلوم، وأتممت أوراقي، وانتظمت فيها .

ولو بقي تقدير المدة عند أول أكتوبر كنت أستحق التأجيل ، لأن عمري وقتها ينقص عشرة أيام عن اثنين وعشرين عاما.

إلا أن قرار التأجيل الجديد جعل حد السن من أول يناير فحرمني من التأجيل، واضطررت إلى التجنيد، ودخول الجيش لأداء الخدمة العسكرية، وحاولت الاستمرار في كلية دار العلوم وأنا في الجيش إلا أنها لا تقبل الانتساب، وتشترط الحضور، ووجدت نفسي أمام أحد خيارين :

إما أن أبقي أوراقي في كلية دار العلوم على أن أبدا الدراسة بعد سنتين حين الانتهاء من فترة التجنيد .

وإما أن أسحب أوراقي وأنتسب إلى إحدى كليات الأزهر .

وظهرت هذه المشكلة مع أغلب الذين تقدموا لكلية دار العلوم من طلاب المعاهد الأزهرية، فتشاورت معهم، وقررنا الانسحاب من كلية دار العلوم إلى كليات أخرى تقبلنا .

فكرت في الأمر كثيرا، وقررت سحب أوراقي، وتقديمها إلى كلية اللغة العربية، فرفضت كلية اللغة العربية أوراقي لأني لم أتقدم لها ابتداء، وكنت أرغب في غيرها قبلها، ولذلك فهي لا تقبلني اليوم بناء على موقفي منها أولا، فاضطررت إلى الذهاب إلى كلية أصول الدين، وأنا في حالة من الحزن والأسى، وأخذت أبكي وأنا ذاهب إلى كلية أصول الدين، لتصوري القاصر أن المصير المؤلم هو الذي سينتظرني بعد التخرج .

وسط حالة من الحزن قدمت أوراقي إلى كلية أصول الدين، وقبلتني الكلية، ووضعتني في فصل يدرس اللغة الفرنسية، لأن فصل اللغة الإنجليزية قد امتلأ (١)، فوافقت على ما قالوا، وكنت أشعر أن الأمل قد ضاع مني، ولا فرق عندي بين اللغة الفرنسية والإنجليزية، واشتريت الكتب المقررة، وأخذتها معي في معسكر الجيش الذي كنت فيه .

---

(١) كان عميد كلية أصول الدين الدكتور / محمود حب الله قرر تدريس اللغتين الإنجليزية والفرنسية لطلاب الكلية على أن يختار المتقدم اللغة التي يحب دراستها من اللغتين .

وتقدمت لإدارة التجنيد بطلب لأكون ضابطا احتياطيا، فذكروا لي أن كلية ضباط الاحتياط لا تقبل طلاب الأزهر، لأنهم لا يعرفون شيئا من اللغة الإنجليزية، وجندوني جنديا في سلاح المشاه، فانتظمت به، وتركت المستقبل لله رب العالمين .

وتعقدت أمامي المشكلة، حيث لا سبيل لأتعلم اللغة الفرنسية، وهي جديدة علي، وليس معي من يدرسها لي، .... **هذه واحدة.**

والثانية: صعوبة المذاكرة في الأيام الأولى للتجنيد، لأن التكليفات العسكرية، والتدريب، والطوابير تستمر ليلا ونهارا ، حيث يبدأ الجنود في النظافة، وترتيب المعسكر، وأرض الطابور ابتداء من الساعة السادسة صباحا، ثم يكون الفطور والبدء في الطوابير من الساعة الثامنة صباحا إلى الثانية بعد الظهر، وبعد الغذاء والراحة تكون الحراسة الليلية .

والثالثة: صعوبة اتصالي بالكلية لمعرفة مسار الدراسة، وإحضار الكتب، وعدم تمكني من الاستعانة بالطلاب لأن مقر كلية أصول الدين كان في شبرا بعيدا عن سائر كليات الأزهر الموجودة بالدراسة .

وعجز عقلي عن إيجاد حلول لهذه المشاكل، ورضيت بالأمر الواقع، وسألت الله تعالى أن يهديني سواء السبيل .

وأعانني الله تعالى وأنا في الجيش لأداء الخدمة الإلزامية ومدتها سنتان، ومواصلة الدراسة بكلية أصول الدين ، وخرجت من الجيش قبيل امتحان الترم الثاني من السنة الثانية بدروس عديدة : –

أولها: عايشت في الجيش العديد من الشباب مختلفي الثقافات والاتجاهات، ووقفت على صور اجتماعية عديدة، فمن الشباب المجند من له زوجة وأولاد، ومنهم الأعزب، ومنهم الحاصل على الدكتوراه، ومنهم الحاصل على الثانوية أو دبلوم ثانوي ، ... ومنهم الغني، ومنهم الفقير، ومنهم المسلم، ومنهم غير المسلم، ومنهم من يعيش حياة هادئة، ومنهم من يعيش وسط هموم ومآس عديدة ، .... وكنا نتحدث في كل شيء بصدق تام وبلا أدنى حرج .

ثانيها : تعاملت مع تنوع الوظائف والأعمال، وناقشت الجنود في عملهم سواء كانوا أطباء ، أو مدرسين ، أو صحفيين، أو شيوعيين ، أو ملتزمين ، واستفدت من هذا التنوع خبرة وفهما بالحياة .

ثالثها: وقفت على صور للنجاح، وصور للفشل، وتأملت في أسباب ما رأيت، وتكلمت مع أصحابها ، وكان إجماعهم على أن السبب الرئيسي للنجاح هو الصدق في القول، والأمانة في المعاملة ، والمتابعة الجادة في الأداء، والحرص والجد في الطريق المستقيم .

رابعها: عند التخرج جمعنا قائد اللواء، وهنأنا بأداء الخدمة العسكرية، وكان مما قاله : إن الجيش هو مصنع الرجال، وقد مكثتم فيه فترة من المراهقة بعدتم خلالها عن ميوعة الشباب، وعشتم مع السلاح، والعمل المنظم، وأداء الواجب، ... وأوصانا بالاستقامة، والجدة في العمل، والإصرار على خدمة الوطن في المجالات التي تخصصنا فيها .

خامسها: ذابت الطائفية في الجيش، وكانت الخيمة الواحدة تجمع المسلم والمسيحي في سلاسة وهدوء، ويكفي تأييدا لهذا أن الزميل الذي علمني الفرنسية كان مسيحيا، وقائد اللواء الذي ودعنا كان مسيحيا .

وأهم دروس هذه المرحلة هو تسليم الأمر لله ﷻ، والرضى بما يقضي به، والوقوف عند حدود الإنسان، فهو عبد لسيده ، وعاجز عن اكتشاف ما غاب عنه، ولا طاقة له إلا بالاستقامة في العبودية، وطاعة سيده العظيم.

وللعبد أن يفكر، ويتمنى، ويطلب، وليس له أن يدبر أمرا أو يقوم بصناعة شيء، وأن يعرف واجب العبد ويؤديه ، ويعرف حق السيد فيحافظ عليه، ولا يخوض فيه .

ولهذا

رضيت بقضاء الله لي، وعلمت أن الأماني أحلام لا تتحقق إلا بقدر الله ﷻ، ومن الضروري الوقوف عند حد الأمل، وترك الفعل لله تعالى.

لقد قدر الله تعالى لي ترك كلية دار العلوم ، فتركتها، واستسلمت للقدر ، فرعاني الله ﷻ، ورحمني، وفتح لي السبيل، وحببني في كلية أصول الدين ورزقني أحلاما جديدة نسيت بها الحلم القديم .

واليوم

انظر لحالي، وأشكر الله تعالى على ما صنع بي، فقد أفاض علي من فضله ونعمه، .... وجعل دخولي كلية أصول الدين سبب ما أنا فيه، ... وأقارن نفسي بمن استمر في كلية دار العلوم ، أو تخرج من

كلية اللغة العربية، فأخر لله شاكرا، وأحمده على اختياره وتفضله، فهو صاحب الفضل، وهو على كل شيء قدير .

إن ربي رحيم ودود، وهو حسبي ونعم الوكيل، وأساله ﷻ في ذلة وخشوع أن يجعل آخرتي خيرا من دنياي، وأن يرزقني الفردوس الأعلى، وأن أجلس في مقعد الصدق عنده ، إنه نعم المولى، ونعم النصير .

وأعظم الدروس هو دور الإيمان بالله تعالى في حياة الإنسان ، فقد ثبت لي أنه أساس الشخصية المسلمة التي تجعل صاحبها يحافظ على حق الله تعالى ، ويستقيم على شريعته ، ويستمر في معية الله تعالى ذكرا ، وتأملا، وقولا، وطاعة، .... ويجتهد في يومه الذي يعيش فيه، ويسأل الله تعالى العفو والقبول لماضيه، والتوفيق والسداد لمستقبله ، وترك الأمر لله تعالى يقضي فيه بما يشاء .

وما جاز لمثلي إلا أن يصدق في إيمانه بالله تعالى، ويستمر في الطاعة، والخشوع، والدعاء، فقد غير القدر أحلامي، وأخذني من نظري القاصر ، ووضعني في كرمه الفياض، ونعمه الواسعة .

لقد أعطاني الله الكثير، والكثير جدا،... وأمدني بمالم أتصوره قط .

والحمد لله رب العالمين .

ـ ٨ ـ
في رحاب كلية أصول الدين

اضطررت إلى سحب أوراقي من كلية دار العلوم، لأني لم أوافق على إضاعة سنتين من عمري، واستسلمت لقدر الله تعالى، وحاولت الانتساب إلى كلية اللغة العربية ولم أتمكن من ذلك، فقدمت أوراقي إلى كلية أصول الدين .

وبدأ الفصل الدراسي الأول وأنا في الجيش، وقد قرب موعد الامتحان، وظهرت مشكلة التفرغ لأداء الامتحانات الشفوية والتحريرية، وتم حلها بفضل الله تعالى ، فقد تقدم الطلاب المشابهون لحالتي بطلب أجازة للامتحانات من رئاسة أركان الجيش، فصدر تعميم بإعطاء الطلاب الدارسين أجازة من أول الامتحان إلى نهايته، بشرط أن يحضر الطالب شهادة من الكلية تحدد مدة الامتحان،....

وأتى زميلي المنتسب لكلية أصول الدين مثلي بشهادة تثبت بدء الامتحان ونهايته، وتبين أنه يستغرق شهرا ونصف شهر ،حيث امتحانات المتخلفين في نهاية الامتحانات، وحصلت على هذه الأجازة، ... وأقمت خلالها مع طلاب مسير، ومنية مسير، وكانوا يسكنون في القلعة .

وعرفت الطريق إلى شبرا، وحضرت امتحان الترم الأول، الشفوي والتحريري، ... وقد امتحنني الأساتذة الذين كانوا يدرسون بعض المقررات للطلاب،فلما سألوني أجبتهم، فسألوني عن الكتب التي ذاكرت فيها، ومن هم مؤلفوها ، فأخبرتهم وكانوا هم الأساتذة ولم أكن أعرفهم ، فلما رأوا إجاباتي سليمة أعطوني الدرجة النهائية في الامتحان الشفوي،

وهـي تقـدر بعشـرين فـي المائـة مـن درجـات كـل مقـرر، وأكرمـوني لاعتمادي على نفسي في المذاكرة، وكانت مدة الأجازة طويلة ساعدتني علـى زيـادة التحصـيل والمـذاكرة ، وزيـارة والـداي وإخـوتي بعـد انتهـاء الاختبارات .

وفـي آخـر أيـام الامتحـان فوجئت بسكرتير الكلية يسلمني عددا من الكتب العلمية في المعارف الإسلامية ، لأنني أحد العشرة الأوائل الذين انتسبوا للكلية هذا العام، وكان هذا أول الغيث من كلية أصول الدين.

ومـن خـلال دراسـتي للتـرم الأول فـي كليـة أصـول الدين ، وبـالرغم بأني اكتفيت بقراءة مؤلفات الأساتذة هدأت نفسي، فقد عشت مع علوم التفسير والحديث، والعقيدة، والأديان من خلال كتب التراث المقررة، مثل تفسير أبـي السعود، وفتح البـاري، والعقيدة النسفية، والطحاويـة، فتعلقت بهذه الفنون، ورغبت التخصص فيها، ولذلك لما صدر قرار بإلغاء قانون تأجيل التجنيد الذي صدر حديثا ، والعودة إلى القانون القديم لم أكترث به، ولم أغير رأيي، وقررت البقاء في كلية أصول الدين لغزارة علومها، وقرب انتهائي من السنة الأولى .

واستمرت عناية الله ﷻ بي في مواقف عديدة ، منها : -

أولاً : بعد انتهاء الترم الأول بدأ الترحيل من مركز التدريب إلى الوحدات العسكرية، فسعى كل مجند من المؤهلات سعيه ليكون في جوار موطنه، ودراسته، ولم يكن لي سبيل مثلهم ، فرحلت إلى رئاسة اللواء السابع مشاه، الموجود في غزة، وبعد شهر من الترحيل تبادل

اللـواء موقعـه مـع لـواء ببـرج العـرب بالإسـكندرية، وانتقلـت معـه إلـى الإسكندرية، فاقتربت بذلك من كليتي، وهذا فضل من الله تعالى .

ثانياً : أخذت أسال زملائي الجنود عن أحد يعلمني اللغة الفرنسية بـالمنهج المقرر فـي كليـة أصـول الـدين، فوجدت فيهم جنديا قد حصـل علـى دبلوم التجارة من مدرسة فرنسية بالإسكندرية، ووافق علـى تعليمـي بلا مقابل، وكان المقرر في الكلية خمسة دروس من أول الكتاب المقرر على السنة الأولى الثانوية، ولم أكن أعرف المقرر على وجه التحديد ، فأخذت في دراسة الكتاب كله، وانتهيت منه بدروسه العشرين، وواصلت بعده دراسة الكتب التالية حتى انتهيت من الكتاب الخامس، وصرت أقرأ موضـوعات مطولـة، وأفهمهـا بمسـاعدة قواميس اللغـة الفرنسـية ، وبـذلك حلت مشكلة اللغة الفرنسية معي، وكانت إحدى المواد التي تفوقت بها في كلية أصول الدين .

وجد لـي مـع اللغـة الفرنسـية أمل جديد ، وهو مواصلة دراستها، وإجادتها لأكون مبعوث الأزهر إلى إحدى الدول الناطقة بالفرنسية .

وازداد حبـي لكليـة أصـول الـدين ، وبخاصـة بعـد ظهـور نتيجـة الفصل الدراسي الأول للسنة الأولى، حيث نجحت في كل المواد بتقدير "**جيـد جـدا** " رغـم طـول المقـررات، وعمقهـا، ماعـدا اللغـة الفرنسـية فقـد تغيبت عن امتحانها، وأجلتها إلى الفصل الدراسي الثاني .

وفي الفصل الدراسي الثاني نجحت في جميع المواد مع مقررات اللغة الفرنسية في الفصلين، وانتقلت إلى السنة الثانية، ...

وفي السنة الثانية واصلت الدراسة على طريقة السنة الأولى، فقد تم الاستقرار في الجيش، وانتظم اتصالي بالكلية، وأخذت في تجويد علومها، وفنونها، ووجدت متسعا من الوقت للمذاكرة، ... لأني استلمت أحد مخازن اللواء، ولازمت الجلوس فيه، وكان في رئاسة اللواء مكتبة عامرة بالكتب الإسلامية، تولى شئونها شاب مسيحي دفعتي، وكانت فرصة للإطلاع والقراءة، وخرجت من الجيش بعد الانتهاء من الامتحان النهائي من السنة الثانية، وتم انتقالي إلى السنة الثالثة.

ومع بداية السنة الثالثة بالكلية أنشا الأزهر معهدا مسائيا سماه "**معهد اللغات والترجمة**" يتعلم فيه الطلاب الراغبون إحدى اللغات الأجنبية التي يريدونها، وكان المعهد يدرس اللغة الإنجليزية، والفرنسية، والأردية، والعبرية، والفارسية، فانتسبت إليه في قسم اللغة الفرنسية، وواظبت على الحضور يوميا، وكان المعهد في معهد البراموني للبعوث المجاور لقصر عابدين، وكان يعيبني النطق، لأني تعلمت اللغة من الكتاب وليس من أفواه المتحدثين .

وانتهت السنة الثالثة، وكانت الدراسة بالكلية على صورة تخصص واحد ، يدرس فيه الطلاب جميع المواد المقررة، ويتخصصون بعد التخرج في أحد التخصصات التالية : –

١– في معهد الوعظ والإرشاد، ومدته سنتان، وكان يمنح شهادة التخصص المعادلة للماجستير، ويؤهل خريجيه للوعظ والإرشاد.

٢- الدراسة في تخصص التدريس ومدته عام واحد، لتأهيل الخريجين للتدريس .

٣- الدراسة في الإجازة العالمية للحصول على الماجستير والدكتوراه في الحديث وعلومه ، أو في التفسير وعلومه، أو في العقيدة وما يتصل بها .

إلا أن قانون الأزهر الجديد الذي صدر في أجازة الصيف بعد السنة الثالثة غير نظام التعليم في الأزهر، فجعل الدراسة قبل الجامعة ثلاثة مراحل هي **المرحلة الابتدائية**، ومدتها ست سنوات، **والمرحلة الإعدادية** ومدتها ثلاث سنوات، **والمرحلة الثانوية** ومدتها ثلاث سنوات ، وبذلك صارت المعاهد الأزهرية مثل مدارس التربية والتعليم ، وبدأت المعاهد تقبل التلاميذ صغارا وهم دون السادسة بلا شروط أو قيود .

وغير النظام مسمى الدراسة بعد الثانوية من الجامعة الأزهرية إلى جامعة الأزهر، وأنشأ عديدا من الكليات العملية، مثل الزراعة، والطب، والصيدلة، والهندسة، والتجارة والتربية، بجانب الكليات القديمة وهي أصول الدين، والشريعة، واللغة العربية، وجعل كلية الشريعة قسمين ، قسما يدرس على المنهج القديم، وقسما يدرس القانون مع الشريعة ، وغير مسمى الكلية إلى " كلية الشريعة والقانون " .

واستحدث النظام سنة تأهيلية لطلاب الكليات القديمة ، لدراسة ما فاتهم من علوم مثل علم النفس، والاجتماع ، والنظم الإسلامية ، واللغات الأجنبية، وغيرها .

وبذلك نشأت سنة جديدة درستها بين السنة الثالثة وبين السنة الرابعة، ودرسها جميع طلاب الكليات القديمة في جميع المستويات الدراسية .

وقد بدأ طلاب السنة الثالثة التخصص بها في كلية أصول الدين ، حيث ظهرت أقسامها الجديدة، وهي قسم التفسير، وقسم الحديث، وقسم العقيدة، وقسم الدعوة .

نشط رئيس قسم الدعوة الشيخ / فتح الله بدران فرغبنا في قسم الدعوة، وعرفنا أننا سنتخرج منه ملحقين دينيين في السفارات المصرية المنتشرة في العالم الإسلامي فانتسب إليه أكثر الطلاب، وكنت واحدا منهم .

واستغرقت دراستنا في التخصص الجديد سنتين كاملتين ، حرصت خلالها على العمل والاجتهاد لأفوز بأحد مزايا النظام الجديد الذي يقوم على تعيين الأوائل معيدين في القسم .

وأذكر أني في اللغة الفارسية استطعت خلال السنتين أن أتحدث شفاهة مع أستاذها المنتدب، وكان يشغل رئيس قسم اللغة الفارسية بكلية الآداب جامعة عين شمس، وقد قال لي : لو القانون يساعدني لعينتك معيدا في كلية الآداب ، إلا أن القانون يمنع ذلك .

حاولت وأنا أدرس في كلية أصول الدين قراءة كتب عديدة في المقرر الواحد، وأذكر أني قمت بعمل مذكرة في التفسير رجعت فيها إلى العديد من مؤلفات التفسير، وجعلتها أساس استعدادي لامتحانات آخر العام .

والمهم أني تخرجت من قسم الدعوة بعد الانتهاء من السنة التأهيلية، والسنة الرابعة، وكان ترتيبي الأول على قسم الدعوة، وصرت متفوقا في اللغة الفرنسية ، واللغة الفارسية .

وانفتح أمامي باب الأمل مرة أخرى، وتمنيت أن أعين معيدا بقسم الدعوة بالكلية، أو ابتعث إلى العالم الإسلامي الناطق باللغة الفرنسية، أو الفارسية ، وقارنت حالي بحال من تخرج من كلية دار العلوم فحمدت الله تعالى أن اختار لي ما أنا فيه، وأعانني على العمل والتفوق، واجتياز الصعاب والمشاق .

ومن عجيب ما فعلت وأنا في السنة الرابعة قيامي بالاشتراك في ثلاث مسابقات للتعيين بالثانوية الأزهرية خوفا من عدم التعيين بالإجازة العالية، وقد نجحت في هذه المسابقات، ورشحت للتعينن عند تخرجي في أعمال ثلاثة هي : -

١- مقيم شعائر بمسجد سيدي عبد الرزاق بمنية مسير، إلا أن شيخ المسجد حولني إلى مسجد المهراني بنفس القرية .

٢- واعظ بمركز شرطة أسيوط التابع لمصلحة السجون .

٣- مشرف ديني في أحد المبرات الخيرية بطنطا .

ولم أتسلم أي عمل من هذه الأعمال الثلاثة انتظارا لعمل أرقى وأرفع بالإجازة العالية التي حصلت عليها من قسم الدعوة الإسلامية، وبخاصة أن التعيين قد تم بعد ظهور نتيجة الكلية، وأملت في عمل استطيع معه مواصلة الدراسات العليا في تخصص الدعوة، وتصورت

أن الطريق أصبح مفروشا بالورود ، وميسرا، ... إلا أن القدر الإلهي لم يقض لي بما خططت له ، وهذا ما سأوضحه فيما بعد .

ومن طرائف ما حدث معي وأنا في السنة النهائية، أن كانت الدولة تحتفل بعيد العلم الثامن، حيث يقدم رئيس الجمهورية الجوائز التقديرية والتشجيعية للعلماء المميزين، وشهادات التفوق لأوائل الكليات وسط احتفال كبير تنقله الإذاعة والتليفزيون، وقبل تخرجي بعام واحد حصل الدكتور / أحمد أحمد غلوش مدير إدارة منع المسكرات على جائز الدولة التشجيعية، فظن أهالي منية مسير أنه أنا ، فذهبوا إلى أبي يهنئونه، فأخبرهم أنه ليس أنا، وفي العام التالي كنت أكرم بصفتي الأول على قسم الدعوة في احتفال عيد العلم التاسع الذي تنقله الإذاعة والتلفزيون ، فلما سمع أهل القرية ذلك الاحتفال ظنوه لست أنا، ولم يفعلوا شيئا، ولم يهتموا بالأمر .

والواقع اليوم يجعلني أقرر وأوصي بما يلي : -

١- **ضرورة تفحص الأمر الواحد من كل وجوهه،** لأن الاكتفاء بوجه واحد لا يوصل إلى الحقيقة، وقد يكون هذا الوجه أقل أوجه التقييم، ولكل موضوع ثوابت ومتغيرات، والمهم الاعتماد على الثوابت حين التقييم .

٢- **عدم الإغراق في الظن،** فكثير من الظن إثم، واتهام الآخر بما يظهر منه لا يجوز، فعسى أن يكون له عذر يخفيه، ولا يحب أن يطلع عليه أحد.

٣- **لا يصح لمسلم أن يشمت بأخيه** حتى لا ينتقل البلاء إليه .

٤- **ضرورة اليقين التام بأن قدر الله تعالى غالب في كل شيء،** وقد أخفى الله تعالى المستقبل على الناس، وحدد لهم الطريق ، وأمرهم بالسير فيه ، والاستقامة على ما شرعه لهم ليعيشوا عبادا قانتين، لا يشغلهم المستقبل فهو بيد الله ﷻ، وكل ما عليهم أن يصدقوا مع الله تعالى، ويجدوا في العمل، ويتأكدوا من أنه ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (١) .

٥- **الإيمان بأن الحياة الدنيا لا تدوم على حال،** فبعد الكرب يكون الفرج، وآخر الليل المظلم فجر مضيء، ولا يأتي النور إلا في نهاية النفق، ويبقى الأمل في الله تعالى، ولذلك يكون أعظم أعمال المؤمن الإيمان، والتوكل على الله تعالى ، والدعاء الدائم، والرضى بما قضى الله تعالى وقدر .

٦- **عدم اليأس والقنوت أمام المواقف الصعبة،** وضرورة اختيار آمال بديلة استنباطا من أحلام الإنسان ليعمل لها، ويترك الحسرة والألم لضياع الأمل، ويلجأ إلى الله تعالى ليهديه سواء السبيل، فهو سبحانه العليم الخبير .

٧- **ضرورة الاستفادة بطاقات الشباب،** وتوجيهها إلى النافع المفيد.

---

(١) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

-٩-
مشاكل ما بعد التخرج

تخرجت بترتيب الأول من قسم الدعوة الإسلامية كلية أصول الدين، وأملت أن أعين معيدا بالقسم ، أو أبعث واعظا لأحد البلدان الإسلامية الناطقة باللغة الفرنسية ، ... ولم أنل شيئا مما أملت فيه .

فقد أعلن المسئولون في الجامعة أن قسم الدعوة يختص بالتطبيق العملي للعلوم والدعوة الميدانية وسط الجماهير، أما الدراسات العليا فهي للأقسام الأخرى المختصة بالبحث والتعمق في العلوم الإسلامية، ولذلك لن تعين الجامعة معيدين لقسم الدعوة، ودور خريجيه هو وعظ الجماهير، وإرشادهم .

وكذلك لم تعتمدني لجنة الابتعاث لأن لكنتي الفرنسية غير سليمة .

وأخذت في السعي نحو عمل آخر، فأعلنت وزارة الأوقاف عن عمل مسابقة للأئمة والخطباء، فتقدمت لها، وتم الاختبار، وكان ترتيبي الخامس، ومن حقي أن أكون أولا في التعيين لأني أديت الخدمة العسكرية ، وأصدر وزير الأوقاف الدكتور/ محمد البهي قرارا بتعيين أوائل المسابقة في محافظة أسوان لمواجهة الشيوعيين الذين يعملون في السد العالي في هذا الوقت، ... وهو قرار صائب إلا أنه يعارض أحلامي وأمنياتي .

استسلمت للأمر، وسافرت إلى المسجد الذي عينت به في محافظة أسوان، وتنقلت في أسوان خلال عام واحد بين مسجد "**الصعايدة بحري**"، ومسجد "**شركة السكر بكوم امبو**"، ومسجد "**النصر**"، و"**المسجد الكبير**"

بمدينة أسوان، ولم أنس أحلامي وآمالي، وظللت متعلقا بالقاهرة.

وحدث أن أعلنت جامعة الأزهر عن افتتاح دراسة مسائية لخريجي الكليات الأزهرية القديمة لينالوا منه دبلوما في الدراسات النفسية والتربوية وسموه " **معهد الإعداد والتوجيه** " مدته سنة واحدة، وقرروا أن تكون الدراسة فيه مسائية تعويضا للطلاب عن السنة التأهيلية ، ....

كما أعلنت الجامعة عن افتتاح معهد آخر سموه "**معهد الدراسات الأسيوية الأفريقية** " واشترطوا في الطالب الذي يتقدم لهذا المعهد أن يكون حاصلا على تقدير "جيد جدا " من إحدى كليات الأزهر القديمة، وله إلمام بإحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية، ويجتاز اختبار القبول، ومدة الدراسة في هذا المعهد سنتان دراسيتان، يعامل فيها الطالب ماليا معاملة معيد الجامعة ، على أن تكون الدراسة في السنة الأولى في تاريخ العالم الإسلامي، وواقعه، مع اللغة الأجنبية المختارة، وفي السنة الثانية يتخصص كل طالب في تاريخ البلد الذي سيبعث إليه، بعد إتقان لغته، ومعرفة عاداته، وتقاليده، ويقضي ستة أشهر من السنة الثانية في البلد الذي تخصص في لغته ليبعث إليه بعد نجاحه في السنة الثانية .

وأعلنوا أن شهادة هذا المعهد تعادل الماجستير، وتؤهل للدكتوراه، ... كما أعلنت كلية أصول الدين عن افتتاح "**معهد الدعوة والإرشاد** " وهو المعهد الذي نص عليه تطوير الأزهر، ومدته سنتان، وهو يقبل طلاب الدعوة الحاصلين على تقدير "جيد" ويمنح درجة الماجستير، على أن يقدم الطالب بحثا صغيرا في السنة الثانية يمتحن فيه شفويا مع

المواد الأخرى .

ظهرت هذه المعاهد الثلاثة بعد أن استلمت العمل في أسوان، **وساءلت نفسي : ماذا أفعل ؟ ...**

فأنا لا استغني عن العمل الذي انتظرته طويلا، وحاجتي إليه ماسة **ولا أحب ترك الدراسات العليا**، وقد تمنيتها طويلا ؟ ....

نعم ... ماذا أفعل ؟

واستسلمت لقدر الله تعالى، وعزمت على الحركة، والنشاط بلا تفكير في الغد، وسألت الله تعالى التوفيق، فالعلم علمه ﷻ، والقدر قدره

وقدمت أوراقي للمعاهد الثلاثة عسى أن أوفق في واحد منها، فقبلت بها جميعا، وأخذت أتعامل مع الواقع بقدر استطاعتي، وتوكلت على الله تعالى راجيا عونه ورحمته، لأني لم أجد في التفكير إلا البؤس والتعب .

وبعد أسبوعين من بدء الدراسة أعلنت الجامعة توقف الدراسة في "**المعهد الأسيوي الأفريقي**" لعدم وجود ميزانية له .

وكلفت أخي إبراهيم بإحضار الكتب والمحاضرات الخاصة بـ " **معهد الإعداد والتوجيه**" ، وأخذت أحضر مرتين في الشهر لـ " **معهد الدعوة والإرشاد**" مع طلاب أغلبهم من العراق .

وتقدمت بطلبات عديدة إلى وزارة الأوقاف لنقلي إلى القاهرة من أجل الدراسات العليا، وتقدم غيري بمثل ذلك، فوعدنا الوزير المهندس/ أحمد عبده الشرباصي- وكان وزيرا للأوقاف وقتها- بأن ينقل من ينجح في السنة الأولى من الدراسات العليا إلى القاهرة ، وأصدر قرارا بذلك .

وهكذا كثرت الأعباء ، وزادت المشاكل، وقد ساعدني أخي إبراهيم مساعدة كبيرة بالإخلاص الذي يتميز به ، فكان يقضي يومه في كليته، وفي المساء يحضر في " **معهد الإعداد والتوجيه**".

واعتمدت على الله تعالى، وسرت في هذا الطريق رغم قسوته ومشقته، وركزت على القراءة والمذاكرة لأعوض عدم الحضور، ...

وإن كان لي اليوم بعض الدروس والعبر من هذه الفترة فإني أقول: –

١– أهمية الصمود أمام المشاكل الطارئة المضادة للأهداف السامية، والاستعداد للمواجهة التي لابد منها، مع التسليم بأن المكان العالي يعارضه السيل، والجود يفقر، وقد قيل : إن لم يصمد أصحاب الهمم العالية، فمن للمواقف الهامة أذا ؟ ...

٢– عدم اليأس وتقوية العزيمة، واختيار البدائل الموصلة للهدف النهائي مادام خاليا من النزق والفساد، وبذلك يستمر الأمل، وينشط الراغبون، ومن الممكن تقسيم الطريق إلى أجزاء لتحقيق الأمل بعد اجتياز الطريق إليه على عدة مراحل .

٣– التعلق الدائم بفضل الله ﷻ ومداومة ذكره، وشكره، والطلب منه، فعلمه شامل، وقدرته كاملة، ورحمته واسعة، وصدق من قال :

دع عنك المآسي واطلب إزالتها ولا تنامن إلا خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

٤– التخطيط للمستقبل، وانتظار النتائج يجب أن يبقى في إطار الممكن المحتمل للوجود والعدم، فكم من أمان لم يقدر الله ﷻ لها التحقق .

ـ ١٠ ـ
مرحلة الدراسات العليا

﴿ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴾

وهكذا

أخذت أرحل بين القاهرة وأسوان ، وأركب في قطار متعب أقضي فيه عشر ساعات في الذهاب ومثلها في العودة، وكنت أقضي هذا الوقت والكتاب في يدي وسط ركاب الدرجة الثالثة .

وقدر الله تعالى لي الخير وسط هذه المتاعب، وتجلت رحمة الله تعالى معي في مواقف عديدة ، .... أهمها : –

أولاً : وافق مفتش مساجد أسوان الشيخ / إبراهيم الشرقاوي على أن أتغيب كل أسبوعين ثلاثة أيام بعد صلاة الجمعة أسافر خلالها إلى القاهرة على أن أعود يوم الثلاثاء، وهذه الموافقة ساعدتني بفضل الله تعالى على متابعة الدراسات العليا في معهد "**الدعوة والإرشاد**" بكلية أصول الدين ، وإحضار الكتب والمحاضرات التي كان أخي إبراهيم يشتريها ويجهزها من معهد الإعداد والتوجيه، واستمر الأمر كذلك حتى تمكنت من حضور الامتحانات في المعهدين .

ثانياً : كان عدد الطلاب الدارسين في " **معهد الإعداد والتوجيه** " أكثر من ألف طالب هم خريجو الكليات الأزهرية الثلاث،وكان الامتحان موحدا فلما ظهرت نتيجته لم ينجح من الطلاب بتقدير " **جيد جدا** " إلا طالب واحد، .... هو أنا .... ؟؟؟ !!!

ثالثاً : دخلت امتحانات السنة الأولى **بـ" معهد الدعوة والإرشاد** " وكان عدد الطلاب خمسا وثلاثين طالبا منهم أربعة من المصريين، وثلاثون عراقيا، وبعد إتمام الاختبار لم ينجح إلا طالب واحد ، .... هو أنا ، ...؟؟؟ !!!

وبضغوط من السفارة العراقية، وكانت العلاقة حسنة بين رئيس مصر والرئيس / عبد السلام عارف يومها أعيد التصحيح ثلاث مرات، وبقيت النتيجة على ما هي عليه .

ولنجاحي في السنة الأولى في " معهد الدعوة والإرشاد" قصة أحب أن أذكرها، فقد تقدم في الامتحان التحريري خمس وثلاثون طالبا، ونجحت وحدي في الامتحان التحريري بعد مراجعات متعددة لتصحيح الأوراق، وأخذت انتظر الامتحان الشفهي.

وقررت جامعة الأزهر تشكيل لجنة واحدة لامتحانات الدراسات العليا في كليات أصول الدين، والشريعة، واللغة العربية، وكانت اللجنة مشكلة من كل من: –

١– الأستاذ الدكتور / عبد الله ماضي وكيل الأزهر .

٢– الأستاذ الدكتور / عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين .

٣– الأستاذ الدكتور / عبد القادر حسن عميد كلية الشريعة.

٤– الأستاذ الدكتور/ محمد محيي الدين عبد الحميد عميد كلية اللغة العربية .

وأرادت الجامعة بهذا التشكيل المحافظة على المستوى العلمي العالي

لطلاب الدراسات العليا .

وكان عدد الذين نجحوا في الامتحانات التحريرية من كلية الشريعة ستة، ومن كلية اللغة العربية أربعة، ومن أصول الدين واحد فقط هو أنا

وامتحنت اللجنة طلاب كلية الشريعة فنجح طالب واحد، ونجح من كلية اللغة العربية واحد كذلك ، وامتحنتني اللجنة مدة ساعة ونصف، وخرجت من الامتحان مضطربا ، قلقا ، فنادى عليَّ فضيلة الشيخ / محمود عبد الغفار وكيل الكلية ، وبشرني بنجاحي، بسبب تمسك الدكتور / عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين على نجاحي، فلقد أصر على أن ينجح من كليته واحد كسائر الكليات ، ونصحني بشكر الله تعالى .

وهكذا تم نجاحي، وانتقلت إلى السنة الثانية .

واستفدت بنجاحي، وتقدمت بطلب إلى وزارة الأوقاف لنقلي إلى القاهرة بناء على القرار الوزاري السابق ، فوافقت الوزارة وتم نقلي على الفور إلى أحد مساجد القاهرة ، واستلمت العمل في مسجد بميدان الجيش بالعباسية.

وأخذت أعمل واستعد لأمرين :

أولاهما : هو الاستعداد للدراسة في السنة الثانية بمعهد الدعوة والإرشاد لأتمم مرحلة الماجستير .

وثاني الأمرين : متابعة السعي لأتعين معيدا بقسم الدعوة بعدما تعين زملائي في الأقسام الأخرى .

وعند بداية العام الدراسي التالي علمت أن الطلاب جميعا رسبوا في امتحان الدور الثاني، وبقيت وحدي في السنة الثانية ، فأخبرتني إدارة الكلية بأنها لن تنتدب هيئة تدريسية لطالب واحد، وصرحت لي بأن أذهب إلى الأساتذة الذين تعينهم لي، ومعي المناهج، وخطاب من الكلية لهم، يوضح المناهج، ويبين أن من حقهم أن يعلموني، ويوجهوني من منازلهم على أن يحضروا الأسئلة للكلية في آخر العام ، وعرفوني بالأساتذة وهم :

١- فضيلة الشيخ/ صلاح أبو إسماعيل، مدير عام الدعوة بوزارة الأوقاف .

٢- فضيلة الشيخ/ محمد أبو زهرة الأستاذ بكلية الحقوق جامعة القاهرة

٣- فضيلة الشيخ / محمد الغزالي مدير المساجد بوزارة الأوقاف .

٤- فضيلة الشيخ/ سيد سابق مدير شئون المصاحف بوزارة الأوقاف

٥- فضيلة الشيخ / سيد صقر ، عالم الحديث المشهور بالتحقيق .

أخذت الرسائل والمناهج وبدأت المرور على بيوت الأساتذة .

وزرت ثلاثة منهم فرحبوا بي، وأعلنوا استعدادهم لتوجيهي، وتحديد المقررات والكتب المطلوبة، إلا أني رأيت مشقة كبيرة تكلفني التعب الجسماني، والإنفاق المالي، وكنت أقف أمام الأبواب طويلا حتى يؤذن لي، فقررت التوقف، وأخبرت الكلية بذلك ورضيت بالانتظار هذا العام على أن أدرس في العام التالي مع الطلاب الذين سينجحون ، وعزمت

في نفسي على أن أخصص هذا العام لدراسة علوم الحديث ، والقيام بأبحاث موجزة في موضوعات مثل :

- الشباب المسلم بين الواقع والأمل .
- عمل المرأة في الريف والحضر .
- تميز المسلم وخصائصه .

واكتفيت بمتابعة موضوع الإعادة في قسم الدعوة ، وقدمت عدة طلبات لرئيس القسم، وعميد الكلية، وتقدمت لعدد من الإعلانات الخاصة بتعيين معيدين بكلية أصول الدين وبخاصة الإعلانات التي لم تحدد التخصص، ولم أحقق في هذا نجاحا، فرضيت بما أنا فيه، وشكرت ربي على فضله الدائم المستمر، ودعوته أن يشملني بعطفه ورحمته، ولا يدعني لنفسي أبدا .

وفي السنة التالية نجح عدد من الطلاب، واشتركنا سويا في دراسة السنة الثانية، وفي نهاية الامتحان نجح عدد من الطلاب وحصلوا على الماجستير، وكنت بينهم الأول، وقدمت في الامتحان الشفوي بحث "**الشباب المسلم بين الواقع والأمل**" وناقشني فيه الشيخ/ محمد الغزالي، والشيخ/ سيد سابق .

وسجلت رسالة الدكتوراه في " **جهود الإمام السيوطي في التفسير**" بإشراف الشيخ / أحمدين رئيس قسم الحديث المتصف بالدقة العلمية ، وقوة الشخصية، والحرص على المصلحة، .... وقد سعدت باختيار هذا الموضوع لحبي للدراسات القرآنية،... إلا أني بعد مدة غيرت الموضوع،

واخترت موضوعا آخر بعنوان " **الدعوة الإسلامية لتحقيق السعادة ، ونشر السلام ، ووسائلها في القرآن الكريم** " ولهذا التغيير بهذا العنوان قصة سأوضحها فيما بعد .

وأعود إلى قصة تعييني معيدا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين لما فيها من عجائب قدرة الله تعالى ، وذلك أنه بعد حصولي على الماجستير، وتسجيل الدكتوراه يئست من التعيين بالكلية، وتركت التعلق بهذا الموضوع ، وأصدرت الكلية إعلانا لتعيين أربعة معيدين ، ولم تحدد تخصصا معينا، وذهبت إلى الكلية في آخر شهر رمضان قبل أن أسافر إلى البلد في العيد فوجدت هذا الإعلان، فلم اهتم به، وقررت عدم التقديم فيه توفيرا للمال الذي يحتاج إليه التقدم، وبخاصة أن العيد قادم، وقد احتاج لهذا المال في مصاريفه، وتوقعا مني أنه كسابقه .

وانصرفت من الكلية ، وقابلني عند باب الجامعة الزميل الأستاذ / محمد نصار رحمه الله ...

وسألني : هل قدمت في هذا الإعلان ؟ ...

فقلت له: لم أتقدم، ولن أضيع فيه مالا، فقد تقدمت كثيرا ولم أوفق.

فقال لي مقسما : ارجع معي ولابد من التقديم ، وسأدفع التكلفة من جيبي، فرجعت معه ، وقدمت طلبا لإدارة الكلية .

وكان اليوم آخر يوم للإعلان، ولذلك ذكرت في الطلب أني بلا عمل، وأني لم أحصل على الماجستير ليقبل طلبي ، لأني لو ذكرت أن لي عملا ، وحصلت على الماجستير سيكون مطلوبا مني إحضار

موافقة جهة العمل، وإحضار شهادة الماجستير، والوقت لا يسمح بذلك، فاليوم آخر يوم في الإعلان ، وبعده تبدأ أجازة عيد الفطر .

وتمضي الأحداث العجيبة ، وييسر الله تعالى الأمر، وتبدأ اللجنة في فحص طلبات المتقدمين، ويقدم مراقب الكلية بيانا وافيا عني من سجلات الكلية، ويبين فيه أني حاصل على درجة الماجستير، وأني الأول في سنة التخرج من قسم الدعوة، وأني أعمل بوزارة الأوقاف ، وكانت هذه دعائم تعييني التي أخذت بها اللجنة، وعينتني، فكنت أول معيد بقسم الدعوة الإسلامية، وجاء الفرج من الله ﷻ وتحقق الأمل الذي رجوته من زمن بعيد، والفضل لله وحده، ثم لزميلي الدكتور/ محمد نصار – رحمه الله رحمة واسعة، وله مني الشكر الجزيل ، والدعاء الوافر ليجزيه الله عني خير الجزاء .

ومن دروس هذه المرحلة أذكر ما يلي : –

١- **استمرار الأمل في الله تعالى**، والتسليم بكل ما يقضي به سبحانه، فقد يتحقق الأمل في موعده ، أو في غير موعده ، أو يستبدل الله تعالى به أمرا آخر .

٢- **التوكل الدائم على الله تعالى**، والتخلص من حب الذات، حتى لا يتصور الإنسان أنه يخلق أفعال نفسه ، لأن الواقع يؤكد أن الإنسان لا يمكن أن يفعل شيئا، وخالق كل شيء هو الله تعالى، وقد ثبت لي أني حين اجتهدت ، وتوقعت أثرا لم يتحقق شيء، وحينما نسيت الأمل حققه الله تعالى .

-١١-
وصرت معيدا بالجامعة

أنعم الله تعالى عليَّ أن عينت معيدا بقسم الدعوة الإسلامية في كلية أصول الدين بعد تخرجي من الكلية بأربع سنوات، عشت خلالها تغيرات عديدة تغيرت فيها الآمال تبعا لتغير مسار حياتي، وتغير الأماكن التي عملت فيها، ... وكانت المدة تجربة حاسمة أثرت في نفسي وعواطفي، وكانت عناية الله تعالى معي، فقد عشت خلالها مواقف عديدة مؤلمة، أعانني الله ﷻ فيها، فتحملت سوأتها، واجتزت مواقفها المؤلمة، ولولا رحمة الله تعالى لملكني اليأس، وسيطر علي العجز والقنوط، ... **ومن هذه المواقف** :-

١- أكرمني الله تعالى وحصلت على الإجازة العالية " الليسانس" من قسم الدعوة ، وكنت الأول في الترتيب، وأخذت أتصور قرب تعييني معيدا بالقسم، وإذا بي أفاجأ بعدم تعيين معيدين بقسم الدعوة، وفي عيد العلم يكرم الخريج الأول من كل قسم في الجامعة، وكنت واحدا منهم، ووجدت الأوائل جميعا قد تعينوا معيدين بالجامعة ما عداي ، لأني أول قسم الدعوة، ... ولم يكن اليوم عيدا لي كما هو للآخرين، ... وشكوت لزملائي هذا الوضع ، فرد علي زميل من خريجي كلية الشريعة وقال لي : يكفيك أنك إمام في وزارة الأوقاف ، .... وكانت رحمة الله بي واسعة ، فواصلت السير ولم أتوقف .

٢- اختـارت وزارة الأوقـاف محافظـة أسـوان مكانـا لتعيينـي بـرغم حاجتي أن أكون في القاهرة ، أو قريبا منها، ولم أيأس، وتقدمت للدراسـة فـي المعاهـد الثلاثـة التـي ذكرتهـا، وأكرمنـي الله تعـالى بمواصلة العمل حتى اجتزت هذه المرحلة، وانتقلت إلى القاهرة بعد نجاحي في السنة الأولى في معهد الدعوة والإرشاد، ومعهد الإعداد والتوجيه .

٣- حاولت كثيرا التقدم للجامعة لأتعين معيدا، ولم يصادفني توفيق الله تعالى ، وقررت قطع هذا الأمل، واختيار طريق آخر، فقمت باختيـار موضـوع للـدكتوراه يناسـب قسـم التفسـير وهـو " **الإمـام السـيوطي وجهـوده فـي التفسـير وعلـوم القـرآن** " أمـلا فـي أن أتعين فـي قسم التفسير بعد حصـولي علـى الـدكتوراه ، وقطعت شوطا فـي هذا الطريق إلـى أن عاد إلـي الأمل مرة أخرى، فقد تعينت معيدا بالكلية على نحو عجيب سبق ذكره.

وتعينت معيدا بقسم الدعوة، فشكرت ربـي ﷻ ، ثم زميلي رحمه الله، وقلت في نفسي :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

٤- أديت الاختبار الشفوي في السنة الأولى من الدراسات العليا أمام لجنـة من عمداء الكليات الثلاث، ووكيل الأزهر، ومكثت في الامتحان أكثر من ساعة ونصف ، طوفت بـي اللجنـة خلالها فـي علـوم أصـول الفقـه، والفقـه، وعلـوم اللغـة العربيـة، وعلـوم

أصول الدين والدعوة، فأصبت وأخطأت، وتوقعت عدم اجتياز الاختبار إلا أن الله تعالى ساق لي الدكتور/ عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين إذ أصر على نجاحي، لأني الوحيد الذي نجحت في الامتحان التحريري، ولولا نجاحي في السنة الأولى لبقيت في أسوان بعيدا عن القاهرة، ولولا رحمة ربي لكنت من المغرقين .

٥- لما تعينت معيدا في قسم الدعوة رغبت في اختيار موضوع جديد يتصل بالتخصص العلمي لقسم الدعوة ، ووافق رئيس قسم الدعوة الدكتور / فتح الله بدران على هذه الرغبة ، فاخترت موضوعا جديدا يجمع بين تخصص قسم الدعوة وقسم التفسير وهو"**الدعوة الإسلامية لتحقيق السعادة ونشر السلام ووسائلها في القرآن الكريم**"، وقد نصحني رئيس القسم ببيان مقصد الدعوة في العنوان، لبيان عدم ارتباطي، أو ارتباط الموضوع بأي جماعة، وإنه موضوع علمي بحت .

ووافق عميد الكلية الشيخ / أبو الروس على هذا التغيير، وبخاصة بعد وفاة المشرف الأول، وأملا في بروز الشخصية العلمية لقسم الدعوة حتى يتميز علميا عن غيره من الأقسام الأخرى .

وكان هذا الموضوع هو الموضوع الأول في قسم الدعوة بعد إنشاء القسم ، وبه كنت أول الحاصلين على الدكتوراه في الدعوة

من جامعة الأزهر بعد التطوير، .... وبهذا السبق تمكنت من القيام بمهام علمية وإدارية عديدة كلفتني بها الجامعة ، والكلية بلا طلب مني ، وبلا منافس معي، وصرت ركيزة أساسية لكل ما يتصل بالدعوة في الكلية بعد تخرجي ، فتوليت رئاسة القسم، وعمادة كلية الدعوة، وأنا أستاذ مساعد من غير تبعية لأحد، ولا واسطة من أحد .

ومن عجيب قدر الله معي بعد أن أتممت إعداد خطة الموضوع الجديد مع رئيس القسم ، وتقدمت بالموضوع إلى مجلس الكلية ، وتصادف أن تقدم الزميل / أبو المجد نوفل لمجلس الكلية بموضوع أعده مع الدكتور/ أحمد الكومي رئيس قسم التفسير، وكان موضوعه " وسائل الدعوة في العصر الحديث " مركزا على وسائل الاتصال الحديثة ، وعند مناقشة الموضوعين في مجلس الكلية رأى عميد الكلية تبادل الإشراف، وبذلك تحول إشرافي إلى فضيلة الدكتور/ أحمد الكومي، وهذا فضل من الله ﷻ علي لأن الدكتور/ أحمد الكومي يتميز بغزارة العلم، ودقة الإشراف، والمراجعة الدائمة للطالب، وكان سكنه قريبا من سكني، .... وأشهد له أمام الله تعالى على واسع كرمه ، وحرصه الشديد على متابعتي، وكان يخصص لي من وقته ساعة يومية أراجع معه فيها ما جمعت وما كتبت ، وكان يقدم لي الطعام والشراب، وحاولت مرة أن أقدم له هدية صغيرة مقابل بعض ما ينفق عليّ

فأبى إباء شديدا ، ونهرني ، ولم أعد لمثلها قط.

وأشهد له بالموضوعية العلمية، وروعة تعليم طلبته .

فلقد كان يأمرني بإعادة ما كتبته في صفحة واحدة في عشر صفحات، أو اختصر عشر صفحات في صفحة واحدة مع المحافظة على الفكرة وعلى المراجع، ...

وكنت آتيه ببعض المراجع ليشرح لي بعض النصوص الصعبة في قواعد اللغة العربية، وأصول الفقه .

وكان يعطيني ما لديه من مراجع ومصادر، ....

وكنت أقرا عليه الموضوع الواحد أكثر من مرة، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عني وعن العلم خير الجزاء .

لقد كان لشيخي أثر كبير عليَّ، فقد نفعني بتوفيق الله علميا، وعمليا، وأخلاقيا، وهو الذي أشرف على زواجي من القاهرة، وصاحبني للخطبة ومعه الدكتور/ محيي الدين الصافي الذي كان يدرس في كلية البنات، وهو الذي رشح لي زوجتي.... واليوم أقارنه بالمشرفين، وأبحث عن مثيل له، أو قريب منه، فلا أجده، .... لقد كان يشرف فضيلته على عدد من الزملاء الباحثين من قسمي الحديث والتفسير ، فخصص لكل منا وقتا نتناوب فيه عليه .

وأسأل عن الباحثين اليوم كذلك فأرى القصور وعدم الاهتمام .

وهنا أحب أن أشير إلى بعض الدروس المستفادة من هذه المرحلة، .... وأهمها : -

١) **التمسك بالأمل ، وعدم القنوط واليأس**، لأن الإنسان لا يعرف ما قدره الله له، ولا يرى نتيجة عمله مقدما، وعليه أن يتحرى الصواب، ويجتهد في نيل المراد، ويبذل جهده وطاقته فيما شرع الله له، ويستسلم له ﷻ، ويرضى بقدره، يقول ﷻ : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾(١)، ويقول ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤ ﴾ (٢) .

٢) **الإيمان اليقيني بأن الحياة الدنيا عناء**، وتعب، فصفاؤها مشوب بالكدر، وحلوها مختلط بالمرارة، والعاقل من يخلص فيها لله ﷻ، ويستخدمها على ما فيها، ويجعلها مطية له إلى الدار الآخرة ، ويسأل الله تعالى التوفيق والسداد ، ويرضى بما قسم الله له، فلا يتأسى على فواتها، ولا يفرح لإقبالها، ويرضى بما قدر الله له .

٣) **وجوب الإشراف التام من الأساتذة** على الطلبة، ومتابعة أبحاثهم بدقة، ومشاركتهم في إيجاد المراجع، وتعويدهم حسن الصياغة، وتنوع الأساليب، والإيجاز والإطناب، وطريقة الاستفادة من المراجع، والوقوف على مناهج المؤلفين، وأوجه الاتفاق والاختلاف بين الأوائل .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢١٦ .

(٢) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

٤) **إن الطالب الذي يلتحق بالدراسات العليا** مشروع إنشاء عالم مسلم ، وعلى الأستاذ المشرف أن يكوَّن هذا العالم بتعريفه أصول الإسلام، ومبادئ العلوم، وألوان الثقافات المختلفة قبل التعمق في الموضوع الذي اختاره، ليكون عالما بحق، يجيد فنون التفسير، والحديث، والفقه، والعقيدة .

٥) **العجلة سمة حياة الناس**، فالكل يرجو أن يصل لهدفه في وقت قصير، والواجب في الدراسات العليا الأناة، والتعب، والمعاناة، وبذل الجهد في التحصيل العلمي، والتفكير العقلي، والنظر في المقدمات، واستنباط الجديد، لإخراج بحث علمي دقيق جامع يثري صاحبه، والحركة العلمية للقسم، والكلية، والإسلام، والمسلمين .

إن العجلة لا تطهي طعاما، ولا توصل للخبايا، ولا تخرج العالم المتخصص.

٦) **الدراسات العليا رفاهية عقلية** لا يستطيعها إلا من يملك وسائل هذه الرفاهية من عقل واع، وقلب حافظ، وفكر جامع للعلوم والمعارف، وذهن صاف يربط المقدمات بالنتائج، والدليل بالمدلول، واستنباط الأحكام المشروعة من أدلتها التفصيلية .

٧) **من الضروري عقد لقاءات دورية** بين المعيدين، والمدرسين المساعدين لمناقشة المشاكل التي تعترضهم، وبيان أفضل السبل للحصول على المراجع، ومدارسة القضايا العلمية التي تهمهم .

٨) **مسئولية كل مشرف عن طلبته أمام الله تعالى**، ولا يصح له أن يجيز باحثا ضعيفا، لأن هذا يسئ للقسم وللعلوم الإسلامية .

وإن كان لي رجاء فهو موجه إلى إخواني وزملائي من العلماء والدعاة، راجيا منهم أن يدركوا أنهم ورثة الأنبياء ، وكما قال النبي ﷺ : **(إن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ، ولا درهما، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظه – أو بحظ وافر –)** (١) ، ... وأنهم الأمل المرتجى لتحافظ الأمة على هويتها الدينية ، وصدقها مع الله تعالى، .... ولا يصح أن يقصر عالم مسلم في هذا الدور الهام.

إنهم يحتاجون إلى القراءة المتعمقة ، وإيجاد الحلول الإسلامية لسائر قضايا الناس .

إن عالم اليوم يقوم على العلم والعلماء، واهتمامه بهذا الجانب كبير، من حيث إعداد الكليات، والمعاهد، وتشجيع العلماء بالجوائز العديدة .

ومن المؤسف أن غير المسلمين وصلوا بالعلم إلى الفضاء، واكتشفوا العديد من المخترعات النافعة في مجالات عدة، بينما المسلمون غارقون في الجهل، والضعف، والهوان .

ولا يصح من علماء الأزهر أن يعمهم هذا الجهل، ويضيعوا الأزهر مع جهلهم، ويقصروا في حق الدعوة إلى الله تعالى .

وهذا مني لهم نذير .

---

(١) سنن الدارمي – باب في فضل العلم والعالم، حديث : ٣٦٢

وبمناسبة دور المشرف معي في حياتي العملية والعلمية أشير إلى ما قمت به مع إخوتي، وهو أني لما خطبت فتاة من بلدي " منية مسير" كان إخوتي يتصورون أننا سنعيش معا في حياة واحدة، وبخاصة أن أبي وأمي كانا أحياء ، .... فلما تبدل الوضع، وخطبت من القاهرة ، أخبرت أخوتي بأني سأعيش بعيدا عنهم في القاهرة، وستكون لي حياة خاصة مع زوجتي، ولذلك قلت لهم ما قررته: وهو أني لن آخذ منهم أموالا في زواجي ، وقمت بذلك ، ووفرت ما مكنني الله منه ، واقترضت بعض المال من الأصدقاء حتى تم الزواج، ولهذا أشكر الله تعالى أن هداني لهذا، ونجاني من الطمع، ووفقني لتحديد هذه المواقف، وتوضيحها لأهلي وإخوتي .

-١٢-
الحصول على الدكتوراه

أبدأ بشكر الله تعالى، وتذكر فضله ومنه، وأرجوه أن يديم عليَّ نعمه، ويغفر لي أي ذنب وقعت فيه .

لقد مضى من حياتي العلمية زمنا طويلا، فلقد تخرجت من الكلية عام ١٩٦٣م ، وواصلت الدراسات العليا ، فحصلت على الماجستير بعد ثلاث سنوات، وسجلت الموضوع الأول للدكتوراه ، وعشت معه سنة، التقيت خلالها بالمشرف أربع مرات في الكلية، ثم كان الموضوع الثاني بعد تعيني بالكلية ، وإشراف فضيلة الدكتور / أحمد الكومي .

واستمرت فترة إعدادي للدكتوراه أربع سنوات، انتهت في منتصف عام ١٩٧٠م، فحصلت على الدكتوراه، وعينت مدرسا بقسم الدعوة الإسلامية بكلية أصول الدين ، وتميزت هذه الفترة بالهدوء الحسن ، والتحصيل العلمي الجيد، وتنظيم الأداء ، حيث الذهاب لدار الكتب، والمكتبة الأزهرية، ومكتبة أصول الدين، والمكتبات الفرعية ، وهي موجودة بكثرة في أحياء القاهرة .

وقد بدأت مع فضيلة المشرف بمناقشة الخطة، وبيان ترابط فصولها، وأبحاثها، وترك ما ليس له ارتباط بالموضوع .

ثم بدأت البحث في جزئيات الخطة مع المشرف، وترتيب الجزئيات، والبدء في اكتشاف المراجع المفيدة للجزئية موضوع الدراسة وفق ترتيب الخطة، واستخراج النص من المراجع ، وتنسيقها في إطار الجزئية موضوع البحث، وكان فضيلة المشرف يدلني على مراجع أخرى يراها

هامة، ويكلفني بالرجوع إليها، وبدء كتابة الجزئية بأسلوب بياني واضح على أن يتضمن الأسلوب نصوص المراجع، والإشارة إليها في الهامش، وأعاود الكتابة مرة ومرة لاختيار أفضلها، وعرضها على فضيلته في الفترة التي حددها لي معه ، وكان رحمه الله يراجع معي المبحث ، أو الفصل ، أو الباب بعد تمامه، والتركيز على ترابط فقراته، ومساهمتها جميعا في الوصول لهدف المبحث، أو الفصل، أو الباب، وتناسقها مع السابق عنها، وتمهيدها للآتي بعدها.

وهكذا كان إشراف أستاذي، وكنت أطيعه، وامتثل كل توجيهاته .

وكان عميد الكلية يلتقي بالمعيدين ليطمئن عليهم، ويحثهم على العمل والاجتهاد، ... وأذكر لفضيلته توجيهه الحسن لطلبته، وكان يكلف المعيد على انفراد بعمل أبحاث في قضايا معينة، ويعرفه أنه يحتاج إليها ليهتم بها، وكان المعيد يجهد نفسه ليقدم للعميد بحثا حسنا، وقد كلفني العميد بتجهيز موضوعات في فترات متباعدة، وهي : -

١- بيان المرتين التي قضى فيهما الله تعالى على بني إسرائيل في أرض فلسطين .

٢- بيان الفرق بين الحديث الصحيح لغيره، والحديث الحسن لغيره .

٣- بيان ما هية الذي له علم من الكتاب، وموقفه من سليمان عليه السلام وهل هو من الإنس أو من الجن ؟

٤- التحليل النفسي لولدي آدم عليه السلام قابيل وهابيل .

٥- من هما هاروت وماروت .

وهكذا

وكنت أجهد نفسي في البحث والتقصي، لأقدم للعميد شيئا له قيمة علمية ، وحتى لا يصفني بالضعف والإهمال، ولم يراجعني في شيء مما قدمته له، فأدركت أنه كان يقصد دفعي إلى القراءة، والتحصيل، وكان هذا منهج فضيلته مع غيري من المعيدين كما ظهر لي بعد ذلك

و**كانت مكتبة الكلية** ملتقى المعيدين ، حيث كنا نقرأ ، ونتناقش في القضايا التي نبحث فيها، ويدور حولها الحوار .

استمرت مدة إعدادي لرسالة الدكتوراه أربع سنوات، لم تخل من أحداث لا صلة لها بالدراسة، والبحث ، أذكر منها .... : -

١- **رغبت خلال هذه المرحلة أن أتزوج**، وبحثت عن إحدى فتيات القرية، وتقدمت لخطبتها، إلا أن الله تعالى لم يشأ لهذه الخطبة أن تستمر، ففسختها، وذهب كل منا لسبيله، وبعدها تقدمت لخطبة زوجتي الحالية، وتم العقد والزواج ، .... وقد شغلني أمر الزواج وضيع كثيرا من وقتي، ولذلك أنصح بالتفرغ التام للبحث في فترة الدراسة، وعدم إطالة فترة الخطبة .

٢- **كلفني رئيس القسم بتدريس مادة " الأخلاق**" للسنة الثالثة قسم الدعوة، وكانت تجربة ثرية ، علمتني كيفية مواجهة الطلاب، وطرق إعداد الدرس، وإلقاء المحاضرة، وكنت أقدم ملخصا عن عملي لرئيس القسم ، ... ولهذا أرى الاستفادة بالمعيدين، والمدرسين المساعدين في أعمال عملية تحت إشراف أساتذة

القسم ... ويا حبذا لو اشتغل طلاب الدراسات العليا ببعض الأعمال في المكتبة لإرشاد طلاب الكلية في القراءة، ومساعدتهم في الاطلاع .

٣- **أحببت مواصلة الدعوة في مساجد وزارة الأوقاف**، فقدمت طلبا بذلك، فكلفوني بإلقاء خطبة الجمعة بمسجد الأمير/ محمد علي الملحق بقصره المجاور للقصر العيني، وظللت أخطب الجمعة في هذا المسجد إلى وقت إعارتي لجامعة الملك سعود بالرياض

٤- **كلفني القسم بأن أدرس لطلاب السنة الثانية مادة " الخطابة"** قبل مناقشة الدكتوراه ، وفرحت بذلك كثيرا ، وأعانني الله تعالى فألفت أول كتاب لي وسميته " **علم الخطابة** "، وسر اهتمامي بإخراج الكتاب رغبتي في إظهار العلوم التخصصية لقسم الدعوة ردا على من يدعي أن قسم الدعوة ليس تخصصا علميا، وليس له علوم خاصة به، ... **وأذكر أني كلفت الطلاب** بالتعليق على خطب المساجد التي يؤدون صلاة لجمعة فيها، وذلك بتحديد عنوان الخطبة، وبيان عناصرها، وكيفية تناول الخطيب لها، والتعليق عليها، وبيان ما فيها من سلبيات، أو إيجابيات في النصوص والأسلوب، والأثر، وما الجديد الذي يتصوره الطالب لو أدى هذه الخطبة ، ... **وقصدت بذلك** أن يحرص الطالب على أداء مناسك الجمعة مبكرا ، ويعيش بعقله مع الخطبة، ويستفيد بها لمستقبله، وقد أخبرني الدكتور/ عبد الباسط بلبول،

وكان يخطب الجمعة: إنه رأى طلابا يكتبون وهو يخطب، فسألهم بعد الخطبة وعرف خطتي، فشكرني، وأخذ يتابع الطلاب معي، .... وتدفعني هذه التجربة إلى اقتراح لعلماء الدعوة يقومون به في تدريب طلابهم على حسن الاستماع ، وحسن الأداء بعد ذلك .

٥- **قررت إتمام الزواج قبل الانتهاء من إعداد الدكتوراه** بستة أشهر تقريبا ، ونصحني البعض بتأجيل الزواج إلى ما بعد الانتهاء من الدكتوراه، ولكني آثرت الزواج، وخفت من إطالة فترة الخطبة، وأعانني الله عليه، وكنت أحرص على القراءة والكتابة في أيام الزواج الأولى رغم مسئوليات الزواج، ومشاغل الحياة .

وبعد زواجي بستة أشهر تقريبا انتهيت من إعداد الرسالة، وقدمتها إلى إدارة الكلية مع تقرير صلاحيتها للمناقشة من فضيلة الأستاذ المشرف، فقرر مجلس الكلية تشكيل لجنة لفحص الرسالة ومناقشتي مكونة من : -

١) فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد السيد الكومي رئيس قسم التفسير والمشرف على الطالب والرسالة .

٢) الأستاذ الدكتور / إبراهيم اللبان عميد كلية دار العلوم سابقا .

٣) الأستاذ الدكتور/ سليمان دنيا رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين.

واستمرت اللجنة في مراجعة الرسالة لمدة خمسة أشهر تقريبا، قررت بعدها مناقشتي، وفي إحدى مدرجات كلية أصول الدين بالدراسة ناقشتني اللجنة لمدة أربع ساعات ، قررت بعدها منحي درجة العالمية الدكتوراه "**بمرتبة الشرف الثانية** "، فحمدت الله تعالى ، وشكرته على فضله ونعمه .

وقد علق فضيلة المشرف على هذا التقدير ، وقال لي : الحمد لله، فقد شرقت اللجنة وغربت، وطافت معي في مجالات علمية عديدة بعيدة عن تخصصي، وذكرني بأنها لجنة علمية معروفة بغزارة العلم، وقسوة القرار، ويكفي أن تعرف أن الأستاذ الدكتور / إبراهيم اللبان أتى إلى الكلية قبل ذلك لمناقشة رسالتين ردهما، ولم يوافق عليهما ، والكل يعرف شدة الدكتور / سليمان دنيا .

شكرت أعضاء اللجنة شكرا يليق بهم، فقال لي الدكتور/سليمان دنيا: لقد أعطيتك عند دخولي قبل المناقشة قطعة حلوى لأبشرك مقدما ، ... وكان قد فعل ذلك معي، ولكنني لم أدر وقتها ما كان يقصده .

وقد حضر والدي وإخوتي، وأقربائي المناقشة، وقد سعدت كثيرا بسعادة والدي، فلقد بدا فخورا وهو يسلم على الناس، ورأيت وجهه الباسم وقامته العالية وكأنه طاووس يمشي على الأرض .

وأحب هنا توضيح ضرورة تسليم الأمر لله تعالى ، فهو الرحمن الرحيم، وبيده سبحانه وتعالى مقاليد كل شيء، والرضى بقدره هو طريق الخير والسلامة ، .... فلقد رضيت بتشكيل اللجنة رغم صعوبتها،

وقارنتها بلجان أخرى تشكلت مع لجنتي، فكان الخير في لجنتي، لأن بعض أعضاء اللجان الأخرى لقى ربه قبل المناقشة فتأخرت مناقشتهم طويلا .

وأشكر الله تعالى فقد قوى عزيمتي، فاستطعت مداومة المذاكرة، والبحث بعد زواجي مباشرة، ولم تشغلني حياتي الجديدة عن الهدف الذي أعمل له .

وحصرت أهدافي بعد الزواج في أمل وحيد هو حصولي على الدكتوراه، وعدم انشغالي بمسئولياتي الجديدة حتى لا تبعدني عن الأمل، وهو الحلم والرجاء .

-١٣-
وصرت مدرسا في قسم الدعوة
ومعارا لجامعة الملك سعود بالرياض

بعد حصولي على الدكتوراه بوقت قصير اتخذت الكلية إجراءات تعييني مدرسا بقسم الدعوة، وكنت بذلك أول متخصص في الدعوة يعين بقسم الدعوة الإسلامية، والذي كان يرأسه الدكتور/ أحمد السيد الكومي، إضافة إلى رئاسته لقسم التفسير، **وركزت بعد تعييني في إخراج عدد من الكتب المتصلة بالدعوة ، وقررتها على الطلاب ، .... ومنها : -**

١- قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين .

٢- الدعوة في عصر النبوة .

٣- وسائل الدعوة في العصر الحديث .

٤- البدع بين الماضي والحاضر .

٥- اليهودية .

٦- النصرانية .

وقصدت بهذه التآليف إثبات أن قسم الدعوة قسم علمي له هويته ، وعلومه التي يقوم عليها ، ويتم بها .

ولم يدم الأمر طويلا ، فتعين بالقسم إخوة من المعيدين الذين حصلوا على الدكتوراه فيما بعد من قسم الدعوة .

وسعدت كثيرا بما كتبت، وفي يوم ذهبت للجامع الأزهر، فرأيت طلابا يمسكون ببعض كتبي للمذاكرة والحفظ، فسجدت لله شكرا بأن

صـارت كلمـاتي، وكتبـي محـل اهتمـام طـلاب الكليـة وهـم يسـتعدون للاختبارات .

وبـالرغم مـن أن القانون يمنـع المدرس من التأليف قبل سنتين من تعيينـه، وعليـه أن يعتمـد علـى مؤلفـات الأسـاتذة، إلا أن عـدم وجـود مؤلفات لمقررات القسم حتم عليّ التأليف، فلما سألني عميد الكلية عن الكتب أخبرته بأني لم أجد كتابا يصلح للطلاب، فكتبت، وطلبت منه أن يراجع مؤلفاتي ليرى مطابقتها للمنهج المقرر، فراجعها ورضى بها .

استمر عملي في القسم سنتين بعد حصولي على الدكتوراه، وبدأت مع غيري نبحث عن الإعارة في الدول العربية، وبخاصة ليبيا، ودول الخليج، وفوجئت بأن الجامعات العربية ليس بها تخصص للدعوة، ولذلك طلبت أساتذة ومدرسين من كل تخصصات الجامعة ما عدا تخصص الدعوة لعدم حاجتها إليه.

وقد أدى هذا الوضع إلى تحويل زملاء لي من قسم الدعوة إلى قسم التفسير، والحديث ليتمكنوا من الإعارة ....

فقد تحول الدكتور / جميل الشوادفي إلى قسم الحديث برسالته عن "منهج ابن حجر في فتح الباري" .

وتحول الدكتور / القصبي زلط إلى قسم التفسير برسالته عن "منهج القرطبي في التفسير"....

ورضيت أنا بالأمر الواقع ، وانتظرت الفرج من الله تعالى، ودعوته أن ييسر الأمر أمامي، وزاد اهتمامي بقسم الدعوة، ومباشرة التدريس فيه

إن الجامعات السعودية كانت في حاجة إلى مدرسين متخصصين من غير تخصص الدعوة، ولذلك فاوضت جامعة الأزهر لتسمح لمن أمضى سنتين دراسيتين بالإعارة بدلا من ثلاث كما هو النظام السائد في جامعة الأزهر، وبسبب تحسن العلاقات بين مصر والسعودية وافقت الجامعة .

وبالرغم من إتمامي سنتين دراسيتين لم أفكر في الإعارة لعدم طلب اللجان أحدا من تخصص الدعوة .

ويسر الله تعالى الأمر، وفرج الضيق بأمر عجيب، .... ذلك أن المسئولين بقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض ألحوا إلحاحا شديدا على استقدام مدرس للثقافة من كلية الشريعة بعينه، وكرروا الإلحاح، وكرروا الطلب إلا أنه لم يكن أتم سنتين دراسيتين بجامعة الأزهر .

وقبل انتهاء اللجنة ورجوعها إلى السعودية بيوم واحد قال لي زميل: تعال معي إلى اللجنة لأعرف موقفي عندها، وكان قد قدم طلبه إليها ، فذهبت معه لأعرف المكان، ولا مصلحة لي فيه ، فلما دخلت مع زميلي إلى رئيس اللجنة عرفته أني متخصص في الدعوة والثقافة الإسلامية، فسألني : هل أتممت سنتين دراسيتين بجامعة الأزهر ؟ ...

فأجبته بالإيجاب، فقدم لي استمارة وملأتها ، وطلب مني الحضور في الغد قبل الساعة التاسعة صباحا ليخبرني بالقرار، لأن اللجنة ستسافر كلها في الساعة العاشرة، ولن يبق منها في القاهرة إلا موظف واحد

لإنهاء إجراءات المعارين، .... ولم أتأخر في اليوم التالي، فذهبت إليه وقابلته ، فأخبرني بالموافقة على الإعارة، لأن الملحق الثقافي زكى عائلتي، والقسم في الرياض في أمس الحاجة لمدرس للثقافة الإسلامية .

وقدر الله تعالى لي الإعارة، وأتممت الإجراءات بسرعة، واصطحبت معي زوجتي، وأولادي منال، ومحمد، وكانت زوجتي حاملا بابنتي أمل.

ولما وصلت إلى قسم الثقافة بكلية التربية جامعة الملك سعود ، فوجئ رئيس القسم بأني لست المدرس الذي ألح على مجيئه، واستقبلني بفتور، وقمت بأداء كل ما طلبه مني على خير وجه، وضاعفت الجهد في القسم، فكنت المرشد الأكاديمي للطلاب، والمنسق الإداري للقسم ، إلا أني بقيت عند المسئولين في القسم شخصا غير مرغوب فيه،... وكان الله تعالى معي فنصرني عليهم، وردهم عني ردا مخزيا لهم، وسوف أشير إلى قصتي معهم فيما بعد .

مكثت في الرياض مدة رزقني الله تعالى فيها بأولادي أمل، ومحمود، وأيمن ، ... وعملت زوجتي محاضرة بكلية البنات التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات، وأعاننا الله تعالى على أداء الواجب التعليمي، ورعاية الأبناء حتى انتهت الإعارة وعدنا إلى جامعة الأزهر آمنين .

وهنا

أحب أن أذكر بعض الأحداث التي عشتها أثناء عملي بجامعة الرياض ، وأهمها : -

أولاً : أبدا بشكر الله تعالى، وبيان نعمه، وفضله، وتيسيره إعارتي

بعد أن عشت في طريق مسدود ، فلولا الإلحاح الشديد المتكرر من رئيس القسم ومدير جامعة الملك سعود على رئيس اللجنة السعودية في القاهرة ما تمت إعارتي، لأن رئيس اللجنة اضطر لاختياري في ساعات قليلة استجابة لإلحاح رئيس القسم ، ... وكان رئيس القسم يلح على غيري من غير إفصاح لرئيس اللجنة، وهذه أقدار الله تعالى التي ساعدت على إعارتي .

ثانياً : سافرت إلى الرياض مع زوجتي وأولادي، وعلمنا أن كلية البنات في حاجة شديدة لمحاضرين، فقابلتهم زوجتي، ووافقوا على تعيينها، ولم تكن أحضرت معها أوراقا للعمل، فكلفوها بالعمل فورا على أن تحضر أوراقها بعد، وكانت حاملا فعرفوها أن أجازة الوضع ستكون أسبوعين فقط على أن يحضروا لها سيارة تأتي بها لإرضاع المولود مرتين يوميا، فوافقت، وباشرت العمل.

ثالثاً : توترت علاقتي برئيس القسم ، وكان يتهمني بأنني السبب في أي نقد يوجه إلى القسم من عميد الكلية، وواجهني فطلبت منه أي دليل على اتهامي، وبينت له أني لم أتقابل مع العميد أبدا، وأظهرت له براءتي، وأبديت استعدادي لمواجهة من يتهمني بشيء ، إلا أنه رأى التخلص مني، فكتب إلى عميد الكلية كتابا يطلب فيه إلغاء إعارتي ، بزعم **ضعفي العلمي، وسوء خلقي، وعدم تعاوني معه ومع أعضاء القسم**، وأحاط كتابه هذا بالسرية التامة، وكتبه بخط يده بعيدا عن سكرتير القسم ، وقدمه لعميد الكلية بعد انصراف الأساتذة .

ويشاء الله تعالى أن أطلع على الخطاب قبل أن يقرأه عميد الكلية، ... وذلك أن الطلبة جاءوني بعد صلاة الظهر في هذا اليوم وطلبوا مني إعداد الجداول الإرشادية لكل منهم ، وبحثت عن ورقة كربون استخدمها ، فلم أجد في مكتبي ، فذهبت إلى مكتب رئيس القسم لأخذ ورقة كربون منه، فوجدته عند العميد، ورأيت ورقة كربون مستعملة لمرة واحدة ملقاة في صندوق القمامة فأخذتها، فإذا هي الورقة التي استخدمها رئيس القسم في كتابه للعميد ضدي، فقرأتها، واحتفظت بها ، وصرفت الطلاب للغد، وجلست مهموما، فحضر أحد أعضاء القسم، وكان له صلة بالعميد، فسألته عن سبب حضوره، فأخبرني أن عميد الكلية طلب منه توصيله إلى البيت اليوم بعد الظهر بسيارته المرسيدس، لأن سيارته في التوكيل للفحص، فأخبرته بالخطاب، وعرفني بأن العميد سيسأله عن شئون القسم بعيدا عن الأشخاص ، وسأرد عليه بما يبعده عن تصديق هذا الكتاب من غير ذكر للأشخاص أيضا .

وقابلت هذا المدرس في المساء فأخبرني بما دار بينه وبين العميد إذ سأله عن أعضاء القسم كله بلا تحديد شخص معين ، ....

وهنا أذكر فضل الله تعالى علي في هذا الموقف ، وأسأل : -

- من الذي جعل العميد يفحص سيارته في هذا اليوم ؟ ...
- وما الذي جعلني أبقى في القسم وحدي بعد رجوع جميع المدرسين إلى بيوتهم ؟ ...
- وما الذي جعلني أبحث عن ورقة كربون عند رئيس القسم ؟ ...

- وما الذي جعل رئيس القسم يستعمل ورقة كربون جديدة، ويلقيها في القمامة ؟ ...
- وما الذي جعل العميد يستعين بسيارة الزميل ؟ ...
- ولماذا مر عليَّ الزميل بعد اكتشافي كتاب رئيس القسم للعميد ؟

إن هذه أمور قدرية تحركت بأمر الله تعالى، وأنقذتني من الظلم والعدوان الذي يدور حولي .

وبعد اليوم الأول أخذت أراقب مقابلات العميد، وأحاول التعرف على ما جرى فيها مع الأساتذة، والموظفين، والطلاب .

وقد سأل العميد الطلاب عني مباشرة، فأقسموا له بإجادتي للعمل الإداري، والمحاضرات العلمية ، فطلب منهم المقارنة بيني وبين رئيس القسم في الجانب العلمي فشهدوا بأفضليتي ، ....

وبعدها واجهني عميد الكلية وهو يتصور أني لا أعرف شيئا، فأجبته بما يبرئ ساحتي بعيدا عن الإشارة لأي شيء، .... **وأقر هنا** أني دافعت عن نفسي أمام العميد مشيرا إلى نقدي لكتاب رئيس القسم المقرر، وصورت له أن هذا النقد الذي قدمته مكتوبا لرئيس القسم تسبب لي في مشاكل عديدة معه، فاستفسر عميد الكلية عن نقدي هذا الكتاب الذي كان مقررا على طلاب الجامعة بعدما اشترت الكلية حق طباعته وصارا ملكا لها، وطلب العميد إحضار هذا النقد فأحضرته له، فأخذ يسأل عن هذا الكتاب، فسمع نقدا عديدا من العمداء، ورئيس الجامعة، فتألم كثيرا ، وثار ثورة عارمة، لأنه لم يعلم شيئا عن هذا النقد الذي

كتبته لرئيس القسم عن كتاب تملكه الكلية ، **واتفق مع رئيس الجامعة على ما يلي : -**

١- فصل رئيس القسم ونقله إلى جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

٢- تعيين رئيس جديد للقسم .

٣- توجيه لوم لي بضرورة التعاون مع أعضاء القسم .

واستقر أمري في القسم بفضل الله تعالى، وظن أعضاء القسم جميعا بأن لي صلة بالجهات العليا في السعودية وهذا غير صحيح مطلقا .

كان عميد الكلية هو الدكتور/ **صالح طاهر أزمرلي**، وكنت أقول : إن له من اسمه نصيبا ، فهو صالح نقي، وهو طاهر نظيف، وهو من أصل تركي حيث الحسم، والقوة، والشجاعة .

والحمد لله تعالى على فضله وكرمه، لأن التهمة التي اتهمني بها رئيس القسم لو صدقها العميد وأخذ بها لحرمت من التدريس في الجامعات السعودية مطلقا، ولرفضت سائر جامعاتها انتسابي إليها بعد ذلك، بسبب ما في خطاب رئيس القسم من مزاعم يعلم الله تعالى أنها كاذبة ، ....

وأسأل الله تعالى أن يغفر لي إن كنت قد بالغت في الدفاع عن نفسي مع العميد، لأن القطع بأن النقد الذي قدمته عن الكتاب هو سبب موقف رئيس القسم مني غير ثابت ، .... وربما هناك أسباب أخرى غير ذلك لا أحب الخوض فيها .

رابعاً: اتفقت مع زوجتي الدكتورة/ نعمات باستثمار ما نوفره من مال باسمينا وبنسبة المرتب، وأكرمنا الله ﷻ بشراء قطعتي أرض في المنطقة السادسة بمدينة نصر، ولذلك قصة عجيبة ، فقد قمت بشراء قطعة أرض في المنطقة الأولى بسعر المتر تسعة عشر جنيها (١٩ جنيه) ، إلا أني تصورت أن ثمنها أفضل منها وأنها لن تزيد عن هذا السعر، فتنازلت عن العربون بنصيحة أخي "إبراهيم " الذي رأى في القلق وعدم الرضا، وقال لي : إن الذي يشتري الأرض يكون سعيدا بها، ولا داعي للشراء مع القلق لما في القلق من ضرر، **وكان هذا بعد السنة الثانية من العمل بالرياض** .

وبعد السنة الثالثة سألت عن الأرض التي كنت قد اشتريتها فعلمت أن المتر قد وصل إلى خمسة وثلاثين جنيها (٣٥ جنيه)، فتشجعت على الشراء بعد ذلك ، وأدركت أن السعر لن يتوقف ...

ومكنني الله تعالى من شراء قطعتي أرض بالمنطقة السادسة .

وكان عون الله تعالى وتسديده لي واضحا فيهما، فقد أخبرني سماسرة الأرض بالقطعة الأولى ، وحذروني من تردد البائع ، لأنه كلما سمع سعرا طلب أعلى منه ، فذهبت إليه وقابلته ، وكان سعر المتر اثنين وعشرين جنيها (٢٢ جنيه) ، فلما ناقشته ضرب لي سعرا عاليا وهو ستة وعشرون جنيها (٢٦جنيه) فوافقت ، فطلب مني ثلث الثمن ، والحضور في الغد لكتابة العقد المبدئي،... وفي الغد أخذت ثلث الثمن، وذهبت إليه في بيته مع زوجتي، وكان معه زميل له .

فلما التقيت به أصابه التردد كعادته، فزعم أن المحامي الذي سيكتب العقد متزوج حديثا ، ولا يصح تكليفه بعمل في هذه الأيام ، والأفضل انتظار أسبوع على الأقل حتى يتمكن من إحضاره ، وطلبت منه أن يأخذ المال مني ، ويكتب لي ورقة صغيرة فأبى ...

ثم اقترح مع زميله أن يقوما بتوصيلي وزوجتي إلى البيت، لأن اللصوص لو خرجوا علينا سنتهمهم لأنهم العارفون بالمال الموجود معنا، بشرط أن أدفع أجرة السيارة ذهابا وعودة، فوافقت على ذلك ، ووصلت إلى البيت ودفعت أجرة السيارة ، وفي العودة وهم على مسافة ثلاثمائة متر من سكني خرج عليهم لصوص، وجردوهم مما معهم من أموال، وساعات، وأحذية، مما جعل المالك يصر في اليوم التالي على الحضور ومعه المحامي، وكتابة العقد ، وقبض المقدم تصورا منه أني أحد أولياء الله الصالحين ، وقد عاقبه الله تعالى من أجلي، فأنفذ البيع حتى لا يتضاعف عقاب الله تعالى عليه .

وهنا أركز على فضل الله تعالى ، وأسأل :

- من الذي أخر اللصوص عن ترصد السيارة دقائق معدودة ؟ ...
- ومن الذي حماني من السرقة ؟ ولو حدثت ما اشتريت شيئا ؟ ..
- ومن الذي جعل البائع يترك تردده، ويصر على بيع الأرض لي؟

إنه الله وحده ، ... ولا أزيد ، وأترك القارئ يغوص معي في عجائب القدرة الإلهية، ومسار رحمة الله تعالى .

اشـتريت القطعـة الأولـى، وكانـت تابعـة لجمعيـة سـلاح الطيـران، وانفتحـت شـهيتي علـى الشـراء، فقـرأت إعلانـا فـي جريـدة الأخبـار عـن قطعة أرض تابعة لجمعية سلاح الفرسان، فاتصلت بصاحبها ، واتفقت معـه علـى السـعر بـالتليفون، وكـان اثنـين وعشـرين جنيهـا (٢٢ جنيـه) للمتر، فلما طلب مني اطلاعي على الأوراق، ورؤية الأرض عرفته أني لست في حاجة لهذا ، .... فاشترط أن يكون المبلغ المقدم خمسة آلاف جنيـه ، لأن أختـه سـتهاجر لأمريكـا ولهـا فيلا فـي مصـر الجديـدة، وهـي فـي حاجـة إلـى هذه الآلاف الخمسـة لتسـديد ثمن الفيلا حتـى تتمكن من بيعها له بعد ذلك، فأخذت المبلغ، وكتبت العقد، وسلمته الآلاف الخمسة ، واصـطحبني لرؤيـة الأرض، وتحديـد موقعهـا فـي ظـلام الليـل بعـد العشاء، وتم شراء الأرض الثانية بعد القطعة الأولى بيومين فقط .

وأخذت أبحث عن الثمن الباقي، لأني اتفقت على دفع الثلث الثاني بعد شهرين،والثلث الأخير بعد الانتهاء من التسجيل أمام الشهر العقاري

ولـم يكـن الـثمن البـاقي موجودا معـي، وعولـت علـى مرتـب السنة التالية، وعلى الاقتراض والسلف، وكانت مجازفة أرهقتني كثيرا ، ودائما كان معي فرج الله، وعونـه، وتمثل هذه المرة في صدور قرار من وزارة الدفاع بعدم صحة البيع في أراضي جمعيات القوات المسلحة، وأي بيع لم يتم إشهاره بالشهر العقاري باطل، ويرد .

وهنا أخذت أبحث في رد ما دفعت، وإلغاء العقدين، فقال لـي الرجل الأول: لقـد صـرفت نصـف المبلـغ علـى صـحتي، ولا أسـتطيع إلا رد

النصف، وقال الثاني : أنت تعرف أن المبلغ تم دفعه لشركة مصر الجديدة ، وقد اشتريت الفيلا من أختي، وأصبر وأنا معك .

نصحني أخي إبراهيم بالصبر فمعنا عقد ابتدائي، والانتظار أولى، ومرت السنة كلها، وصار معي الثمن كله، فلما نزلت في أجازة الصيف صدر قرار من وزارة الدفاع بإلغاء القرار السابق فأسرعت بإتمام العقد ، وكانت عقود القطعتين أول ما أشهر بالشهر العقاري بتيسير الله تعالى، ... فسددت الثمن بلا اقتراض، وسجلت الأرض في نهاية المطاف .

وأذكر هنا أن الرجل صاحب القطعة الأولى مرض، ودخل المستشفى وتجمع حوله أهله يبكون، فقال لهم: اطمئنوا لن أموت في هذا المرض، لأني بعت الأرض لرجل صالح، وسيبقيني الله تعالى حتى أتمم له البيع

وعدت من الإعارة الأولى بعد انتهاء مدتها المقررة ، ... وهنا أحب أن أشير إلى الدروس التالية : -

الدرس الأول :

ضرورة الإيمان التام بالله تعالى، والتسليم المطلق لقضائه وقدره ، والتوكل عليه في كل شأن ، والطلب منه وحده ، وهذا الدرس مستفاد من حياتي كلها ، ومن فترة الإعارة على وجه الخصوص.

فقد أكرمني الله تعالى بالإعارة في وقت أغلقت خلاله أمامي كافة السبل .

وأسال لتوضيح هذه المسألة :

- من الذي ألهمني للذهاب إلى مقر اللجنة قبل سفرها بيوم واحد ؟

- وكيف تحول اهتمام رئيس اللجنة من شخص آخر إلى شخصي أنا ؟
- ولماذا لم يتواصل رئيس اللجنة مع رئيس القسم بشأني، ولو تم ذلك لرفضني رئيس القسم .
- وكيف يكتفي رئيس اللجنة بسؤال الملحق الثقافي عني، وكل ما يعرفه الملحق الثقافي هو إعجابه بصوت الشيخ/ راغب غلوش؟

إنه الله سبحانه وتعالى، مالك الملك، وحاكم الوجود، وإرادته شاملة، وقدرته متفردة، وإذا أراد شيئا قال له : كن فيكون .

وإني أقر بكل يقين بأن الله تعالى قد غمرني بفضله ، ولولا اصطفاءه لي ما نلت شيئا ، وما حصل لي ما أنا فيه ...

إني اشكر الله تعالى بقدر استطاعتي، وأرجو عفوه وغفرانه إزاء تقصيري وعجزي، فإن بشريتي تغلب أحيانا عقلي وروحي، وأملي أن ينجيني ربي من ظلمات الجهل، ونزعات الشياطين .

الدرس الثاني:

عدم الاغترار بالذات، لأن العبد أمام الله تعالى لا شيء، فعقله محدود ، وتصوراته حادثة ، وهو قاصر بذاته ، محاط بحواجز مادية ، وذهنية، ومعرفية، تحدد معارفه، وتعجزه عن إدراك ما غاب ، وما يغيب عنه، وحاجته إلى الله تعالى ضرورية ودائمة، لأن الله تعالى هو عالم الغيب ، وله الحكم، وكل شيء يقع في ملكه بيده ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى

ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ (١) .

فلقد عشت عند رجاء الإعارة في تيه لا يعلم مداه إلا الله تعالى ، وفكرت بعقلي كثيرا ولم أصل لشيء، وألهمني الله تعالى زيارة مقر اللجنة بلا قصد ولا غاية ، فأجد الأمور قد تهيأت من عدة جوانب بعيدة عني، تسوقني إلى الإعارة، وتيسر لي التعاقد مع اللجنة في وقت قصير

وأتأمل القصة اليوم، ولا أجد إلا ضرورة التسليم لله رب العالمين، فقد هداني لما يحب ويرضى ... وأتم إعارتي مع عجزي وضعفي، ....

وأخذنا نعد العدة للسفر، ولم تتوقع زوجتي العمل في الرياض، فهي حامل، وأم لطفلين صغيرين، فسافرنا وليس معنا أوراق لزوجتي، وإذا بكلية البنات تستدعيها، وتعينها بلا أوراق، وهي حامل، ومن شروط الكلية أن لا تعين امرأة حاملا لأن أجازة الوضع ثلاثة أشهر ، ومع كل هذا تعين الكلية زوجتي بلا أوراق .

من يسر كل هذا ؟

إنه الله رب العالمين .

أمع كل الأحداث القدرية يكون غرور ؟ ...، الواجب الحتمي هو صدق الإيمان، وتسليم الأمر كله لله رب العالمين .

الدرس الثالث :

إذا أراد الله تعالى أمرا هيا له السبب، وكل ميسر لما خلق له، وقد رأيت هذا كثيرا في حياتي ، وصار عقيدة ثابتة ، ودعائم ذلك ما حدث

---

(١) سورة الأنعام الآية : ٥٩ .

معي في الرياض وأنا أعمل بقسم الثقافة الإسلامية، فلقد عشت مضايقات عدة وبلا توقف من رئيس القسم لإجباري على الاستقالة، ومغادرة القسم، لأن رئيس اللجنة لم يستشره في أمري، إلا أني صبرت ، وتحملت لحاجتي إلى المرتب ، وانعكست همومي على نفسي ، ....

وأذكر هنا أني كنت أصاب بالغم الشديد حين تقترب عودتي من الأجازة الصيفية إلى الرياض، ولاحظت والدتي ذلك ، فنصحتني بترك الإعارة ، والاستقرار في مصر محافظة على صحتي، فكنت أهون عليها ، وأظهر لها بساطة المشكلة .

ويريد الله ﷻ انتصاري، وينصرني برحمته وقدرته، فأطلع على خطاب رئيس القسم الذي كتبه للعميد ضدي قبل أن يقراه العميد، وأرى أحداثا حولي غير مرتبة تساعدني، وتؤازرني .... وهي التي سبق ذكرها .

من فعل هذا ؟

أنه الله رب العالمين .

ولماذا ؟ ...

لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ (١)

لقد نصرني الله تعالى في هذا الموقف، وأرجو دوام توفيقه، ومعاونته فهو حسبي ، وعليه توكلي ،..... وأسأله سبحانه وتعالى أن يعفو عني، ويغفر ذنوبي، ويتجاوز عن سيئاتي فهو الرحمن الرحيم .

---

(١) سورة غافر الآية : ٥١ .

إني أدعو كل عاقل إلى التأمل في هذه الأحداث التي رويتها بكل صدق، ليدرك القدرة الإلهية التي تظهر للناس حين يريد الله تعالى ، ويأخذوا منها ضرورة الإيمان بالله تعالى، وتسليم الأمر له ، والاستقامة على شريعته، والتوجه الدائم لله رب العالمين .

الدرس الرابع :

ضرورة الحرص على أداء الواجب، والتجرد في العمل، والإخلاص في طاعة الله تعالى، والصدق مع الناس بلا انتظار نتيجة من أحد ، وعدم تعجل الأمر ، ... ويكفي المؤمن التيقن بأن الله تعالى مطلع على العمل، ومحيط بالظاهر والباطن، وله جنوده المبثوثة في كونه الواسع .

وهذه حقيقة ثابتة، ودرس مستفاد، فلقد كنت وسط المضايقات أضاعف الجهد، وأخلص في الأداء لدرجة أني كنت المرشد الأكاديمي لأغلب الطلاب، وكنت مقصدهم في إعداد الجداول الدراسية ، وكان كل ما أتمنى أن أعيش آمنا حتى تنتهي مدة الإعارة .

الدرس الخامس :

حاجة الإنسان إلى الصبر والمثابرة، والتحمل، لأن الوصول إلى المعالي صعب المرتقى يحتاج إلى وقت وعمل، والشيطان لا يترك الإنسان ، ويحاول إضلاله عن الصواب .

وهذا حال يحتاج من المسلم دوام العمل، والاستمرار في ذكر الله ﷻ والاستغفار، والتيقن من رحمة الله تعالى، وطرد الوساوس الشيطانية .

-١٤-
رئاسة قسم الدعوة
بكلية أصول الدين بالقاهرة

عدت إلى القاهرة بعد انتهاء الإعارة ، وفيه ثلاثة مدرسين هم : -

١- الدكتور / إبراهيم نجيب .

٢- الدكتور / حسن عيسى عبد الظاهر .

٣- الدكتور / عمارة نجيب .

وكان يتولى رئاسة القسم الدكتور/ إبراهيم نجيب، ولم يكن بينه وبين عميد الكلية توافق، فكلفني عميد الكلية الدكتور/ موسى شاهين لاشين بعمل رئيس القسم، عقب استلامي للعمل بعد عودتي من الإعارة.

فتفاهمت مع الدكتور/ إبراهيم نجيب على أن يستمر معي في مكتب رئيس القسم ، ونشترك سويا في الإدارة ، ونعتبر القسم في اجتماع دائم، ندرس فيه كل قضايا القسم، ونتناقش في كل أموره مع أعضاء القسم كلما جد أمر، ونتخذ قرارا فوريا بشأنه، على أن أجمع القرارات في محضر واحد شهريا نعده محضر القسم الشهري، وقد رأيت هذا أنسب لمصلحة القسم، لأستفيد بخبرة الدكتور/ إبراهيم نجيب، فلقد قضى عمره في الأعمال الإدارية بالجامعة، وصلته وثيقة بالمسئولين في الجامعة، وأعضاء القسم قليلون، وأخذ آرائهم في قضايا القسم يوميا يرضيهم، ولا يضيع وقتهم، فليس فيهم خبير في الإدارة ، والأفضل للقسم اشتراك جميع أعضائه في إدارة القسم ، وبخاصة أن مناهج القسم لم تحدد بعد، مع محاولة إدارة الكلية السيطرة على شئون القسم وإخضاعه لما ترى.

وكنت أرفع لعميد الكلية محضرا للقسم في كل شهر بلا دخول في تفاصيل .

وقد تمكنت بهذا الأسلوب من كسب ود أعضاء القسم جميعا، وتعاونهم، والاستفادة بخبرات الدكتور/ إبراهيم نجيب التي ساعدني بها في إخلاص، واستطعنا خلال مدة قصيرة وضع المناهج لكل المقررات، واستمرت هذه الروح بين أعضاء القسم ، وقام كل بواجبه، والحمد لله على هذا التوفيق .

وبعد مرور عام من رئاستي للقسم رجع من الإعارة الدكتور/ محمد شامة وهو أقدم مني ، ومن حقه القانوني أن أتنازل له عن رئاسة القسم ، إلا أني توقفت عن ذلك ، وأخبرت عميد الكلية بأسباب هذا التوقف ، وهي آراء للدكتور شامة في بعض صور الربا، ووجود الجن، والبعث الجسماني التي سمعتها منه حين التقيت به في سكن أخيه بالمدينة المنورة، وعارضته فيها، ...، ووضحت لعميد الكلية أني لن أسلم رئاسة القسم للدكتور/ محمد شامة لرؤيتي الواضحة في خطإ آرائه، ... وليس ذلك حبا مني في الرئاسة، ولكني أخاف أن أكون مذنبا لو سلمت الرئاسة له، ... وأكدت استعدادي التام لترك رئاسة القسم إن صدر قرار من العميد، أو من أي جهة رئاسية بلا أدنى غضاضة مني، فوافقني العميد، ولم يصدر هذا القرار .

واستمرت رئاستي للقسم إلى أن انتقلت إلى كلية الدعوة الإسلامية ، حين كلفتني الجامعة بتأسيسها وإدارتها، وتلك قصة تحتاج لتوضيح .

وأحب إن استخرج من رئاستي لقسم الدعوة مدة عامين الدروس التالية: –

الدرس الأول :

ضرورة العمل الجماعي، لأن يد الله ﷻ مع الجماعة، ومن المقرر أن العمل الجماعي أكثر فائدة من العمل الفردي، ومشاورة الآخر استفادة بعقله ، كما أن الجماعة قوة تؤكد رأيها، وتنتصر له.

الدرس الثاني :

مراعاة الجانب النفسي عند من تتعامل معه، فلقد تعاملت مع الدكتور/ إبراهيم نجيب كأنه رئيس القسم، وأشركته في كل أعمال القسم، وأخفيت هذه العلاقة عن عميد الكلية، وقدمت له محضرا عن أعمال القسم كل شهر.

الدرس الثالث :

ضرورة المرونة في العمل الإداري، وفائدة تحويل فريق العمل إلى كتلة واحدة، تتبع أسلوبا واحدا، وتقصد هدفا واحدا، وهذا ما استطعت فعله وتمكنت مع قلة أعضاء قسم الدعوة من وضع المناهج، ولائحة القسم في وقت وجيز .

الدرس الرابع :

حب العمل أساس النجاح، وهذا ما حرصت عليه، وتمكنت به من المحافظة على علاقات حسنة مع جميع من تعاملت معهم، ولو كانوا مختلفين فيما بينهم .

ـ ١٥ ـ
إنشاء كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
ودوري معها

تولى مشيخة الأزهر فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم محمود، واعتمد منهج نشر التعليم الديني في مصر والعالم العربي والإسلامي، ورأى فضيلته ضرورة إنشاء المساجد، والمعاهد التي تنشر الإسلام بين الناس وتدعمه علميا، وعمليا، وقرر ضم أي مسجد يبنى إلى وزارة الأوقاف بموظفيه، وضم أي معهد ينشأ للبنين والبنات إلى إدارة الأزهر بموظفيه.

وبدأ في إنشاء فرع لجامعة الأزهر في وسط الدلتا ، يضم كلية الشريعة ، وكلية اللغة العربية، وكلية الدعوة الإسلامية، واختار الدكتور/ بركات دويدار عميدا لكلية الدعوة ، كما اختار الدكتور / رءوف شلبي وكيلا للكلية ، واستصدر فضيلته قرارا وافق عليه المجلس الأعلى للتنظيم والإدارة يقضي بإنشاء كلية ثانية للدعوة بمدينة القاهرة، يكون مقرها مؤقتا في مبنى كلية أصول الدين، وكان في نيته أن يتولى العمادة فيها الدكتور/ رءوف شلبي، وكان يحبه ويثق فيه لحميته الدينية، ونشاطه في الدعوة .

إلا أن الدكتور/ موسى لاشين لم يرض بهذا القرار، فأخذه من المسئولين ووضعه في درج مكتبه، وسكت عنه، وبعد سنتين من هذا القرار رغب رئيس الجمهورية السيد/ أنور السادات في إنشاء كلية أزهرية في عاصمة محافظة المنوفية تكون نواة لفرع جديد يضم كليات الأزهر.

رحب فضيلة الدكتور/ عبد الحليم محمود بهذه الرغبة، وأبدى استعداده لافتتاح كلية للدعوة بشبين الكوم، ... وهنا اعترض المجلس الأعلى للتنظيم والإدارة ، لأنه سبق وأن وافق على إنشاء كلية الدعوة بالقاهرة، ولم تظهر، ولا يصح له الموافقة على كلية جديدة إلا بعد إنشاء الكلية التي سبق أن وافق عليها، أو أن يتعهد المسئولون في جامعة الأزهر بإنشاء كليتين للدعوة معا في وقت واحد أحدهما في القاهرة ، والثانية بشبين الكوم عاصمة محافظة المنوفية.

وهنا تحركت عملية إنشاء كلية الدعوة بالقاهرة مع شقيقتها بشبين الكوم

وتصور البعض أن توقف الدكتور / موسى لاشين عن إنشاء كلية الدعوة بالقاهرة كان ليمنع الدكتور / رءوف شلبي من عمادتها، لأنه كان مقربا من شيخ الأزهر،... إلا أن الدكتور / موسى استمر على محاولة عدم إنشاء الكلية بعد أن أعير الدكتور/ رءوف شلبي لقطر، .... وحاول أن يستخدمني بصفتي رئيسا لقسم الدعوة في طلب التوقف عن إنشاء الكلية ، فعرفته بأني لن أقوم بأي دور في هذا الموضوع، لأني أول متخصص في الدعوة، وواجبي تنمية مؤسسات الدعوة، ونشرها في المجتمع، للمحافظة على الدين، ودعوة الناس.

وبينت له أني لن أعارضه في شيء، وعليه أن يتصرف كما يشاء.

وبدأت أتصرف بعيدا عنه في خفاء، وساعدني فضيلة الدكتور / إبراهيم نجيب في التواصل مع مدير الجامعة الأستاذ الدكتور/ محمد فايد ، وكنا نذهب إليه في بيته بعد صلاة العشاء من حيث لا يدري

أحد، يسمع منا ، ونسمع منه، وقام الدكتور/ إبراهيم نجيب بدور مشهود له، مستفيدا بعلاقاته برئيس الجامعة .

طلب مني الدكتور/ موسى لاشين أن أقدم طلبا باسم رئيس قسم الدعوة أبين فيه عدم جدوى كلية الدعوة، ووجود القسم يغني عنها، فرفضت، وبينت له أني لا أستطيع معارضة شيخ الأزهر ، ورئيس الجامعة ، ...

فطلب مني أن أكتب لتوسيع قسم الدعوة، ليكون قسيما للأقسام الأخرى، فقلت له : هذا ليس وقت أي اقتراح، لأن أي اقتراح في هذا الوقت يعني معارضة كبار المسئولين ، وأنا لا استطيع ذلك الآن .

هنا أدرك الشيخ / موسى أني لست معه، فعمل على نقلي من القاهرة إلى شبين الكوم في ثوب الباحث عن مصلحتي، فقد فوجئت ذات يوم بعد صلاة الفجر بالدكتور/ محمود زقزوق وكيل كلية أصول الدين يأتي إلي في بيتي ، وكان يسكن قريبا مني، ويخبرني بأن لجنة من جامعة الأزهر ستذهب اليوم لشبين الكوم لاستلام مقر كلية الدعوة الإسلامية بها ، وقد كلفه الدكتور/ موسى بالحضور إلي في هذا الوقت لأقدم طلبا بانتقالي إلى كلية الدعوة بشبين الكوم، وأصاحب اللجنة في استلام الكلية حتى أكون عميدا لها، ووعدني بمساعدته للوصول إلى هذا المنصب الرفيع ، ... فأدركت أنه يريد إبعادي عن القاهرة ، فشكرت للدكتور/ زقزوق اهتمامه بشأني، وكلفته أن يشكر عني فضيلة الدكتور/ موسى، وعرفته بأني لن أترك القاهرة أبدا، ولو عدت مدرسا بعيدا عن أي منصب إداري ، لأني أكره السفر ، وقد رتبت حياتي حيث أنا في

القاهرة، حيث عمل زوجتي، ومدارس أولادي، وتعدد أنشطتي.

كما عرفته انسحابي من عضوية هذه اللجنة، لأبتعد أمامه عن كل ما يترتب على إنشاء كليات الدعوة في القاهرة، وفي مختلف المحافظات **وفي يوم جلسة مجلس الجامعة** عرض مدير الجامعة قرار لجنة استلام مقر كلية الدعوة بشبين الكوم، وتقدم الدكتور موسى باقتراح تعيين الدكتور/ عبد الغفار عزيز عميدا لكلية الدعوة الإسلامية بشبين الكوم .

وعند عرض موضوع كليات الدعوة تساءل مدير الجامعة عن عميد كلية الدعوة بالقاهرة ، فتذرع الشيخ موسى بأنه ما زال يبحث الموضوع مع قسم الدعوة، لتوضيح الفرق بينهما، وكيفية التعاون بينهما .

فقال مدير الجامعة : من هو رئيس القسم ؟ ... وكيف عمله ؟ ...

فقال الشيخ / موسى : رئيس القسم هو الدكتور/ أحمد غلوش، وهو جيد في عمله .

فقال مدير الجامعة : إذا نعينه عميدا لكلية الدعوة بالقاهرة ، ونكلفه بالانتهاء من إجراءاتها، على أن تبدأ الدراسة فيها هذا العام مع كلية الدعوة بشبين الكوم كما طلب التنظيم والإدارة ، وشيخ الأزهر .

وبذلك تركت قسم الدعوة بكلية أصول الدين، وأخذت أعمل عميدا لكلية نشأت، وليس لها مبنى، وليس بها طلبة، وموظفوها لم يعرفوا بعد، وليس فيها غيري، ومعي قرار التنظيم والإدارة بالموافقة على ملء الوظائف الآتية : -

١- أستاذ واحد .

٢- أستاذان مساعدان .

٣- خمسة مدرسين .

٤- أربعة معيدين .

٥- ستة إداريين .

٦- عمال .

واستعنت بالله تعالى في هذه المهمة الشاقة ، وأخذت أستعين بعميد كلية أصول الدين، ومدير الجامعة، فوافق الشيخ موسى على تخصيص مكتب للعميد، وآخر للموظفين ، ومدرجين للدراسة، ومكتب لمدير الكلية في الدور الرابع ، وتم إيجاد مكان للكلية .

وشكل مدير الجامعة لجنة مني ومن أمين عام الجامعة لاختيار الموظفين ، والعمال، وقد تم الإعلان عنهم ، واختيارهم من المتقدمين.

ثم أعلنت عن قبول طلاب بالسنة الأولى بالكلية بعد أن توزع الطلاب على سائر الكليات، وأخذت أقابل الراغبين في الانتساب للكلية، وأبين لهم مزايا الكلية، والفرص المتاحة لطلبتها، فتقدم عدد كبير من الطلاب اخترت منهم ثمانين طالبا متميزين بحفظ القرآن الكريم ، والتركيز العقلي، والصفاء الديني .

وشكلت لجنة علمية لاختيار أعضاء هيئة التدريس ، فاختاروا أستاذا مساعدا ، وثلاثة مدرسين، وأخذت في تكليف عدد من المعيدين من أوائل الذين تخرجوا من قسم الدعوة، وعلى رأسهم الأستاذان/ طلعت عفيفي، ومصطفى الدميري .

وبدأت الدراسة، وعايشت الطلاب كأني واحد منهم، أناقشهم في دراستهم، وأعرف مشاكلهم، وأحثهم على الاجتهاد، كما درست لهم بعض المواد، وتمكنت بفضل الله تعالى من إمداد الطلاب بخمسة وعشرين جنيها شهريا لكل طالب .

عشرة جنيهات من مشيخة الأزهر قررها الدكتور/ عبد الحليم محمود لطلبة الدعوة .

وخمسة عشر جنيها من وزارة الأوقاف ، وافق عليها الدكتور/ عبد المنعم النمر .

وسلمت كل طالب مكتبة علمية من تبرعات المحسنين .

استقامت الدراسة في الكلية ، ومكثت في إدارتها عامين كاملين ، تغير فيها مدير الجامعة، وتعين الأستاذ الدكتور / عوض الله حجازي مديرا للجامعة فعمل على إلغاء كلية الدعوة بالقاهرة، ودمجها في قسم الدعوة بكلية أصول الدين .

جمعني الدكتور رئيس الجامعة، والدكتور / محمود مزروعة عميد كلية الدعوة بالمنوفية، والدكتور/ عبد الله الشاذلي وكيل كلية الدعوة بطنطا، وطلب منا أن نقدم طلبا لمدير الجامعة نطلب فيه إلغاء كلية الدعوة، وتحويلها إلى قسم في كلية أصول الدين، فرفضت هذا الطلب، فكلف به زميلي الآخرين .

وفي يوم اجتماع مجلس الجامعة ذهبت مبكرا، وانتظرت بدء الجلسة، وأخذت مكاني بجوار الدكتور/ عبد الله الشاذلي ممثلا لعميد كلية الدعوة

بطنطا، وأخذ رئيس الجامعة يعرض موضوع كلية الدعوة من خلال الطلب المقدم من عميدي كلية الدعوة بطنطا وشبين الكوم، وفيه طالبا بإلغاء كلية الدعوة، وإدماجها في كلية أصول الدين، وأبدى مدير الجامعة موافقته على الإلغاء ، معللا سبب موافقته على ما يلي : –

أولاً : لا حاجة لكلية الدعوة، فكل الأزهريين دعاة، حتى الحاصلين على الثانوية الأزهرية يقومون بالدعوة .

ثانياً : في كلية أصول الدين قسم للدعوة ، وهذا يكفي .

ثالثاً : ليس في العلوم الإسلامية علوم خاصة للدعوة حتى نؤسس كلية لها .

ثم عرج إلى موقف الدكتور/ عبد الحليم محمود رحمه الله من إنشاء الكلية ، وذكر أنه لم يشاور أحدا في إنشائها، وكان هو وحده المقتنع بها، وكان فضيلته إذا اقتنع بأمر نفذه وإن عارضه الآخرون .

وحين هممت بالرد على الطلب، ومدير الجامعة همس الدكتور/عبد الله الشاذلي في أذني، وطلب مني عدم معارضة رئيس الجامعة لأنه رئيس لجنة ترقية أساتذة الدعوة ، وسأحتاج إليه في الترقية لدرجة " أستاذ " .

فقلت له على الفور: أستاذيتي تحت حذائي، وكلمة الحق واجبة .

وبعد انتهاء رئيس الجامعة من عرض الطلب، وموافقته على الإلغاء طلبت الكلمة، وقلت : **إن مدير الجامعة ليس متخصصا في علوم الدعوة، ولا يصح أن نسلم له قوله عن الدعوة، وعميدا كليتي**

الدعوة كذلك، والقول الفصل في هذا الموضوع قول المسئولين في الدولة، والأزهر، والمتخصصين في علوم الدعوة، والقائمين بها عمليا.

وأيضا فإن الدعوة إلى الإسلام علم، وفن، وحاجتها إلى كلية متخصصة ضرورية، لتخريج دعاة في المجال العلمي والعملي .

وقد تم حصول أكثر من عشرين باحثا على الماجستير والدكتوراه في علوم الدعوة، ولا يصح لمدير الجامعة أو مجلس الجامعة إلغاء كلية الدعوة بدعوى عدم وجود تخصص للدعوة ، ....

وماذا نقول لهؤلاء المتخصصين ؟ ...

ولماذا تأسس قسم الدعوة إن لم يكن للدعوة علوم **؟ ...**

وإن كان مدير الجامعة يرى أن الدكتور/ عبد الحليم محمود قد فرض رأيه، ولم يشاور أحدا، ... فقد فعل هو ذلك فقد خرجت هذه المذكرة التي نناقشها الآن من مكتبه بأمره هو، وقد رفضتها، وفضيلته يقر بذلك .

وليس من أخلاق العلماء أن نعيب غيرنا بعد مماتهم بما هو فينا، وبخاصة من كنا نجلهم ونقدرهم، ونقبل أيديهم في حياتهم .

وسيطر على المجلس صمت قطعه الدكتور/ على عبد الرازق وزير التربية، وكان عضوا منتدبا بمجلس الجامعة ، وقال : لابد من تشكيل لجنة علمية لمناقشة هذا الموضوع على أن يكون الدكتور/ أحمد غلوش عضوا فيها، ... وأوصيه بالهدوء، .... وتم تشكيل اللجنة من :

١- نائب رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور/ السعدي فرهود رئيسا.

٢- عميد كلية أصول الدين الأستاذ الدكتور/ محمود زقزوق عضوا.
٣- وكيل كلية البنات الإسلامية الأستاذ الدكتور/ محمد نصار عضوا .
٤- عميد كلية التربية الأستاذ الدكتور/ سيف عضوا .
٥- عميد كلية الدعوة .... وهو أنا عضوا .

واجتمعت اللجنة طوال ثلاثة أيام ، وناقشت موضوع كلية الدعوة من جميع الوجوه، وانتهت إلى ما يلي : -

أولاً : كلية الدعوة الإسلامية من الكليات التي يحتاجها المجتمع، مثل حاجته لكليات التربية، فلقد كان تخريج المدرسين أولا من معهد المعلمين الوحيد، ثم تحول إلى كليتين للمعلمين في القاهرة والإسكندرية، وتبعا للحاجة إلى مدرسين تم إنشاء العشرات من كليات التربية العامة والنوعية في مدن الجمهورية،وقياسا على هذا يجب أن تبقى كلية الدعوة **وما دام في مصر مائة ألف مسجد** أغلبهم بلا أئمة، فإن الإكثار من كليات الدعوة أمر هام وضروري .

ثانياً : وجود قسم للدعوة بكلية أصول الدين لا يمنع من إنشاء كلية الدعوة ، .... وقد جرى العرف العلمي على ذلك ، فوجود قسم الإعلام بكلية الآداب لم يمنع إنشاء كلية للإعلام، ووجود قسم الاقتصاد بكلية التجارة لم يمنع إنشاء كلية الاقتصاد والسياسة .

ثالثاً : أثبت الباحثون الذين نالوا درجات علمية في الدعوة وجود تخصصات للدعوة بشهادة علماء ناقشوا هذه الدرجات العلمية، ولا يصح

القول بعدم وجود علوم خاصة بالدعوة، لأن هذا القول يعني عدم الاعتراف بهذه الدرجات، وإبطال عمل لجان الحكم والمناقشة، وهو أمر لا يستطيعه أحد .

رابعاً : التسليم بعدم وجود علوم خاصة بالدعوة لا يؤدي إلى إلغاء كلية الدعوة وحدها، بل يحتم إلغاء أقسام الدعوة في كليات أصول الدين، وهذا لم يقل به أحد .

خامساً: تعدد الكليات وكثرتها يفيد ولا يضر، بدليل كثرة الكليات ذات التخصص في مختلف الجامعات والأقاليم، وهذا يشير إلى فوائد كثرة الكليات المتقاربة التخصص.

سادساً: كليات أصول الدين الحالية كثيرة، فهل قامت بدورها العلمي والعملي مع الدعوة حتى وفت بسائر متطلبات الدعوة في الجامعة، ومع الجماهير في العالم الإسلامي كله، أم أن المجال متسع لكليات أخرى عديدة للدعوة ولأصول الدين معا.

وقررت اللجنة التوصية باستمرار كلية الدعوة لحاجة المجتمع والدعوة إليها.

كما أوصت بضرورة الاهتمام بمناهجها، وطلبتها حتى تتمكن الجامعة من سد الفراغ الديني الموجود في المجتمع .

وقد أجمعت اللجنة على هذا ما عدا عميد كلية أصول الدين الأستاذ الدكتور/ محمود زقزوق .

وأذكر هنا أنه بعد اجتماع مجلس الجامعة المذكور طلب البعض من مدير الجامعة إلغاء انتدابي، وتعيين غيري ممن يرى رأيه ، فقال: إن إلغاء الانتداب انتقام لشخصي، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط ، ورضي بقرار اللجنة، واستقرت الكلية.

وقام فضيلته بترقيتي لدرجة " أستاذ " بعد ذلك بأشهر عديدة ، ولم يتحقق ما خوفني منه الدكتور عبد الله الشاذلي .

وثبت علميا أن سبب محاولة إلغاء كلية الدعوة فراغ في عقول المنادين بالإلغاء، جعلهم يرون تخصصاتهم فوق كل تخصص آخر، ويخافون من علو ورفعة كلية الدعوة، وتخصصاتها فهي أكبر منهم، وأعمق، وأدق.

وقد تمكنت خلال العامين الذين مكثتهما في كلية الدعوة من تنظيم سنوات الدراسة بالكلية، وأعددت لها متطلبات الجامعة، ومتطلبات الكلية ، ومتطلبات كل قسم، وجعلت التخصص يبدأ من السنة الثالثة ، واستصدرت قرارا وزاريا بأقسام كلية الدعوة الثلاثة، وهي : -

١- **قسم الإعلام الإسلامي**، وميزته عن قسم الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية بالإسلامية

٢- **قسم الثقافة الإسلامية**، ليتناول كافة المعارف، والعلوم المتصلة بالإسلام.

٣- **قسم الأديان والمذاهب**، ليشمل كل فكر عقدي في الأديان المنزلة، أو المذاهب الموضوعة .

ووضعت بمساعدة الأساتذة اللائحة الداخلية للكلية ، ولائحة الدراسات العليا ، واجتهدت في شغل الدرجات العلمية الشاغرة حتى تصبح الكلية كيانا متكاملا يصعب المساس به .

وبعد تمام عامين تركت الكلية معارا إلى مكة المكرمة ، وسلمت إدارة الكلية إلى الدكتور/ عزت السروجي، وأرسلت بذلك خطابا لرئيس الجامعة لاتخاذ ما يلزم، فأصدر قرارا بتعيين الدكتور / أحمد الشاعر عميدا لكلية الدعوة .

إن كلية الدعوة الإسلامية مؤسسة مهمة في مجال الدراسات الإسلامية، لها ذاتيتها المستقلة، وتتميز عن غيرها بدراسة العلوم الإسلامية المتصلة بالجوانب الإنسانية، وطرق تطبيقها، والعمل بها، والحركة بها مع سائر الناس على اختلاف طبائعهم، وأديانهم، وثقافاتهم

وموضوعها الإحاطة الكلية بالعلوم الإسلامية ، وبخاصة ما له صلة بحياة الأفراد والجماعات، وتحويلها إلى نماذج عملية قابلة للتطبيق والعمل، ووضع كل نموذج في صورة محببة مقبولة للعقل، ومحركة للعواطف والوجدان، ...

وعلماء الدعوة يأخذون الإسلام بحقيقته العلمية، ويوصلونه للناس على قدر طاقتهم، وثقافتهم ....، ويبرزون الإسلام للناس جميلا كما نزل من عند الله تعالى.

ومثال ذلك ما نراه من تلاقي العلماء، واستفادة عالم الدعوة بعلومهم

فعالم التفسير – مثلا – يعيش مع آيات القرآن الكريم، ويحلل معناها، ويفصل في قراءاتها، ويوضح معنى الموضوع الواحد الوارد في عدد من الآيات، ....

ويأتي عالم السنة فيورد الأحاديث المبينة للآيات .

ويأتي عالم العربية، فيظهر تراكيب الكلمات، وإعراب الجمل، وبلاغة الآيات، وما فيها من بيان وبديع ، وحقيقة أو مجازا، وكناية ، أو استعارة .

ويأتي عالم الفقه فيستخرج منها الأحكام الفقهية، والقواعد الأصولية.

وهكذا سائر الفنون ...

إلى أن يأتي عالم الدعوة ويأخذ من الآيات كافة الجوانب المعجزة التي تناولها العلماء، ويسوقها للناس في مناهج علمية، وكيفيات بشرية، سبق تطبيقها في القريب والبعيد، وسعد بها الناس وفرحوا بالعيش فيها، ورأوا حسنها وجمالها، وهو المعنى المستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ ﴾ (١)

ويقف علماء الدعوة رجالا يدافعون عن الإسلام، ويردون من يصد الناس عنه، ويقابلون الحجة بالحجة، ويبينون ما في آيات الكون، والإنسان ، وآيات القرآن ، من دلالات على وجوب الإيمان بالله تعالى ، والالتزام بشرعه الحنيف .

---

(١) سورة الحجرات الآية : ٧ .

ويهتم علماء الدعوة بدراسة ما عند غيرهم من أديان موضوعة، ومذاهب مخترعة لبيان مثالبها، وإظهار نقصها، وإبطال مزاعم القائلين بها حتى يتبين الناس الرشد من الغي، والضلال من الهدى.

إن العالم اليوم مليء بكليات اللاهوت، والتبشير، والحاجة إلى مواجهة دعاياتها ضد الإسلام ضرورية ، لإثبات الحق، وإبطال الباطل، وهو أحد مهمات كلية الدعوة .

إن علوم الدعوة لا تقف عند التفكير العقلي المجرد مثل فكر الفلاسفة، ولكنها تعمل لإقناع العقل في إطار العاطفة،

وتخاطبهما معا، وتشدهما إلى الله تعالى، والتعلق بكرمه، ورحمته، ومعونته ، ونصره .

وعالم الدعوة يضيف إلى إحاطته بعلوم الإسلام العلوم الإنسانية التي تعرفه بطبيعة الإنسان، وعناصره، وطريقة التأثير الوجداني فيه ، وتحويل الوحي في حياته إلى معرفة قولية، وصور عملية، فهي لا تقف عند حد المعرفة، وإنما تغوص إلى أعماق القلوب، وتسبح في عالم الروح ، وترتبط بالعواطف لتكوين إنسان قرآني الهوى والمزاج، رباني الفهم والسلوك، ولذلك لما سأل الصحابة ﷺ عائشة ﷺ عن خلق النبي ﷺ قالت: **(كان خلقه القرآن)** (١) ، ... وهذا لا يعني مجرد المعرفة، وإنما يعني المعرفة، والفهم، والعمل، وامتزاج المخلوق بالخالق، ....

---

(١) مسند أحمد بن حنبل – مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث : ٢٤٠٤٥

ومعنى قول عائشة ﵂ أن محمدا ﷺ قد صار قرآنا مصورا، .... ولهذا لما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالدعوة قال له : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (١) ، فبين له أن الدعوة تعتمد على الكلمة الموجزة، والعمل الهادف، والحقيقة الواصلة إلى العقل والضمير، والجمال الصوتي، والمعاني الحسنة، لتظهر العروس في ثوب يليق بها .

إن انحصار أسلوب الدعوة في الحكمة والموعظة الحسنة، والجدل الهادف يعني مخاطبة سائر الناس على اختلافهم، وتنوعهم بما يفهمون ويعقلون، لأن الداعية إذا احتاج إلى الإيجاز فمعه الحكمة، وإذا احتاج إلى إطالة النصيحة، وإثارة الانفعال فمعه الموعظة، وإذا احتاج إلى محاورة المجادلين، فأمامه الجدل الذي يوصل إلى الحق .

وعالم الدعوة يحتاج في تخصصه إلى استنباط الحكم والمواعظ ، والأساليب من قصص القرآن الكريم ليتخذها الدعاة منهجا لدعوتهم الناس ، **وصدق من قال** : إن الدعوة تبدأ بعد انتهاء سائر التخصصات

ولذلك أوصي في تربية الدعاة بضرورة إلمام طالب الدعوة بعلوم القرآن الكريم، وعلوم السنة، وعلوم الفقه، والمنطق، وعلوم الأديان، والمذاهب .... لأن تلك العلوم هي أدواته التي تربطه بالناس .

وتهتم كلية الدعوة بتعليم طلابها كيفية التواصل مع الناس من خلال الخطب والأحاديث، والحوار، والكتابة ، والنشر، وبذلك فهي تضم

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

إلى العلوم القديمة العلوم الحديثة .

إن الإسلام اليوم هو أعدل قضية في هذا الوجود، غير أن خصومه يواجهونه بالتقدم المادي، والصوت المرتفع، والأثواب البراقة، ....

وواجب على العلماء أن يعدوا لدعوة الناس إلى الإسلام كل ما يقدرون عليه ، وأن يواجهوا خصوم الإسلام بما يردهم ، ويثبت زيفهم بمنطق العقل، وأساليب العلماء، ولا يصح أبدا هدم مؤسسات الدعوة وإن كثرت، ... ولا يجوز أن نهدم البناء الذي نحتاج إليه فوق رءوسنا، وننتهي معه

وقد درست في جامعات المملكة العربية السعودية مادة آيات الدعوة في القرآن الكريم وفق منهج موضوعي يكشف ما في الآيات من فنون الدعوة حيث الموضوع ، والأسلوب ، والإنسان، والتربية، وكانت هذه المادة هي التي دفعتني لتآليف تفسير دعوي للقرآن الكريم .

إن كثيرا من طلاب الكليات الأخرى يرفضون صعود المنبر لأنهم لم يتخصصوا في الدعوة ، وهذا يدعو إلى إثراء كلية الدعوة لا إلغائها .

ولا أنكر أن الكثير من خريجي الأزهر يباشرون الدعوة إلى الله تعالى بنجاح بسبب طول الممارسة، والخبرة المكتسبة في نشاطهم الاجتماعي، لأنهم تعلموا من الممارسة الخبرة، والتخصص، وعرفوا الدعوة وأركانها من الواقع الذي عاشوا فيه .

ومع وجود هؤلاء الدعاة أرى ضرورة الإكثار من كليات الدعوة، لتخريج المتخصصين في الدعوة النظرية ، والعملية في وقت قصير .

والمخلص من الناس ينظر إلى مجتمع المسلمين اليوم بما فيه من فساد، وبُعد عن دين الله تعالى ، ويرى الحاجة الماسة إلى عودة حميدة لقيم الإسلام وتعاليمه، وينادي بذلك .

وهنا أقول :

دعموا كليات الدعوة الإسلامية بالأساتذة المخلصين، والطلاب المجيدين، والمناهج الطيبة ، ليعود الدين بين الناس مرة أخرى كما كان أول مرة .

-١٦-
في رحاب مكة المكرمة

انتهت إعارتي بجامعة الملك سعود بالرياض، وعدت إلى مصر، وتوليت رئاسة قسم الدعوة الإسلامية بكلية أصول الدين بالقاهرة، وقمت بتأسيس كلية الدعوة الإسلامية وإدارتها على نحو ما سبق بيانه ، وبعد مرور ثلاث سنوات على مجيئي إلى القاهرة أعيرت زوجتي إلى جامعة الملك عبد العزيز بفرعها الخاص للبنات في مكة المكرمة، فصاحبتها مرافقا لها، وتعاقدت مع فرع الجامعة بمكة المكرمة للعمل بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية الذي أنشئ في كلية الشريعة، وسافرت إلى مكة المكرمة مع الأسرة ، وكانت مكونة يومئذ من زوجتي وأولادي منال، ومحمد، وأمل ، ومحمود ، والحسن والحسين ، وإيمان، ورزقت وأنا في مكة بأولادي عبد الرحمن، وإبراهيم ، وعبد الله .

والحمد لله رب العالمين فقد أكرمني الله بالعمل في مكة المكرمة ، وأعطاني فيها الخير، والمنن، والنعم، ونجاني من الضيق والكيد، والخصومة، ... ومكنني من تربية أولادي في حرمه الأمن ، ويسر لي تحفيظهم القرآن الكريم في جنبات البيت الحرام، وأمام الكعبة المشرفة، لقد كنت أصطحب زوجتي وأولادي إلى الحرم كثيرا، نطوف، ونصلي، ونقرأ القرآن الكريم، ونجهز الدروس، ويطوف الأولاد معنا حتى صار الحرم لهم بيتا ومأوى .

لقد طالت فترة إقامتي في مكة، بدأت من سنة ثمانين بعد ألف وتسعمائة للميلاد إلى آخر عام ألفين للميلاد، أي ما يقرب من اثنين وعشرين سنة، وفيها كان فضل الله، وعطاء الله، ونعم الله التي لا استطيع إحصاءها، ولا أدعي أني قدمت لها ما يعادلها أو شيئا منه، فهي عطاء إلهي خالص أولاني به سبحانه وتعالى ، وأرجوا الله أن يجعل هذا العطاء جزءا من عطائه العظيم في الآخرة لي ولزوجتي وأبنائي .

وسوف أعيش مع ذكريات مكة لا تباهيا بها، وإنما إقرار صادق بفضل الله تعالى، وبيان لمسار القدر معي، وتوضيح لمواطن العبر لأولي الأبصار، ....

وسأورد ذكرياتي في مكة في قضايا لأسير مع كل قضية من أولها إلى آخرها خلال المرحلة كلها ، وأؤكد ما ذكرته في البداية، وهو التزامي بالصدق في كل ما أذكر ... والله على ما أقول شهيد .

القضية الأولى
الأسرة والعمل

وصلت الأسرة إلى مكة، واستلمت العمل في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية التابع لكلية الشريعة فرع البنين، واستلمت زوجتي العمل بقسم الشريعة فرع البنات .

واتخذنا سكنا بجوار قسم جرول بالعتيبية لوجود مدارس لجميع الأولاد بها، ووجود سوق كبير فيها ، وقربها من فرع البنات ، وقدمنا لمنال، وأمل في مدرسة البنات الابتدائية المجاورة للسكن، وقدمنا في مدرسة ابتدائية للأولاد، وكان الأولاد جميعا يذهبون إلى مدارسهم ، ويعودون منها سيرا على أقدامهم، وكنت أذهب إلى الجامعة الموجودة بعيدا في العزيزية بالسيارة ، كما أقوم بتوصيل زوجتي كليتها الموجودة في الزاهر المجاور للعتيبية .

واستمر الحال على ذلك إلى أن انتهت منال من الدراسة الابتدائية، فأخذت أبحث عن مدرسة إعدادية للبنات .

ورأينا أن نغير السكن فانتقلنا إلى العزيزية، وأجرنا شقة واسعة بها، وفضلناها على الشقة السابقة لسعتها، ولوقوعها في حي راق، وبعدها عن القيل والقال الذي يحدث في تجمع المصريين وأكثرهم يسكن في العتيبية، وعشنا في هذه الشقة حتى رجوعنا إلى مصر.

في مرحلة حياتنا في مكة حصل جميع الأولاد على الثانوية العامة من مدارس مكة بتفوق واضح ، وحرصنا على أن يتموا تعليمهم في كليات جامعة الأزهر، وكان هذا يحتم على كل منهم الحصول على

الثانوية الأزهرية بعد سنة دراسية، فحصلوا بذلك على الثانوية الأزهرية، وانتسب محمد إلى كلية الطب جامعة الأزهر، وانتسبت أمل، ومنال، وإيمان إلى كلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر، وانتسب الحسن والحسين إلى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، وانتسب إبراهيم وعبد الله إلى الأكاديمية البحرية " كلية الهندسة " .... أما محمود وعبد الرحمن فلم يحصلا على الثانوية الأزهرية، وانتسب محمود إلى كلية التجارة جامعة عين شمس، وعبد الرحمن إلى كلية الصيدلة جامعة القاهرة، وانتسب إبراهيم وعبد الله إلى المراحل الثانوية للأزهر قبل التحاقهما بالأكاديمية البحرية .

وسارت بهم الأقدار كما أراد الله تعالى حتى تخرجوا من كلياتهم بتفوق، ولقيت "إيمان" ربها عند أجلها بعد حصولها على الإجازة العالية في التفسير وعلومه، ولقي"عبد الله" حتفه وهو في السنة الثانية في كليته

وهكذا

عاش أبنائي جميعا مرحلة الطفولة، وفترة الشباب الأولى في مكة المكرمة حيث انتشار روح الإسلام بين الناس، وانحسار الفساد في الظلمات.

أدى أولادي جميعا مناسك الحج والعمرة مرات عديدة، حيث كنا نقوم بالحج كل عام، ونؤدي عمرات عدة كذلك، وكنا نذهب إلى الحرم يوميا حيث الطواف، والقراءة، والمرح، وقد جعلته مكان تحفيظ أولادي القرآن الكريم .

كان أولادي يذهبون إلى المقارئ الموجودة في المساجد المجاورة للسكن، وتعاونت معهم حتى أتموا جميعا حفظ القرآن الكريم .

كان الأبناء جميعا متفوقين في الدراسة ، وهذا مكنهم من حفظ القرآن الكريم لوجود وقت له .

وكانت المدارس الثانوية للبنين والبنات تقيم أنشطة ثقافية ودعوية من خلال جمعيات منظمة ينشط خلالها المدرسون والمدرسات في عقد لقاءات للطلاب والطالبات، والاستماع لمحاضرات ، والاشتراك في ندوات ، وإقامة أبحاث، ومناقشة مشكلات ، ... وغير ذلك .

كانت المدرسة الثانوية هي موطن التدريس، ومجال التعارف والنشاط، ومكان تربية العقل والروح .

وكانت المناهج بسيطة، خالية من التكرار والغموض، وكانت الكتب الدراسية في أيدي الطلاب من أول يوم في العام .

لقد تخرج أولادي جميعا ما عدا إبراهيم وعبد الله من الثانوية السعودية، واستفادوا بالمناهج المقررة لكافة المراحل، لأنها جمعت بين علوم الدين، وعلوم الدنيا، ففيها مقررات التفسير، والحديث، والفقه والثقافة الإسلامية مع العلوم الإنسانية المختلفة، والعلوم التجريبية والمعملية، وكان يقوم بالتدريس نخبة ممتازة من أوطان العالم الإسلامي المختلفة، ولذلك لم تعرف ثنائية التعليم كما هو في مصر .

وقد ساعدني نظام التعليم في السعودية على متابعة أولادي في المنزل، وكنت أسهر معهم ، وأشرف على دراستهم ، ولا أنام حتى يناموا

ولم يتعلم الحسن والحسين في المدارس العامة السعودية ، وإنما تعلما في مدارس تحفيظ القرآن الكريم ، وهي مدارس تابعة لوزارة التربية والتعليم ، وتهتم بتحفيظ القرآن الكريم، وتفسيره، وقراءاته، وكل ما يتصل به ، ولم أكن أعلم بها قبل ذلك ، فلما بحثت عن مدارس ابتدائية لم أجد مدرسة تقبل الحسن والحسين لصغر سنهم إلا مدارس التحفيظ فرحبت بها ، وفوجئت بعد الدراسة أنها تمنح التلاميذ مكافأة شهرية قدرها مائتان وخمسون ريالا (٢٥٠ريال) في المرحلة الابتدائية ، وخمسمائة ريال (٥٠٠ ريال) في المرحلة الإعدادية والثانوية ، وكان فرحي بالانتساب للمدرسة القرآنية كبيرا، وقد تخرج الحسن والحسين من مدارس تحفيظ القرآن الكريم، والتحقا بكلية أصول الدين بالقاهرة بعد ذلك

وقد أدى سكني بالعزيزية إلى بعد السكن عن المدارس الإعدادية للأولاد، وعن المدارس الثانوية للبنين والبنات، وهذا جعلني أوصل الأولاد في الصباح إلى مدارسهم، وأعيدهم إلى البيت بعد الظهر، وبخاصة أن مدرسة تحفيظ القرآن الكريم كانت بعيدة جدا، وكانت هي الوحيدة في مكة .

أعانني الله تعالى في كل أمر، فكنت أستيقظ في الصباح الباكر لصلاة الفجر في المسجد، والإشراف على إفطار الأولاد، وتجهيزهم للمدارس ، وتوصيلهم إليها بالسيارة ، وبعدها أعود للبيت وأتجهز لأعمال الكلية التي استمر فيها إلى ما بعد الظهر لأبدأ في إرجاع الأولاد إلى البيت ، ثم أذهب إلى كلية البنات لإحضار زوجتي بعد أن

أكون قد أوصلتها لعملها في الصباح .

لقد كانت حياة مليئة بالعمل، والمشاق ،إلا أنها كانت لذيذة الطعم، حلوة الأداء، أكرمني الله تعالى خلالها بالصحة الوافرة، والأداء الجيد ، والرفقة الصالحة، والانسجام التام مع المسئولين ، والمدرسين ، والطلاب في الكلية، وفي الجامعة .

وتمت هذه المرحلة بنجاح، وأتأملها اليوم فأعجب وأتساءل :

- **كيف تمكنت من كل هذه الأعباء ؟** ...، حيث كنت أشرف على الأولاد في البيت، أطعمهم، وأخدمهم، وألعب معهم، وأدرس لهم، وأشاركهم في أعمال علمية عديدة، وأقوم بتوصيلهم إلى مدارسهم ذهابا وعودة ...
- **وكيف وفقت بين هذه الأعمال وتوصيل زوجتي إلى كليتها،** والعودة منها ؟ .
- **وكيف قمت بأعمالي في الجامعة،** وأديتها على خير وجه، شكرني المسئولون عليها، وهي عديدة كما سيأتي .
- **وكيف أشرفت على أعمالي الاقتصادية في مصر وغيرها** وأنا مقيم بمكة وسط الأعباء والمهمات، والمسئوليات ؟ ..

الآن : لا أعرف كيف قمت بكل هذا .

والواقع يحتم علي الاعتراف اليقيني بأنه قدر الله تعالى ، فقد يسر الله أمامي الصعب ، وذلل لي السبيل، ووفقني لكل ما قمت به ﴿ وَرَبُّكَ

يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ ﴾ (١) .

وإن كان لي من دروس مع هذا الموضوع فهي :

الدرس الأول
الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله تعالى وطاعته في كل أمر ونهي أساس التوفيق والنجاح ، لأنه يضع الإنسان حيث هو، ويعرفه بحقيقته ، ومسئولياته مع الناس، ومع الله رب العالمين .

إن الإنسان لا يصنع لنفسه شيئا ، والله هو العليم الخبير .

لقد حذرني الكثير من الناس – القريبين مني والغرباء – من كثرة الأولاد، وتعللوا بأسباب عدة ، وقالوا لي ولزوجتي :

- أين المال الذي ستنفقونه عليهم وعلى تربيتهم ؟
- وأين الوقت الذي ستمكثونه معهم ؟
- وأين الجهد والصحة التي ستطيقونها في تربيتهم ؟
- ومتى تستريحون ؟ ، ومتى تبحثون ؟، ومتى تقومون بأعمال تتشدونها للمستقبل ؟

وكنت أقول لهم مع زوجتي: إني عبد لله تعالى، يسخرني كما يشاء، وكل ما أرجوه منه أن يوفقني لما يرضى ، ويهديني سواء السبيل، ويرزقني التقى والعفاف ، والغنى، ويسهل الصعب أمامي ، فهو على كل شيء قدير .

---

(١) سورة القصص الآية : ٦٨ .

أسلمت أمري لله تعالى، وكان سبحانه خير نصير ومعين، فقمت بعملي في الجامعة بصورة حسنة طيبة، وعلى خير وجه .

وخدمت أولادي في البيت خدمة تامة، وسعدت بإطعامهم، وتنظيفهم، وخدمتهم، وتعليمهم، واللعب معهم، ومصاحبتهم إلى البيت الحرام، والمساجد المجاورة .

وأخيرا أذكر ما قاله الذين حذروني من كثرة الأولاد، قالوا : **لو كنا نعلم النتيجة التي أنت فيها لأكثرنا الأولاد مثلك، .... ولكن قولهم كان بعد فوات الأوان .**

لقد ساعدني الله تعالى، فتخرج أولادي من الجامعة ذكورا وإناثا، وصاروا أسوة لغيرهم ، وفتح الله تعالى على الرجال بالعمل الناجح، والعقل الراجح في المجالات التي عملوا بها ، وهي عديدة ، وتمكن البنات من الحصول على درجة الدكتوراه ، وهن الآن أساتذة في كلية الدراسات الإسلامية ، ورحم الله أبنائي الذين سبقوني إلى الله تعالى وهم – أيمن ، وعبد الله، وإيمان – .

الدرس الثاني
الصحبة الطيبة

من الحكم الرائعة " اختيار الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق ، ومجالسة الصالحين، ومعايشة الأتقياء، لقول النبي ﷺ: **(إنما مثل الجليس الصالح ، والجليس السوء ، كحامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك: إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه**

ريحا طيبة ، ونافخ الكير : إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحا خبيثة ") (١) .

وقد عشت هذه الحقيقة في الرياض، ولم أجد صديقا مخلصا، فلما قدمت إلى مكة أقمت في منطقة العتيبية بمكة المكرمة، وأغلب المصريين يسكنون فيها، وبينهم زيارات كثيرة ، إلا أنهم يضيعون الوقت في القيل والقال، والحكايات التي لا تفيد شيئا، وهي بعيدة كل البعد عن قيم الخير والفضائل، فابتعدت عنهم، وانتقلت بعيدا إلى العزيزية ، وفضلت اختيار الأسر المتدينة لزيارتها، واختلاط أبنائي بأبنائهم، وكان هذا عملا طيبا ، فعاش الأولاد مع أبنائهم الذين تميزوا بحسن الخلق، وطيب السلوك، وتخلقوا بالصدق والأمانة، وحب الخير ، والمحافظة على الصلاة، والحرص على التفوق الدراسي والخلقي، والنظر إلى المستقبل بتفاؤل وأمل، وكان خُلق الآباء خير من أبنائهم، فمعارفهم الدينية عالية، ومعها العمل، فتعلمنا منهم .

ويشهد الله تعالى أن هذا الاختيار كان له أثر كبير في تربية الأولاد ، فما يسمعونه منا يرونه عند زملائهم ، وما كانوا يتصورونه صعبا رأوه سهلا ميسرا ، وما ظنوه مشقة وتعبا رأوه تكليفا واستقامة .

وكان للنسوة والبنات اجتماعهن، وللأولاد اجتماعهم، وللكبار اجتماعهم، وكلها مصبوغة بصبغة الحق، ومتطابقة مع شرع الله تعالى، ورأيت عمليا هدي رسول الله ﷺ وهو يقول : (**المسلم مرآة المسلم ،**

---

(١)صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين – حديث : ٤٨٦٨

فإذا رأى به شيئا فليأخذه) (١) ، وقوله ﷺ : **(المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)** (٢) ، وقوله ﷺ : **(لا تصاحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي)** (٣) .

لقد استفدت وزوجتي وأولادي من هذه الصحبة، وتخلصنا من الغيبة والنميمة التي كانت في العتيبية، وسرنا في الطريق المستقيم القائم على العلم السليم، والعمل السديد، والحمد لله رب العالمين .

إن التربية الصحيحة تحتاج إلى تعاون كافة عوامل التأثير، وتكاملها في اتجاه واحد، لأن هذا التكامل يشجع الصغار على الامتثال والطاعة، ويعودهم على السلوك القويم، ...

وقد أعانني الله تعالى ووفقني في اختيار الصحبة الفاضلة، وبذلك عاش الأبناء مع أصحابهم ، ورأوا منهم ما رأوه في البيت معي ومع أمهم ، وما سمعوه في المسجد، وما درسوه في المدرسة ، والفضل كله لله رب العالمين .

---

(١) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب الأدب، باب النهي عن عيب الناس - حديث : ٢٧٩١

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب البر والصلة، وأما حديث عبد الله بن عمرو - حديث : ٧٣٨٨ .

(٣) صحيح ابن حبان - كتاب البر والإحسان، باب الصحبة والمجالسة - حديث : ٥٥٥

الدرس الثالث
حُسن التنظيم والتخطيط

شعرت بكثرة المهام الموكولة إليَّ، ورغبت في أدائها كاملة غير منقوصة إرضاء لربي ﷻ، وأداء للواجب الذي جئت من أجله، ومحافظة على تنشئة أولادي تنشئة مقبولة ، وصيانة للأسرة كلها .

ورأيت ضرورة التنظيم داخل الأسرة لتتم الأعمال على وجهها .

فكلفت الكبار بأعمال معينة ، فواحد مسئول على حاجاتنا من المحلات المجاورة .

والثاني مسئول عن رمي الفضلات .

والثالث مسئول عن تنظيم الصالون والصالة .

والبنات مسئولات عن تنظيم أواني الطبخ ، وإدارة الغسالة ....

واخترت أعمالي في الجامعة لتبدأ من الساعة التاسعة صباحا ، وتنتهي عند الواحدة بعد الظهر، واختارت زوجتي عملها ليبدأ في التاسعة، وينتهي في الرابعة بعد الظهر، وكنت أقوم في الصباح لتجهيز الأولاد إلى المدارس، وأوصلهم إليها، وأوصل زوجتي إلى كليتها، وأذهب بعدها إلى عملي، ... وبعد الساعة الواحدة أذهب لإحضار الأولاد ، ثم أحضر زوجتي، ونعود للبيت .

وبعد الغذاء يكون العمل الذي يستمر إلى الساعة العاشرة ليلا .

وكنت أسأل الأولاد حين ذهابهم وعودتهم عن واجباتهم والدروس التي أخذوها ، ومدى فهمهم لها ، وأراجعها معهم في البيت .

وكنت أجمعهم حولي للمذاكرة ، وأشرح لهم واحدا واحدا ، وأراجع معهم كافة الدروس،.... وكانت زوجتي تشرح لهم اللغة الإنجليزية ، ... وظل الأمر على ذلك حتى حصلوا على الثانوية السعودية بتفوق واضح

ولم أحرم الأولاد من اللعب، فكنت أسمح لهم بساعتين يوميا يلعبون فيهما، ويوم الخميس كانوا يلعبون مع زملائهم في الشارع ، وفي يوم الجمعة كنا نذهب للتنزه في وادي عرفة بين أشجارها ، وساحاتها العديدة التي كانت تمتلئ بالأسر المكية – سعوديين وغيرهم، حيث تتحول وديان عرفة إلى ساحات واسعة فيها الملاعب، والمطاعم، والأسر، وتتحول إلى مدينة للسياحة والتنزه .

الدرس الرابع
التركيز الذهني

منذ صغري أعيش بخاصية متعني الله تعالى بها، وهي التركيز الذهني، بمعنى أن أي عمل أباشره كان يجمع شتات فكري، ويوحد كياني كله إزاء هذا العمل، ... فإذا كلفت بعمل أخلصت في أدائه ، ولم أفكر في غيره ، .... وحين أقوم بحفظ القرآن الكريم المقرر أجمع طاقتي مع الحفظ وأنسى ما عداه .

وكنت انتقل من حال إلى حال، ومن موقف إلى موقف بكياني كله ، وهذا ما أسميه "التركيز الذهني " أي إن تفكيري كان ينحصر في كل حالة تعتريني، وأعيش معها وحدها بلا عودة لفكر سابق ، أو تصور لفكر لاحق .

هذه الخاصية أراها اليوم في حياتي كلها ، بدءا من طفولتي ، ومرورا بشبابي وشيخوختي وكهولتي .

وأتصور أني استفدت من هذا التركيز ما يلي : -

أولاً : لم تقعدني المشاكل عن الحركة، فلقد كنت أعيش أحيانا مشكلات قاسية إلا أني لا أعيش معها ، وأنساها بعد انتهائها .

ثانياً: لم أتعامل مع من يخاصمني ويعتدي علي بعد انتهاء الخصومة، وكنت أنسى موقفه مني، وأتعامل معه كأن شيئا لم يكن، وأعطيه وآخذ منه بعيدا عن أي خلاف، وأحيانا أقاطعه تماما وأنساه .

ثالثاً: تعاملت مع كل موقف بما يناسبه عند حدوثه، وأتركه بعد انتهائه، ولا أفكر في خلفيات الموقف ، وسببه، وأثره .

وكان من أثر هذه الحالات أني لم أصنع خصومة مع أحد، ولم أسمح لخصومة أن توجد وتستمر بيني وبين غيري، ولم أغير معاملاتي مع الجميع .

لقد حرصت على التعاون مع الجميع رغم ما قابلني من خصومة ، وآلام .

إن الحياة مليئة بالمشاكل والعقبات، وقد صادفت كثيرا منها، وتجاوزتها، ولم أتخذ منها سببا للفشل، ولم أتصورها سدا يمنعني من المسير.

لقد قرأت في شبابي سيرة الزعماء المصريين وغيرهم ، وأعجبني من سيرتهم أنهم حولوا الهزائم إلى نصر، وكانوا كلما وقف أمامهم عائق

اجتازوه وتغلبوا عليه .

وعدت إلى سيرة رسول الله ﷺ ، وأصحابه الكرام ، وقد وضع الكفار أمامهم العوائق والعدوان لصرفهم عن دين الله تعالى ، إلا أنهم ازدادوا تمسكا بالإسلام، وتحملوا المشاق، ورضوا بالمتاعب، وعدوها طريقا إلى الجنة ، وصبروا حتى تحقق النصر والفوز، وكونوا أمة الخير في الدنيا ، وأمة السعداء في الآخرة .

لقد عشت مرحلة الطفولة نشيطا عاملا في مجالات عدة، وكنت في كل مجال متفوقا ، ورضيت بكل مجال عشت فيه .

فلما عشت مرحلة الشباب طالبا في الأزهر اشتد تعلقي بالتعليم، ولم أقف على أي صعوبة قابلتني .

ولما بدأت المرحلة الجامعية رضيت بكل ما وقع فيها، وتعاملت مع كل حالة بما يناسبها، تركت كلية دار العلوم فرضيت بكلية أصول الدين، واجتهدت فيها، ... جندت في الجيش، وقمت بواجباته، واجتهدت في المذاكرة ، ... قابلتني المشاكل الصادمة بعد التخرج، ولم يصيبني اليأس، أو يوقفني اعوجاج .

وهكذا

كنت أخلص في كل عمل، وأجعله أملي، وأنسى ما سبقه ، وأسال الله تعالى السداد والتوفيق .

وكان هذا حالي حين سكني في مكة ، فقد علمت قيمة التركيز الذهني لتحقيق العمل والأمل .

أذهب إلى الكلية ولا أرى في عقلي وجوارحي إلا الاجتهاد في العطاء، والإخلاص في الدروس والعمل .

وأعود إلى البيت فأرى حاجة الأولاد إلى الخدمة والمدارسة ، فأعيش معهم وكأني غير مسئول عن شيء آخر .

وقد اختلف مع زوجتي أحيانا إلا أن الأمر لا يستغرق إلا لحظات لأستأنف الواجب الذي ألزمت نفسي به بعيدا عن أي خلاف، ناسيا كل ما كان.

لقد خصصت من وقتي فترة لاستماع الأخبار من الراديو، ومتابعة الأسواق المالية التي كنت أشترك فيها ، ولم يحدث أن شغلني هذا الوقت وأحداثه عن المهام الأخرى .

إن هذا التركيز الذهني نعمة من الله تعالى وهبها لي ، فمكنني من أعمال عديدة متعارضة أحيانا، ومع ذلك كنت أوفيها حقها وأنجح فيها .

وقد أحببت ذكر هذه النعمة التي رزقني الله إياها، ومتعني بها لبيان سبب قيامي بأعمال عديدة في وقت قصير ، واستمراري في العمل بلا توقف ، ورغبتي الدائمة في القيام بالعمل .

لقد ساعدني التركيز الذهني على أن أبيت كل ليلة بقلب خلا من مخاصمة أحد ، وأن أحدد لكل عمل غاية ، وأن أبدا أي عمل ولو لم يكن له صلة بعمل سبقه .

ولهذا أوصي بما يلي : -

١- **لا تجعل مشاكل الحياة تسيطر عليك** حتى لا تقعدك عن العمل

٢- **لكل عمل غاية وأمل،** فإن لم تصل للغاية مرة ، ولم تحقق الأمل في عمل ما فانتقل سريعا إلى عمل جديد عساك توفق فيه .

٣- **تفاءل في الغد** وتوقع أنه خير من أمسك ويومك .

٤- **ركز في أي عمل** ، وأقبل عليه بكل طاقاتك، لأن العمل الجيد لا يتم بنصف مجهود، ولا بجزء من الحركة .

٥- **الناس جميعا إخوة فتسامح معهم** ، واستعن بهم، واتخذهم أصدقاء لك، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

٦- **عش في حدود يومك** ولا تجعل أخطاء الأمس معوقا لك ، ولا تهمل اليوم أملا في نشاط يأتيك في الغد .

٧- **تاريخ الإنسان أعمال متراكمة، ومتتابعة** ، فحاول أن تصنع لنفسك تاريخا يسرك ، ويسر ذريتك من بعدك .

٨- **أد ما عليك لله، وثق أنه معك،** وتوكل على الله في كل أعمالك وجهودك .

القضية الثانية
العمل في الجامعة

أكرمني الله تعالى بالعمل في مكة المكرمة بفرع جامعة الملك عبد العزيز بمكة، واستلمت العمل بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية التابع لكلية الشريعة، واستقبلني رئيس القسم الشيخ / محمد الغزالي، ونائبه الشيخ / محمد القاسمي استقبالا طيبا ، وقدروا لي العمل الذي كنت فيه بالقاهرة، وعزمت على حسن الأداء، وكسب ثقة المسئولين ، فضاعفت الجهد، وأديت ما كلفوني به، ولم يمض وقت طويل حتى رجع فضيلة الشيخ / محمد الغزالي إلى مصر ، وتولى رئاسة القسم الشيخ / محمد القاسمي، وكان خير خلف لخير سلف ، فأشركني معه في تنظيم الجداول، وتوزيع المهام في القسم ، وأخذ رأيي في المناهج ، ومختلف موضوعات القسم، وصارت الأمور بفضل الله تعالى كما أتمنى وأرجو .

وحاولت كسب ود كل أعضاء القسم وموظفيه، وتجنبت كافة الصراعات الخفية التي شعرت بها بين الأعضاء لمصالح شخصية .

وقدر الله لي حسن الأداء، وحسن العمل، وحسن التعامل مع الجميع حتى وثقوا في إلى حد كبير .

وصدر قرار ملكي باستقلال فرع الجامعة بمكة المكرمة ليكون جامعة مستقلة هي جامعة " **أم القرى** " ومع هذا الاستقلال نشأت كليات جديدة منها " كلية أصول الدين والدعوة " ، وانتقلت الأقسام الخاصة بكلية أصول الدين إليها من كلية الشريعة، ولذا أصبح قسم الدعوة والثقافة الإسلامية تابعا للكلية الجديدة .

وأصابني من هذا التغيير أمران :

الأمـر الأول : أصـدر مـدير الجامعـة قـرارا بتعيينـي عضـوا بمجلـس كليـة أصـول الـدين الجديـدة، لأشـارك فـي مرحلـة تأسـيس الكليـة اسـتفادة بخبرتي في كلية أصول الدين بالقاهرة .

الأمـر الثـاني: رأى المسـئولون فـي الجامعـة إنشـاء قسـم للإعـلام الإسـلامي فـي كليـة أصـول الـدين ، وعينـوني رئيسـا لـه ، وبينـوا أن سـبب وضـع هـذا القسـم فـي كليـة أصـول الـدين رغبـتهم فـي تخـريج رجـل إعـلام مسلم يحوي في عقله علوم القرآن، والحديث، والفكر الإسـلامي ، لينطلق بهـا إلـى الجمهـور فـي رسـائله الإعلاميـة الممزوجـة بـالفكر الإسـلامي الخالص ، وبخاصـة أنهم رأوا الإعلاميين المشـهورين ضـعفاء فـي العلوم الإسلامية ، وأوكلوا الأمر إليَّ لوضـع العلوم والمنـاهج التـي تخرج رجل الإعلام المسلم المتقن لعلوم الإسلام ، وعلوم الإعلام في وقت واحد .

وشكرت الله تعالى على هذه الثقة، واستأذنت وحضرت إلى القاهرة في فترة معرض الكتاب، وقمت باقتناء كافة المؤلفات التي عثرت عليها المتصلة بالإعلام بكافة فروعه وتخصصاته، ... وعثرت على كتاب لـه قيمتـه، وهـو كتـاب يضـم أبحـاث مؤتمر الإعـلام الـذي عقد بـالخرطوم ، ويحـوي منـاهج، ومقـررات أقسـام الإعـلام فـي الـبلاد العربيـة ، وعـددها عشرون قسما ، فكان كل ذلك زادا وفيرا للعمل.

وعكفـت علـى القـراءة فـي الكتـب التـي أحضـرتها معـي، واسـتفدت منهـا فـي اختيـار المـواد المطلوبـة، وفصـلت مناهجهـا، ووضـعت تصـورا

شاملا لمناهج القسم ليحقق مقاصد المسئولين من إنشائه تابعا لكلية أصول الدين .

وفصلت مناهج الدراسة، ومقررات القسم ، وجعلتها تتضمن :

١- **متطلبات الجامعة،** وهي اللغة العربية، والثقافة الإسلامية، واللغة الإنجليزية .

٢- **متطلبات الكلية،** وتشمل مناهج الدعوة، وتفسير الدعوة، وأحاديث الدعوة، والفكر الإسلامي، والعقيدة الإسلامية ، والرد على الشبه الموجهة للإسلام .

٣- **متطلبات القسم** ، وقسمتها إلى ثلاثة فروع وهي :

- **الفرع الأول** : الإذاعة والتليفزيون .
- **الفرع الثاني** : الصحافة .
- **الفرع الثالث** : العلاقات العامة .

وجعلت لكل فرع ما يناسبه من علوم الإعلام ومقرراته ، وعرضت تصوراتي على عميد الكلية، فحولها إلى مجلس الكلية فوافق عليها.

واقترحت تعيين عدد من المدرسين، والمحاضرين، فوافق عميد الكلية، وقام بانتداب مدرسين للمواد المقترحة في الأفرع الثلاثة المذكورة، وقد أوكلت شئون كل فرع إلى أقدم متخصص فيه .

وظللت أعمل رئيسا للقسم أربع سنوات، كنت أقدم خلالها برنامجا أسبوعيا في "**إذاعة نداء الإسلام**" الذي كان يذاع من إذاعة جدة أسمه "**مع الشباب**" ، وكان يسجل في مقر الإذاعة بمكة المكرمة .

واصطحبت طلاب القسم لزيارة دور الصحافة بمكة، وجدة لمشاهدة طرق جمع الأنباء من الوكالات المختلفة، واختيار الموضوعات، وكتابة العناوين التي يمر بها الخبر حتى يطبع للناس، .... وزرنا كذلك إذاعة وتلفيزيون مكة، وجدة ، ودمت أؤدي واجبي في رئاسة القسم حتى تعين له زميل سعودي كريم أقر المناهج والمواد في القسم على ما هي عليه، واستمرت عليها الدراسة إلى أن انتقل القسم كله بعد مدة إلى كلية التربية عند مغادرتي مكة إلى مصر.

والحمد الله على إعانتي في كل ما قمت به من عمل على كثرته، وتشعبه، وتنوع تخصصاته، فلقد ساعدني الله تعالى في تأسيس قسم للإعلام، ولم أتخصص فيه، ووافق على عملي المتخصصون ، ... وناقشت رسائل علمية عديدة في تخصص التفسير ، والحديث، والدعوة، وشهد العلماء بجدارتي في المناقشة ، .... **وهنا أوصي بما يلي :** -

١- **ضرورة أن يقف الإنسان عند حدود طاقته،** وقدراته، فهو أعرف بنفسه من غيره، ولا يتصدى لعمل يعجز عن الوفاء به .

٢- **العلم بالتعلم، والتخصص يتم بالدراسة،** والبحث لا يقف عند حد، وعلى من يريد علما ما أن يقرا ويتعلم ليعلم ويعرف في أي تخصص .

٣- **الإخلاص والصدق ينشر الثقة** ، والرضى عند الآخرين ، وهو الطريق الجيد للتواصل والتعاون .

٤- **طاقات الإنسان عديدة،** والعقلاء هم من يستفيدون بها، ويعملون على تنميتها بالطريقة العلمية الصحيحة .

سألت الدكتور/ أحمد محرم رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بأسيوط ، وقد ناقشته في رسالة الدكتوراه بعدما أخبرني بأنه يسمع المناقشة المسجلة عنده صيف كل عام ، قلت له : ما رأيك في مناقشتي لك وأنت اليوم رئيس قسم الحديث ؟ ...

قال لي : إنها مناقشة عالم في الحديث حقا .

وقد ختمت عملي في مكة بجهد مع الإخوة في المحافظة على قسم الدعوة والثقافة بعد أن خطط البعض لإلغائه وتلك قضية سأفردها بالحديث .

القضية الثالثة
المسار الاقتصادي

الإعـارة إلــى الجامعـات العربيـة والأجنبيـة منحـة مـن الجامعـات المصرية لأعضاء هيئة التدريس بعد قضاء مدة معينة من التدريس في مصر، والهدف من الإعارة في جامعة الأزهر والجامعات الأخرى نشر العلـوم الإسـلامية، والعربيـة فـي العـالم الإسـلامي، ومكافـأة المعـارين بالمرتبات الكبيرة التي يتقاضونها أثناء الإعارة .

وقد حرص أساتذة الجامعات المصرية على الإعارة لتحسين وضعهم المـادي، حتـى يعيشـوا بعـد انتهـاء الإعـارة أعـزة كرمـاء بـين غيـرهم مـن طوائف المجتمع بما رزقهم الله تعالى من الإعارة .

وكنت واحدا من هؤلاء المعارين، وكان علـى رأس اهتماماتي الكسب المـادي الـذي أفـاء الله تعـالى علـي منـه الكثيـر، وأخلصـت فـي العمـل ليكون مالا حلالا طيبا .

أتقنـت مـا وكـل إلـي مـن عمـل، وكان هذا سببا في تكليفي بأعمال عديدة لها مكافآت كثيرة .

حافظـت علــى المحاضــرات إعـدادا، وإلقـاء، ووقتـا، وأخـذت أوجـه الطلاب ، وأنصحهم خلال الإرشاد الأكاديمي.

وكنت أقوم بعمل ما أكلف به من رئيس القسم الشيخ / محمد القاسمي، وعميد الكلية الدكتور / عبد العزيز الحميدي ، فنشأت علاقة طيبة معهم

نـاقشــت العديــد مــن رســائل الـدكتوراه، والماجسـتير فـي الـدعوة، والتفسير، والحديث .

شاركت في تأسيس كلية أصول الدين والدعوة عند بدايتها .

أنشأت قسم الإعلام الإسلامي بعد تكليفي برئاسته .

واظبت على تقديم برنامج " **مع الشباب**" من إذاعة نداء الإسلام المذاع من جدة .

ولم يغب الكسب المادي عن كل هذه الأعمال، فقد حصلت على كل ما قررته الجامعة، والإذاعة لي من مكافآت .

وأحب أن أوضح أن الله ﷻ بارك لي فيما أعطى، وضاعف لي ما حصلت عليه مع أني لم أبخل في نفقة ، ولم أقصر في واجب، فقد بسط الله تعالى في رزقي بسطا واسعا والحمد لله وحده ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾(١) .

ولابد أن أقر هنا بفضل الله تعالى ، وأعترف بلمسات قدر الله ﷻ في مساراتي المالية ، حيث جعلتني المقادير أسلك الطرق الناجحة، وأبتعد عن أي خسارة مادية ، ...

وهنا

أسأل الله تعالى أن يديم علي فضله، وأن يعمني برحمته لتشمل أموالي، وأحوالي، وأقوالي، وأعمالي، ودنياي ، وآخرتي، وذاتي، وأهلي ، وأبنائي، وذريتي،...

وإن كان لي من نصيحة لأولادي فإني أقول لهم ما قاله النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما وهو ينصحه، قال له : **(يا غلام، إني معلمك كلمات:**

---

(١) سورة الرعد الآية : ٢٦ .

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف) (١).

لم أكن في مساري الاقتصادي الخبير الواعي، أو العالم المدقق، ولكني كنت العبد المسلم، المعتمد على الله تعالى، الملتجئ إليه ، الفقير إلى عطائه، الدائم الطلب منه، وكان ﷻ خير مسئول، وأعظم مجيب .

رزقني الله تعالى أموالا كثيرة ، وفتح لي أبواب البركة، ووفقني لكل حلال مشروع .

وحين استرجع المسار الاقتصادي الذي عشته أثناء العمل في جامعة أم القرى يتضح فضل الله علي بجلاء.

وأهم ملامح هذا المسار ما يلي : -

ـ أولاً ـ
التنمية العقارية

كنت أتممت شراء قطعتي أرض في المنطقة السادسة بمدينة نصر من نتاج الإعارة الأولى، وانتهيت من بناء نصف الدور الأرضي في أرض أحمد الصاوي، فلما أعرت إلى مكة أخذت أكمل بناء ما بدأت فيه بواسطة رجال وثقت فيهم ، وكنت أنزل إلى مصر أربع مرات في السنة للمتابعة ، فتم البناء، وبعد ذلك قمت ببناء أرض توفيق البكري

---

(١) مسند أحمد بن حنبل - ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس - حديث : ٢٥٧٢

بنفس طريقة بناء القطعة الأولى، والحمد الله فقد تم البناء وصرت أملك وزوجتي هاتين العمارتين بعد أن كلفني البعد عن العمل خسائر كثيرة من العاملين فيه.

وبعد ذلك قمت بشراء قطعتي أرض في شارع حافظ رمضان ، والشيخ/ حسن مأمون وسط قدرة الله ورحمته ، فقد أنقذني شراؤهما من خسارة كبيرة في شركة الأجهوري للاستثمار العقاري .

ـ ثانياً ـ

الاستثمار في شركة الأجهوري

ظهر ونحن في مكة شركة اسمها " شركة الأجهوري للاستثمار العقاري " وكانت تحصل على أموال المشتركين ، وتعلن أرباحها أسبوعيا بما يساوي ٢% (اثنين في المائة) من قيمتها تقريبا، وتزيد عن هذه النسبة أحيانا وتنقص أحيانا أخرى، ومعنى هذا أنها تحقق عائدا سنويا يقترب من رأس المال المستثمر .

أقبل المستثمرون على المساهمة في هذه الشركة، وكنت واحدا منهم، وجمعت الشركة أموالا كثيرة ، وحرص المستثمرون على زيادة استثماراتهم بها لدرجة أن البعض كان يقترض من غيره ليزيد استثماراته بها ، ولم يفكر أحد في خسارة الشركة، أو القضاء عليها .

ونزلت القاهرة في أحد الأجازات، وجازفت بشراء قطعتي أرض بشارعي حافظ رمضان، وحسن مأمون ، ولم يكن معي كل الثمن ، فدفعت مقدمات الشراء على أن أسدد الثمن كله بعد شهر واحد.

وعدت إلى مكة، ولم يكن أمامي إلا سحب استثماراتي من شركة

الأجهوري، فلازمت مقر الشركة كل أوقات فراغي لاسترجع أموالي وأرباحها، وكان الموظفون يعطون لي ما يحصلون عليه من الناس، واستلمت رأس مالي الذي دفعته، ونصف أرباحه تقريبا، وتوقفت الشركة عن دفع الباقي لي لصدور قرار بحلها، وكان قرارا مفاجئا ضيع على المستثمرين أموالهم ، وقد أصاب أكثرهم المرض، والحزن، والضيق، ولكني بحمد الله تعالى سحبت أكثر أموالي لأسدد ثمن الأرض التي اشتريتها، ولم يبق لي في الشركة إلا جزء من الأرباح .

وهكذا

اشتريت الأرض، وحافظت على أموالي بما قدر الله لي من رحمته وعونه، ... وما بقى لي في شركة الأجهوري فهو جزء من الأرباح التي يسهل على نسيانها، والحمد لله رب العالمين .

وقبل نزولي من مكة بدأت في بناء عمارة شارع حافظ رمضان ، وهي المسماه بـ" عمارة النصر" وقد اشرف على بنائها زوج ابنتي منال وهو المهندس/ أمان لاشين ، مع ابني محمد وهو يدرس في كلية الطب

وبدأت في بيع شقق العمارتين الأوليين، والاستفادة بثمنهما في بناء عمارة النصر، وقمت بشراء قطعة أرض في المنطقة التاسعة بشارع مصطفى النحاس، كما قمت بشراء أرض زراعية بجوار بلدي "منية مسير " قدرها ثمانون فدان في حوض قرية ٥٦ ، وثلاثون فدانا من جمعية مكسيكو الزراعية مجاورة لمصنع السكر بالحامول .

ـ ثالثاً ـ
الاستثمار في التجارة

حاولت إشراك أولادي في التجارة مع آخرين لكسب مهارات معينة، والاعتماد على أعمال حرة ، وأوصيتهم بضرورة الإيمان بالله تعالى ، وملازمة حدوده، وشريعته في كل عمل، واتفقت مع صاحب محل كبير للتجارة " سوبر ماركت " لمشاركته ، إلا أني بعد أسبوع من العمل معه قررت الانسحاب من هذا العمل بعدما رأيت العمل يشغل أولادي إلى ما بعد منتصف الليل، ورأيت أن ضرره أكثر من نفعه ، لأنه سيحول أبنائي إلى عمال في محل كبير، ....

والحمد لله على هذا القرار ، فقد أبعدت أبنائي عن الضياع، ونجاني الله تعالى بهذا الانسحاب من خسارة كبيرة محققة فقد ظهر بعد ذلك بوقت قصير أن صاحب المحل نصاب كبير قد اقترض من البنوك أموالا كثيرة بضمان المحل .

واتجه الأولاد بعد ذلك إلى تجارات بسيطة من خلال معاملاتهم في البناء، وبيع الشقق السكنية

وتمكن "محمود" من تأسيس نادي رياضي عرف بنادي "هيرو جيم"، وبرغم تعرضه لسرقة الإيراد فإنه كان سببا ليتعارف الأولاد على أعمال تجارية عديدة استفادوا منها .

ـ رابعاً ـ
الاستثمار في الأسهم

بعدما سحبت أغلب أموالي من شركة الأجهوري، وإتمام شراء الأرض أحببت الاشتراك في الأسهم العالمية عن طريق البنك الأهلي التجاري السعودي وذلك بشراء أسهم بسعر معين قابل للنقص والزيادة بناء على المشروعات التي يوضع فيها ، فهو لون من المضاربة مع الجهة القائمة بالاستثمار ، فهي تستلم مني المال، وتعمل به، وتحيطني بحركته زيادة ونقصانا بعد كل مدة بعد خصم مصاريف الإدارة .

قمت بشراء مائة سهم باسمي، وخمسين سهما باسم زوجتي من بورصة "داوجونز" الأمريكية ، وكانت قيمة كل سهم ألف دولار ، ولم يدم هذا الأمر طويلا ، فقد حان موعد نزولي إلى مصر ، وانتهاء عملي بمكة المكرمة، وكان لابد من سحب هذا الاستثمار لأنه للسعوديين والمقيمين فقط ، وغيرهم لا يصرح له بذلك ... فاضطررت إلى إنهاء هذا الاستثمار، وسحبت أموالي وأموال زوجتي من البنك كاملة ، وقد تضاعفت في خمس سنوات ثلاث مرات تقريبا، ونزلت بها شيكا صرفته وزوجتي من البنك الأهلي المصري بالقاهرة ، وسلمناه لولدنا محمد للعمل به .

والحمد لله رب العالمين على ما قدر لنا وقضى ، فقد اضطربت بورصة " داوجونز" بعد انسحابنا بوقت قصير، وفقدت الأسهم نصفها تقريبا ، ونجانا الله ﷻ بذلك من خسارة كبيرة .

والحمد لله فقد حمانا بقدرته، وكتب لنا التوفيق في كل ما قضى به، والله خير الرازقين .

وعدنا إلى القاهرة ببركات الله ، ومعونته ، ويكفي أن الخسارة التي كانت ستلحق بنا لولم نعد في هذا الوقت تعادل مرتب ثلاث سنوات .

ألم أقل ؟

أنه الله الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .

وألم أقرر ؟

ضرورة الإيمان بالله تعالى، وطاعته، والتسليم لقضائه وقدره ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤ ﴾ (١)

---

(١) سورة يوسف الآية : ٦٤ .

القضية الخامسة
حماية كلية أصول الدين وقسم الدعوة
في مكة المكرمة

قبل نزولي من مكة بعامين تقريبا كنت أرى في المنام ما أعبره بأني سأقوم بعمل ما قبل نزولي من مكة يماثل عملا قمت به قبل مجيئي إليها ، ولم أتمكن من تحديده ومعرفته ، وكنت أتصوره عملا شخصيا ، أو قليل الأثر ، إلا أن الأيام أثبتت أهميته ، وخطورته .

فلقد تغيرت إدارة جامعة أم القرى، وتولى أمرها مدير جديد ، له فكره ومنهجه الذي عمل له بصورة سرية وسريعة ، ذلك أنه رأى إدماج كلية أصول الدين والدعوة في كلية الشريعة تحت مسمى حديث يشملهما وهو "كلية الدراسات الإسلامية" على أن يلغي بذلك قسمي القرآن الكريم، والدعوة والثقافة، ويوكل تدريسهما إلى كل كلية تختار من آيات القرآن الكريم وموضوعات الثقافة ما يناسب علومها، وطلبتها... وشكل لتوجهه هذا لجانا قررت ما أراد، ورفعت قراراتها مكتوبة إلى مدير الجامعة، وكاد الأمر أن يتم بليل ، وأعضاء قسم الدعوة لا يدرون بشيء .

وفوجئت ذات يوم ببعض الإخوة السعوديين العاملين في قسم الدعوة يأتون إلي ومعهم القرارات التي اتخذتها هذه اللجان الخاصة بإدماج كلية أصول الدين في كلية الشريعة، وإلغاء قسم الدعوة والثقافة الإسلامية على النحو المذكور.

وتناقشنا في الأمر، ووقفنا على خطورته، واتفقنا على ضرورة التصدي له ، ومحاولة إبطاله بالطرق السلمية .

ومن جميل القدر وحكمة الله تعالى أن القسم قد دعى للاجتماع في اليوم التالي للموافقة على نقل قريب لمدير الجامعة من قسم النظم الإسلامية الموجود بكلية الشريعة إلى قسم الدعوة بكلية أصول الدين ليتولى رئاسة القسم، فهو أستاذ، وقريب لمدير الجامعة، وسيكون عونه في خطته الجديدة.

وهنا كانت الفرصة لإثارة الموضوع ، وإيصال القرارات التي اتخذتها اللجان السرية بصورة سريعة إلى أعضاء القسم بطريقة غير معلومة لأحد ، ... وذهب أعضاء القسم إلى الاجتماع فوجد كل واحد على مكتبه صورة من القرارات، وذهبت إلى الاجتماع متأخرا عن الزملاء، وتظاهرت بالمفاجأة مثلهم ، وهاجت خواطرنا، ووقفنا على حدود هذه المؤامرة .

وبدا الاجتماع بمناقشة موضوع القرارات التي عارضها الجميع، وتناقشوا في مواجهتها باقتراحات عدة .

منها الكتابة لعميد الكلية.

ومنها مقابلة رئيس الجامعة .

ومنها الاعتصام في القسم .

إلا أن اقتراحا رجح وهو أن يبدي الأعضاء جميعا آراءهم ، وتكتب مذكرة تحتوي على جميع الآراء ، ونرفعها إلى عدد من المسئولين .

وكلفوني بكتابة هذه المذكرة على أن تكون شاملة لكل ما قيل في المجلس، فطلبت منهم تسجيل هذا بمحضر الاجتماع الرسمي ، فسجلوه

وأخذت في إعداد المذكرة التي كلفت بها .

ولما ناقش الأعضاء الموضوع الثاني وهو الذي اجتمعوا له ، وهو الموافقة على نقل أستاذ من قسم النظم إلى قسم الدعوة رفض الأعضاء بالإجماع الموافقة لعدم حاجة القسم إليه ، وبُعْد تخصصه عن تخصص القسم، وتعجب البعض من الرغبة في زيادة أعضاء القسم في الوقت الذي يعملون على إلغائه، وكان للموضوع الأول أثر على الموضوع الثاني .

كتبت المذكرة، ووقع عليها أغلب أعضاء القسم ، وسلمتها لرئيس القسم، فسلمها بدوره إلى عميد الكلية، فوضعها العميد في مكتبه ، وكتم أمرها، ولا أدري أكان ذلك قرارا منه أم من جهات أخرى ؟

ولم يقف الأمر عند كتابة المذكرة ، وتسليمها لعميد الكلية ، بل صورها الأخوة السعوديون وأوصلوها إلى جهات عديدة، منها الديوان الملكي، وديوان ولي العهد، والمفتي، وأمير مكة، ووزارة التعليم العالي ، فزاد الضجيج، وتحولت الجامعة إلى معركة حامية حول هذا الموضوع .

وكلف مدير الجامعة مدير الشئون الإدارية بالتحقيق معي، ومطالبتي بالبعد عن هذا الموضوع ، واتهمني بأني الفاعل فيه ، فأخبرته بأني أعمل بتوجيهات القسم، لأن المذكرة نتاج الأعضاء ، وكتابتها أمر منهم وأنا معهم وقد كتبت المذكرة نيابة عنهم ، وليس لي صلة بالجهات التي وصلت إليها المذكرة .

وحقق معي عميد الكلية ، وطلب مني البعد عن هذا الأمر، وتركه للسعوديين ، فقلت له : إني جئت لخدمة الدعوة ، ولست مرتزقا، وعملي كله في إطار قسم الدعوة الذي لا أستطيع مخالفته .

فلما سألني العميد عن السبب الذي جعلني أشارك في هذه القضية، وقد سكت عن الخوض فيها كل المتعاقدين غيري ؟

قلت له : أنا حر في الإطار العلمي والقانوني الذي حضرت له من مصر ....

قال لي : أنت لست حرا في نظامنا ، وأقسامنا، ...

فتركته، وقلت له : إن حريتي هي حياتي، وأنا متمسك بها رغم أنفك وأنف من يسلطك علي ، .... وتركته .

فتواصل مع مدير الجامعة وقررا إلغاء عقدي مع الجامعة، وكان في قرارهم الخير لي حين قمت بسحب استثماراتي في " داوجونز" على نحو ما سبق ذكره ، ....

وأخذت أعمل للرحيل من مكة وأنا حزين على فراق البلد الأمين، إلا أن الله تعالى أكرمني قبل الرحيل، وسر قلبي بصدور قرار ملكي بفصل مدير الجامعة للمصلحة العامة، وعزل عميد الكلية من العمادة، وقصر دوامه في الجامعة على مركز البحث العلمي، وعدم تمكينه من التدريس والإشراف على الرسائل العلمية، وتولى أمر الجامعة من حافظ على نظامها القديم .

وهنا

أدركت العمل الهام الذي كنت أتوقعه من رؤياي وأحلامي وهو **المحافظة على قسم الدعوة في مكة كما أعانني الله تعالى على المحافظة على كلية الدعوة بالقاهرة**، وقلت لنفسي : ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ (١)

وانتهت رحلة العمل في مكة، وعدت بعدها إلى القاهرة بعد مدة طويلة امتدت اثنين وعشرين عاما، تمثل مرحلة صاخبة لي ولزوجتي وللأسرة كلها.

---

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٠ .

القضية السادسة
الحياة في مكة المكرمة

عشت في مكة المكرمة اثنين وعشرين عاما متصلة، تغيرت فيها أحوالي كلها، فلقد ذهبت إليها بأطفال صغار، فزاد عددهم، وحصلوا على الثانوية منها، وبعدها حصلوا على الثانوية الأزهرية من مصر للالتحاق بكليات جامعة الأزهر، وانتسبوا للجامعات في مصر، ... وبارك الله لي في العمل، وساهمت في تخريج عشرين دفعة من قسم الدعوة الإسلامية من كلية أصول الدين بمكة المكرمة .

وتواصلت مع عديد من الأسر، وبارك الله لي في صحتي، وزوجتي وأولادي، وأحاطنا برحمته وعونه، وتوفيقه، وعشت مدة طويلة في مكة خرجت منها بالدروس التالية : -

الدرس الأول
أهمية البيئة في التنشئة
وتحقيق الأمل

أكرمني الله تعالى بالحياة في مكة، فسكنت في حرم الله تعالى، ورزقني الله الأولاد، ويسر العمل، وبارك في الرزق، وهيأ لي صحبة طيبة، وتوافقا مع جميع من عملت وتعاملت معهم من السعوديين ومن غيرهم داخل الجامعة وخارجها .

وعشت البيئة وقد تكاملت معي، ففي البيت سعة، ومع العمل أمن، ومع الأصحاب تعاون ومودة، ومع الشارع والطريق سلوك قويم، وشرع مطبق .

وقد أدى هذا التكامل إلى عدة اتجاهات قدرها الله لي ... ومنها : -

١- **راعيت أولادي بيسر وسهولة**، وكنت أشتري لهم كل ما يطلبون وكل ما يحتاجون إليه بلا سؤال عن ثمنه، ولا شكوى من غلائه

وكان إذا أصيب أحدهم بمكروه أسرع به إلى المستشفى القريب مني، وبه كافة التخصصات، والأطباء الممتازون ، والعلاج الشامل والمجاني .

ولا أنسى يوم أن مرض ابني " عبد الرحمن " وفقد وعيه ، وظننته قد مات ، وأسرعت به إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي، وجلس بجانبه أخوه " محمد" وأخذ يبكي، فقلت له : ما يبكي يا محمد ؟ ...

قال : أبكي لأخي الذي بدأ يلعب معي، ... وأين من يقوم مقامه بعد موته ؟ ...

ولما ذهبت به إلى المستشفى وضعه الأطباء في العناية المركزة فبقى فيها إلى أن شفاه الله تعالى .

وكانت زوجتي إذا جاءها المخاض أذهب بها إلى مستشفى الولادة، وأتركها حتى تلد، وأعود بها ووليدها بلا أجر ولا تكلفة .

وكان إذا وصل الولد إلى سن خمس سنوات أدخله المدرسة الابتدائية المجاورة للبيت في كل مكان بمساعدة بعض الإخوة السعوديين ، فأجد اهتماما بالدراسة حيث الإدارة الحازمة، والمدرسون الجيدون ، والرعاية التربوية من خلال الأنشطة المختلفة بلا نفقة من أولياء الأمور ، فمرتبات المدرسين مرتفعة ، .... وكانت المناهج سهلة،

والكتب فاخرة الطباعة ، والتنسيق بين التفكير العقلي، والجهد البدني واضح، وكان التلميذ يتقن القراءة والكتابة بعد سنة واحدة .

وكان الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم، والتوجيه الديني من أساسيات الحياة في مكة، فالمقرأة في كل مسجد، والتحفيظ في جميع سنوات الدراسة ، والثقافة الإسلامية مادة أساسية في كل مراحل التعليم.

ولهذا

كان من السهل رعاية الأولاد في البيت، ومراجعة الدروس معهم، وإعدادهم لليوم التالي .

وعشت عمليا فوائد التكامل البيئي في التنشئة، وسهولة النجاح، وأيدت ما ذهب إليه المربون من ضرورة تعاون أجهزة التوجيه ، وتكوين الرأي العام، لينعكس هذا التكامل في تكوين الفرد، وشخصية الجماعة .

إن التكامل البيئي يوحد الهدف مع تعدد الوسائل التي يؤكد بعضها بعضا ... ولك أن تتصور طفلا ينشا في بيئة متكاملة ، ومدى الحسن الذي يتحقق له .

إن تنشئة إنسان يشبه إنشاء عمارة شاهقة ، لابد لها من آليات، ومهندسين، وعمال، ومواد، ... وعلى مجموعها يتم البناء .

إن الآباء يتحملون مسئولية التكوين الرئيسي للولد، وإحاطته بالحب والحنان، والرعاية، ... ومعهم يكون دور المسجد، والمدرسة، والأصحاب، وبتحقيق التكامل بين هذه الجوانب ينمو الزرع ، ويعلو البناء، ويحيا الإنسان آمنا، مستقرا، عالما .

وأكبر ما يشكو منه المربون اليوم هو تناقض المؤثرات البيئية ، لأن بعضها يهدم البعض الآخر ، فما يبنيه الوالدان تهدمه المدرسة، وما يقيمه المسجد يهدمه الأصحاب، ... وما ينشئه الخير يأكله الفساد.

والحمد لله فقد حرصت على هذه المسألة في تكوين أولادي، فنشأوا نشأة صالحة، وحفظوا القرآن الكريم، وتعودوا الرجولة والاعتماد على النفس .

فإن قيل : ما يردده البعض من أن المجتمع السعودي لا يخلو من فساد ومخالفة لدين الله تعالى، فكيف تدعي التكامل في هذا المجتمع ؟

أقول : إني أتحدث عن البيئة الظاهرة في المدرسة، والمسجد، والشارع، والحركة العامة، وكلها منضبطة بشرع الله تعالى، فأهل الحسبة في كل سوق، والمحلات تغلق في أوقات الصلاة ، ولا ترى أبدا امرأة سافرة ، وأخذ الفساد يستتر ويتخفى، يقوم به من يرغبه بعيدا عن أعين السلطة والمسئولين، ومن لا يبحث عنه لا يعرفه، ولا يراه ، ... وعني كنت نهارا في عملي، وبعد العمل كنت في بيتي، ... وليس لي في البيت إلا نفسي ، وزوجتي، وأولادي، ... وهذا ما أقصده بالتكامل البيئي ، ولا ظهور لفساد في حياة الناس .

لقد كانت المدرسة الإعدادية للبنات مجاورة للسكن، وبيني وبينها مائة وخمسين مترا، ... وكانت المدرسة تطلب من كل بنت تحديد مكان السكن، ووسيلة مجيئها إلى المدرسة، ورجوعها إلى البيت حفظا للأخلاق، وخوفا من أي إخلال يقع من البنت حين حضورها، ورواحها،

فـأخبرتهم ابنتــي منــال بــأن الســكن مجــاور للمدرســة، وأن حضــورها ورجوعها سيكون سيرا على قدميها ، فأخذت المراقبات يراقبنها من حيث لا تدري في حضورها ورواحها حتى تأكدوا من صدق حديثها ، وسلامة طريقها ، وبعدها عن أي تسكع أو انحراف .

وأعـانني الله تعـالى فاخترت من الأسر المصرية وغير المصرية التي تواصلت معهم ، واكتفيت بمصاحبة من تميز بالحسن في القول ، والاستقامة في السلوك، والتمسك بمنهج الله تعالى ، وسير الصالحين ، فأخذ أبنائي من أبنائهم حسن التربية ، وشاركت زوجتي زوجاتهم ، وأخذت العلم النافع ، والسلوك القويم ، وحب الخير، والأمل في المستقبل، والعمل الجاد في الطريق إلى الله تعالى وأشهد أني تعلمت من هذه الأسر قبل أولادي .

والحمد لله أن وضعني في هذا الموضع الكريم .

الدرس الثاني
وضوح المنهج والاستقامة عليه

يتميز الإنسان بالعقل، وبه يفهم ويدرك ، ويقرر، ويحكم، ويسود سائر الموجودات، ويستخدمها لمصلحته، ولا يصح له أن يعيش دنياه بلا غاية ولا هدف، لأنه بذلك يلغي إنسانيته، ويتحول إلى حيوان أعجم يأكل، ويشرب، ويتناسل كسائر الهوام والحشرات .

وقد أكرم الله الإنسان، وفضله على كثير ممن خلق ، وأنزل له المنهج القويم ليسير عليه في الدنيا ، ويستقيم حاله في هذا المسار إلى الآخرة ، وجنات النعيم .

وقد عشت الدنيا بأحلامها، ومظاهرها، وغرتني مباهجها وزخارفها، وسيطرت علي حينا من الدهر، إلا أني اكتشفت الحقيقة ، وهداني الله إلى الصواب ، وهو ضرورة اتباع المنهج الديني كما أنزله الله للناس ، ففيه إشباع لكل حاجات الإنسان ، وفيه تنظيم لكل مصالح الناس ، وفيه صلاح الدنيا والآخرة .

وقد تأكدت من هدي الله ﷻ، وصدق منهجه في أن كل من يبتعد عنه يعود إليه خاسئا وهو حسير.

لقد لعب الشيطان بعقول، ونفوس كثيرين إلا أنهم في نهاية الطريق يرون الخسران والضياع، إن لم يكن في مادياتهم فهو في معنوياتهم ، وصحتهم، وذرياتهم .

- **كم من ظالم** ساد وزاد إلا أنه خرج من الدنيا وهو ملعون من الله والناس ؟ ...
- **وكم من آثم** عزه ماله ، فتعالى على الناس، وتعامل بالربا ، وجمع حوله الغواني والراقصات، واستبد بخيرات الناس ومصائرهم، فلما تقدم العمر به أصابه الخرف ، وصار يهرف بكلام مجنون يضحك الناس عليه ؟ ... والأمثلة كثيرة ...

والعاقل من يهتدي للحق، ويدرك بعقله ضرورة الإيمان، والالتزام بالمنهج الذي أنزله الله للناس، ليسعد في الدنيا والآخرة ، ويرضى بما قسمه الله له .

لقد عشت في مكة بحمد الله تعالى، وحافظت على ديني في حرم

الله تعالى، وأعانني الله ﷻ على أداء كل واجب في عملي، وتجاه أصحابي، وأسرتي .

وأقر بأني ما فكرت في سوء إلا أبعدني الله عنه بفضله ورحمته، فله سبحانه كل الشكر والحمد .

ووصيتي لكل عاقل مسلم اتباع منهج الله ﷻ، فما نزل إلا ليطاع ويكون سببا للفوز والفلاح .

الدرس الثالث
المسلم بين نصيب الدنيا
وابتغاء الدار الآخرة

الإسلام دين الفطرة، فأساسه مركوز في النفس، وتشريعاته تحقق له ما يشبع فكرته، ويرضى كيانه ، ويسعده في الدنيا وفي الآخرة .

إن الله تعالى أنزل للناس المنهج القويم الذي يسعدهم في الدنيا، فأحاط الصغير بالرعاية التامة منذ مولده، وأمر بتربيته على الإسلام، وأباح له التمتع بكل ما في الدنيا في إطار المنهج الإلهي الذي جعل له الأرض مهدا، وسلك له سبلا، وأمره بالعمل، وابتغاء فضل الله تعالى في إطار من العدل، والإحسان حتى لا يقع تضارب بين مصالح الناس.

وأباح للإنسان أن يتمتع بجمال الدنيا في ملبسه، ومسكنه، وحياته، فأمر الله تعالى الناس، وقال لهم : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٣١ .

وأرشد إلى محاسن الوجود التي يعيشها الناس، فقال ﷻ: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ ﴾ (١) ، وقال ﷻ : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤ ﴾ (٢) .

وأنكر سبحانه على من ينكر الجمال، والزينة فقال ﷻ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣٢ ﴾ (٣) .

وشرع الإسلام التمتع بهذه النعم، والمحاسن في إطار خال من التعدي على حقوق الآخرين .

لقد شرع الإسلام للناس ما يحقق لهم الضرورات التي لابد لهم منها، فمن اكتسب مالا، أو وهب له فهو له، ومن أصابه مرض أو فقر أو عاهة فإن المجتمع يكفله، ومن ولد له فعليه أن يحافظ على ولده والمجتمع يساعده .

ومن أراد أن يتزوج فالطريق محدد أمامه .

إن المنهج الإسلامي أباح للإنسان كل شيء، وكل ما حرمه عليه ، أو نهاه عنه فضرره أكثر من نفعه .

إن المنهج الإسلامي محدد المعالم ، واضح الأحكام ، شامل لكل

---

(١) سورة النحل الآية : ٦ .

(٢) سورة الرعد الآية : ٤ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ٣٢ .

حاجات الإنسان، كاف لإرضائه، وتحقيق مصالحه .

ومن روعة المنهج الإسلامي أنه يبيح الشيء أو يأمر به ، ويربطه بأثره ، ونتيجته في الدنيا والآخرة ، يقول الله تعالى : -

- ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ (١)
- ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ (٢) .
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ (٣) .
- ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (٤) .

سأل أحد الشباب مرة : إن كان الإسلام قائما على الاختيار الحر فلم يعذب الله الكافر في الآخرة ؟ ...

قلت له : إن الاختيار ليس هو الاختراع، إنما الاختيار أن تختار بين أمرين، أو أمور معينة، وترضى بأحد هذه الأمور وأنت حر، لأنه ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة محمد الآية : ١٧ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ١٩ .

(٣) سورة الكهف الآيتين : ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤) سورة طه الآيات من ١٢٣ -: ١٢٦

(٥) سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

فإذا ما تبين الرشد، وبان الغي يكون الاختيار بمعنى الرضى بأمر، والسير عليه إلى نهايته ، فمن اختار الإيمان فليتحمل تبعاته في الدنيا ، ويسعد بآثاره في الآخرة، ... ومن رضى بالكفر فليسر في طريقه، ويستسلم للعذاب في الآخرة ... صحيح أن الكافر لا يؤمن بالآخرة ، ولا يصح له أن يسأل عن أمر ينكره .

لقد حاولت في مكة المكرمة أن أعمل للدنيا والآخرة ، فحافظت على الحج في كل عام ماعدا أربع سنوات حضرت خلالها إلى القاهرة ، وأخلصت في الطاعة، واهتممت بتربية أولادي تربية دينية صحيحة، وحرصت على المال أجمعه من مصادر مشروعة، وأنميه في أوجهه المباحة في أعمال عديدة، وأنفقت منه الكثير، ووصلت به أهلي وأقربائي على وجه لائق، وبارك الله تعالى في مالي فكثر، وتضاعف .

وأقر أمام الله ﷻ أني لم ادخل في أموالي مالا محرما أو به شبهة

فليس الزهد أن تكون فقيرا تطلب من الناس، ولكن الزهد أن تجعل المال في يدك لا في قلبك، وأن تستخدمه في سبيل الله، ولا تخزنه وتكتنزه .

ونعم المال الصالح للرجل الصالح، وزيادة المال الصالح زيادة لصلاح صاحبه، وتقواه ...

ليس الغنى عيبا في المسلمين، ولكن العيب أن لا يستفيد به المسلمون.

لقد كان عثمان رضي الله عنه غنيا ، علا عند الله تعالى بغناه، بسبب إنفاقه في سبيل الله تعالى ، ومثله أغنياء المسلمين على مدار التاريخ .

أذكر الله عز وجل وأحمده أن رزقني المال، ووفقني للعطاء، والإنفاق، وخدمة المحتاجين، والفقراء، وبذلك أطعت قوله تعالى : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ (١)

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة القصص الآية : ٧٧ .

-١٧-
العودة إلى كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

عدت إلى القاهرة بعد غياب عنها استمر اثنين وعشرين عاما ، ورغبت في الراحة من المشقة التي عشتها في مكة ، فلم اشتغل بعلم، ولم أفكر في بحث، ولم أذهب إلى الكلية ، ووكلت الأعمال الاقتصادية إلى أبنائي، فقد تخرج محمد، ومحمود وأخذا في العمل الحر، والإشراف على العمل في عمارة النصر، ومعهم إخوتهم، واستمر هذا الحال عامين، واكتفيت بسؤالهم عن نتائج أعمالهم .

وفوجئت بعد العامين بأن أرسل لي الأستاذ الدكتور / حلمي صابر عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة رسولا من قبله يعتب علي عدم حضوري للكلية ، وعدم تقديم طلب لأتعين بها ، وكنت أظن أن التعيين في الكلية مرة أخرى مستحيل بعد أن استقلت منها ، وعشت في جامعة أم القرى هذه المدة الطويلة .

فذهبت إلى الكلية، وقابلت وكيل الكلية الأستاذ الدكتور/ علي عبد العال لمرض فضيلة العميد ، فعتب علي هو الآخر، وطلب مني التقدم بطلب إلى الكلية، وبين لي ضرورة ذلك لما لي من دور في إنشائها، والمحافظة عليها، ومن فضل الله علي أن جميع المسئولين في الكلية من الدفعة الأولى التي قمت باختيارها .

فاستأذنته أن أقابل مدير الجامعة قبل أن أقدم طلبا للكلية، لأني لا أحب أن توافق الكلية على تعييني، وترفض الجامعة – كما كنت أتصور– .

وذهبت إلى مدير الجامعة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ، وأخبرته برغبتي في العودة إلى العمل بكلية الدعوة الإسلامية، فهل يوافق فضيلته ؟...

فرد علي ردا جميلا، وقال لي: لو كان القانون بيدي لأصدرت تكليفا لك للعمل بالكلية الآن، إلا أن شيخ الأزهر فضيلة الشيخ / محمد سيد طنطاوي قرر عدم قبول العائدين إلى كلياتهم السابقة إلا كأساتذة غير متفرغين .

فقلت له: لا يهمني أن أكون متفرغا أو غير متفرغ ، فعرفني بأنه موافق على عملي في الكلية .

فرجعت إلى الكلية وقدمت لها طلبا للتعيين في وظيفة أستاذ غير متفرغ ، فوافق مجلس الكلية على طلبي، ورفعه إلى مجلس الجامعة ، فوافق هو الآخر ، وصدر قرار من مدير الجامعة بتعييني أستاذا غير متفرغ بكلية الدعوة الإسلامية بعد تقديم الطلب بشهر تقريبا .

ورجعت إلى الكلية، وكلفني قسم الدعوة بتدريس مادة "دعوة الرسل " فقمت بتأليف كتاب في المقرر أتممته في عامين دراسيين ، فلقى قبولا واسعا عند الطلبة، وعند من اطلع عليه من العلماء والدارسين ... فأخذت أهتم بالقراءة، والبحث، والتأليف لأعوض الوقت الطويل الذي توقفت فيه عن الكتابة، وفرغت نفسي تماما للتأليف ، والعمل في الكلية، وتركت كافة الأمور الاقتصادية والعملية لأولادي بعد أن نشطوا ووفقهم الله فيها، ولم يعد لي دور معهم إلا معرفة العمل، ونتائجه بصورة عامة

وأقر هنا ببرهم بي، فلم يعملوا عملا إلا بعد أخذ رأيي، ولم أطلب أمرا إلا نفذوه كما طلبته منهم، ولم استفسر عن موضوع إلا وعرفوني بالتفاصيل .

وملأت وقتي في البحث والتأليف ، وعملت على تعويض فترة عملي في مكة حيث لم أخرج خلالها إلا كتاب " **الإعلام في الإسلام** " القسم النظري، ولم أكمله بالقسم العملي .

فلما تفرغت للعمل العلمي أعانني الله تعالى على إخراج المؤلفات التالية : -

١- دعوة الرسل إلى الله تعالى .
٢- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي .
٣- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني .
٤- القول الدقيق في سيرة وعصر الصديق ﷺ .
٥- نظم الدرر في سيرة وعصر عمر ﷺ .
٦- حُسن البيان في سيرة وعصر عثمان ﷺ .
٧- القول الجلي في سيرة وعصر علي ﷺ .
٨- موسوعة في الأديان والنحل (دراسة موسوعية للأديان والمذاهب).
٩- الدعوة الإسلامية – أصولها ووسائلها من القرآن الكريم .
١٠- الدعوة الإسلامية في العصر الحديث .
١١- قواعد علم الخطابة وفقه الجمعة والعيدين .
١٢- الخطابة العملية .
١٣- النظام السياسي في الإسلام .

١٤- النظام الاقتصادي في الإسلام .

١٥- النظام الاجتماعي في الشريعة الإسلامية .

١٦- أصول الدعوة الإسلامية .

١٧- عوامل النجاح من خلال تجربة حية ، ونماذج رائدة .

١٨- الرسالة الغراء في تربية الأبناء .

١٩- خيال الروح في زمن الصبا(ديوان شعري كُتب قبل ستين عاما)

٢٠- الإعلام في القرآن الكريم (الجانب النظري) .

٢١- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الأول .

٢٢- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الثاني .

٢٣- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الثالث .

٢٤- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الرابع .

٢٥- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الخامس .

٢٦- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد السادس .

٢٧ – ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد السابع .

٢٨- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الثامن .

٢٩- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد التاسع .

٣٠- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد العاشر .

٣١ – ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الحادي عشر .

٣٢- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الثاني عشر .

٣٣- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الثالث عشر .

٣٤- ركائز القدوة في تفسير الدعوة – المجلد الرابع عشر .

٣٥- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان – الجزء الأول .

٣٦- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان – الجزء الثاني

٣٧ – ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء الثالث.

٣٨ – ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان – الجزء الرابع

٣٩- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء الخامس

٤٠- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء السادس

٤١- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء السابع

٤٢- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء الثامن

٤٢- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان- الجزء التاسع

٤٣- المدخل لدراسة النظم – الكتاب الأول في موسوعة النظم الإسلامية-

وأنا سائر على هذا الدرب ومنقطع له ، وسعيد به، وقد قمت بطباعة كل ما كتبته وألفته، وهو الآن بين يد القراء .

وقد ركزت في سائر مؤلفاتي على ربطها بالدعوة الإسلامية ، واستخراج الدروس والعبر المستفادة لأركان الدعوة الإسلامية ، ووضعت هذه الدروس تحت عنوان " **ركائز الدعوة** " وهذا عمل بارز في سائر مؤلفاتي .

إن الله سبحانه وتعالى بعث رسوله ﷺ للناس ليبلغهم الإسلام كما جاءه من عند الله تعالى، وسماه داعيا إلى الله، فقال ﷻ : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (١)، وأعطاه جمال الأسلوب، وحسن

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٤٦ .

العبارة، ودقة المعاني في نظم معجز كريم نزل الوحي به ، فكان رسول الله ﷺ أسوة لأصحابه، وأتباعهم ، ولسائر الدعاة في كل مكان وزمان .

فلا غرابة في الاقتداء برسول الله ﷺ ، الداعي بإذن الله في منهجية الدعوة إلى الله تعالى .

لقد حاولت إبراز ركائز الدعوة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وسير الأنبياء والصالحين لتوضح بمجموعها أركان الدعوة الإسلامية .

فهي مرة تتناول موضوع الدعوة .

وأخرى تتحدث عن صفات الدعاة .

وثالثة عن أسلوب الدعوة ووسائلها ، وكيفية تأثيرها في الجماهير .

ورابعة تتحدث عن مقاصد الدعوة وهي تدعو الناس إلى الإسلام بما فيه من تشريعات كاملة تحقق الخير في الدنيا وفي الآخرة .

ولم أبتعد فيما كتبت عن تخصصي في العلوم الإسلامية ، فقد رجوت من كتاباتي إبراز قيمة الدعوة ، واستخلاص منهجيتها من المؤلفات القديمة، وتراث الأوائل لإثبات استقلالية تخصص الدعوة، وتميزه عن التخصصات الأخرى .

صحيح أني أتمنى أن يصير كل مسلم داعيا إلى الله تعالى ، وكل مسلمة داعية إلى الله تعالى ، لأن هذه الأمنية جزء من إيمان كل مؤمن .

ولهذا

حاولت إبراز ركائز الدعوة في كل كتاباتي، لتكون زادا لكل مسلم وهو يدعو غيره بقدر استطاعته .

(فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته) (١) ، وسيسأل الله تعالى كل إنسان يوم القيامة **(عن علمه ما فعل به)** (٢) .

إني أرجو براءة ذمتي فيما كتبت ، وفيما عملت ، وفيما أنا فيه من حب للدعوة قولا، وعملا، وتأليفا والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل، ونعم النصير .

إن العمل في كلية الدعوة الإسلامية شرف أعتز به ، وأدعو إخواني للاهتمام به لتخريج جيل من الدعاة الفاهمين المخلصين لمواجهة هجمات خصوم الإسلام في الداخل والخارج.

تحتاج كلية الدعوة الإسلامية إلى جهد كل الأساتذة العاملين بها، لإظهار علوم الدعوة في مؤلفاتهم، والتذكير بالإسلام في أقوالهم، ومحاضراتهم، وأحاديثهم ، وبخاصة بعد أن قعد الكثير من العلماء عن مساندة الحق، والدعوة إليه .

على أستاذ الدعوة أن يعد عمله جهادا في سبيل الله تعالى ، فقد سدت منافذ النشر والتوزيع العام ، ولم يبق أمام الأساتذة إلا المحاضرة المتقنة يربون بها طلبتهم ، فهم عماد الدعوة، وأملها في المستقبل .

---

(١)صحيح البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون، باب العبد راع في مال سيده، حديث : ٢٣٠٠

(٢) سنن الدارمي – باب من كره الشهرة والمعرفة، حديث : ٥٥٨

إن منهج حياتي اليوم هو الذهاب إلى الكلية مرتين أسبوعيا، وبقية الأيام أقضيها في البيت ، أنام حين يأتيني النوم ليلا أو نهارا، وإذا استيقظت أواصل القراءة والكتابة مع طعام أتزود به ، وصلاة أقيمها، وواجبات أقوم بها مع الناس .

وقد عملت على طبع ما أكتبه أولا بأول ، وأقدمه للناس، وقد شجعني على ذلك حسن استقبال الناس لمؤلفاتي ، .... وأنا عاكف على هذا المنهج بعون الله تعالى، وسأستمر عليه إلى أن يشاء الله .

وهنا أحب أن أشير إلى بعض الحقائق الهامة التي اكتشفتها في حياتي العلمية والعملية، ... ومنها : -

١- **تتابع البحث**، والاستمرار في القراءة يولد أفكارا عديدة .

٢- **أستاذ الجامعة باحث في مجال تخصصه**، وعليه مداومة الدراسة، والبحث تحقيقا لذاته، وإثباتا لدوره .

٣- **مداومة البحث والدراسة تؤدي إلى التركيز الذهني**، واليقظة العقلية، فقد جربت في عمري هذا وأدركت إني حين أكسل عن العمل والمذاكرة يقل تفكيري، وأشعر بنوع من الخرف والهذيان، وحين أقرأ وأفكر تتوالد الأفكار، وأصل لمعارف جديدة من خلال التركيز، والتأمل .

ولذلك أوصي باستمرار البحث والتأليف ليبقى للعقل توهجه، وتحيا النفس بما علمت وعملت .

٤- **العمل العلمي مجال موجود لتربية طلاب الدعوة** ، ولذلك صار واجبا على الأساتذة القيام به، والمحافظة عليه طاعة لله تعالى، وخدمة لدينة الحنيف .

٥- **على العالم المسلم أن يدعو غيره بعلمه**، وفهمه، وعمله، وسلوكه، وأن يجتهد في ذلك طوال حياته .

٦- **يحتاج الإسلام إلى رجال ينصرونه** بعلمهم، وأعمالهم، وأخلاقهم، وعلماء الدعوة جزء رئيسي في الانتصار لدين الله تعالى، يقول الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ ﴾ (١)

---

(١) سورة الأنفال الآيتين : ٦٢ ، ٦٣ .

-١٨-
الحياة في القاهرة

لله در أيام عشتها في مكة المكرمة، مكنني الله تعالى خلالها من أداء الواجب على أكمل وجه، وأحسنه في سائر المسئوليات، ولم أر في حياتي ما يبعدني عن هذا الواجب، فلم أغادر البيت بعد الثانية ظهرا إلا للصلاة، أو للذهاب مع الأسرة إلى الحرم الشريف ، ومكثت بين أولادي طول الوقت ، أخدمهم، وأدرس لهم، ولا أبتعد عنهم إلا فترة تحضير الدروس التي تستغرق وقتا قصيرا .

فلما رجعت إلى مصر تغير الحال تغيرا كليا، فقد كبر الأبناء ، وانتسبوا للجامعات، ولم أعد أستطيع متابعاتهم، وكثرت الأعمال فأوكلتها إلى الأبناء، ... ولم يعد لي من عمل في اقتصاد الأسرة إلا الإشراف العام، والتوجيه من بعيد .

ورجعت إلى الكلية، ونشطت في الدراسة، والبحث، وحرصت على تعويض المدة السابقة التي خلت من الكتابة والتأليف، وأخذت الحياة في القاهرة شكلا جديدا مختلفا عن الحياة في مكة بصور عديدة .

لقد كنت في مكة محاطا بالاحترام والتقدير، إن قابلني أحد أولياء الأمور ، أو تعاملت مع الكلية أو القسم، إلا أنني في مصر بدأت أرى من الناس تصرفات غير سوية أعانني الله فيها، وعوضني كثيرا عما كان يضيع مني .

وفي مكة كنت أقوم بالعمل كله، و في مصر بعدت عن مشاكل العمل اليومية، وتركتها للأولاد، وتفرغت للعبادة، والبحث، والدراسة راجيا

من الله تعالى التوفيق والسداد ....

وفي مكة كان منهج النشاط اليومي محدد المعالم، فقد وزعته بين الجامعة، والأولاد، والأسرة أما في مصر فقد كبر الأولاد ، وانتسبوا للجامعات، ولم أعد استطيع متابعة دروسهم، وصار لهم أصحاب، وأصدقاء لا أعرف كثيرا منهم فاكتفيت بالنصح والتوجيه من بعيد، .... وكنت أكثر ملازمة لمحمد لأنه كان يدير الحركة الاقتصادية مع محمود ، ويوجه أخوته عندما يحتاج لشيء منهم .

حاول محمد مواصلة الدراسات العليا، وتسجيل رسالة الماجستير في التحاليل الطبية ، إلا أنه انصرف منها بعد أن قطع شوطا فيها لكثرة العراقيل التي صادفها فيها .

وأيضا فإني في مكة لم اشتغل بالتأليف والكتابة ، لكني في مصر أحببت أن أعوض ما فاتني فاهتممت بالتأليف ، والكتابة، بدءا من العام الثاني بعد الألفين للميلاد (٢٠٠٢م) ، وأنا الآن مواظب على هذا ، وأسال الله تعالى أن يعينني في هذا الطريق، ويبصرني بالحق، ويضعني خادما للإسلام والمسلمين ما حييت .

وفي مكة كان نشاطي الخارجي منحصرا في القضايا العلمية، وكان الإخوة السعوديين يتحملون مشاق الدعوة ، ويحرصون على نجاحهم، وكنت معهم في هذا ...

أما في مصر فلم يعد الأمر منحصرا في المجال العلمي كما تمنيت فقد وقعت أحداث أخذتني إليها ، **وأهمها ما حدث عند بيع الدور الأرضي في عمارة النصر** .

فقد بدا الأبناء وعلى رأسهم محمد في بيع الشقق السكنية، والمحلات ، وغيرها في العمارات التي بنينها والتي سنبنيها، ومنها الدور الأرضي بعمارة النصر .

فقد جاءهم مشتر واشتراه بسعر حسن، بلا مناقشة أو مراجعة، ودفع لهم مقدم الثمن ، وأخذ في إعداده "**مطعما للكباب والكفتة**" بمستوى راق ، وطلب من أولادي أن يسكن في شقة كانت خالية في الدور الأول مؤقتا ليتمكن من متابعة تشطيب المطعم ، وتشوين حاجاته في البدروم إلى أن ينتهي من التشطيب ، فاستجاب الأبناء لطلبه ، وسلموه مفتاح الشقة والبدروم ليستغلهما فترة ويعيدهما بعد افتتاح المطعم، فقد تعامل معهم عند الشراء بخلق حسن .

إلا أنه تغير تغيرا كليا بعد ذلك ، فعلق لافتة كبيرة للمطعم على شرفة الدور الأول، ورفع علينا عددا من القضايا، أحدها بخيانة الأمانة مدعيا أنه دفع ثمن الشقة ولم نكتب له عقدا ، وأخرى طالب بإعادة تسعير المطعم بعد أن اكتشف مبالغة في السعر الذي اشترى به .

وأخذت قضاياه تأخذ مسارها بعضها في محكمة مدينة نصر، وبعضها في محاكم بور سعيد فهي موطنه .

وحاول الأولاد التصدي له، فقاموا بإزالة اللافتة التي أقامها على شرفة الشقة وكسروها، فرفع عليهم قضية بلطجة، ومعه شهود على ذلك ، فتأزم الوضع ، وأصدر قاضي المحكمة أحكاما بالسجن على الأولاد غيابيا من أول جلسة ، اعتمادا على تقرير المباحث ، وشهادة الشهود

الذين رأوا الأولاد وهم يقومون بتكسير اللافتة وإزالتها .

واستأنفنا الحكم الذي لابد من حضور المستأنفين أمام القاضي عند نظر الاستئناف لينفذوا الحكم إذا لم يقبل القاضي استئنافهم .

وعشنا في حيرة شديدة، لأن الأولاد فعلا كسروا اللافتة، والشهود موجودون، وتقرير المباحث يؤكد ما حدث، وفكرت إنقاذا لأولادي من السجن والمهانة أن أتنازل للرجل، وأعطيه ما رغب فيه، وذلك بإعطائه الشقة مجانا، والتنازل له عن نصف ثمن الأرض التي اشتراها، وتسليمه نصف البدروم، والعوض على الله تعالى ، فأولادي صغار، وسجنهم جميعا، ووضع صغارهم في سجن الأحداث يضيع حياتهم ومستقبلهم ، ويسيء إلى الأسرة كلها عند الناس ....

إلا أن الله تعالى قدر لنا غير ما كنا نفكر فيه، وتبدل الأمر تبدلا كليا والحمد لله رب العالمين .

فقد حدث أن أحد المواطنين اشتكى قاضي المحكمة التي تنظر القضية إلى الرقابة الإدارية ، واتهمه بقبول رشوة للحكم ضده، ... وأخذت الرقابة الإدارية في مراقبة هذا القاضي ، فاكتشفت من حيث لا ندري قضية أخطر من موضوع الشكوى، **وهي قضية أولادي،** فقد اكتشفوا تلاعب القاضي مع الذي اشترى الأرض منا، وسجلت عددا من الوقائع بالصوت والصورة فيها ، وأصدرت أمرا بالقبض على القاضي، وعلى مشتري الأرض، وعلى كل من اشترك معهم من المحامين،

والمساعدين، ... وتم القبض عليهم في ساعة واحدة أينما وجدوا .... **وظهرت الحقيقة .**

فأرسل المشتري من محبسه من يدعونا إلى الصلح ، ويدعونا إلى إغلاق ملف القضايا كلها ، وكنا قد بدأنا في رفع قضايا ضده بالتزوير، فأخبرنا من جاءنا باستعدادنا للصلح على أساس المحافظة على كافة الحقوق، والبعد عن الأكاذيب، وذلك يتم بما يلي : –

أولاً : يقوم المشتري بتسديد باقي الثمن كاملا .

ثانياً : تسليم الشقة التي يسكن فيها في مدة أسبوع على الأكثر .

ثالثاً : يقوم بإخلاء البدروم وتسليمه مع الشقة .

رابعاً : يقدم إقرارا مكتوبا يقر فيه بأنه لم يشتر الشقة والبدروم، وأنه لم يدفع لهما مالا قط .

خامساً : أن يكتب اعتذارا ويسجله عن اتهامنا بالخيانة في بيع الشقة والبدروم له ؟

سادساً : التنازل عن جميع القضايا المرفوعة منه أو منا .

فوافق على كل هذه الشروط، ونفذها كلها، وتم الصلح، وقدم كل منا إقرارا بذلك إلى قسم الشرطة، وانتهت هذه الأزمة.

وأحب هنا أن أؤكد أننا لم نتصل أبدا بالرقابة الإدارية ، وفوجئنا بدورها، وأن الفرج جاء من الله تعالى، والحمد لله، والشكر له تعالى على ما قضى وقدر .

والحمد لله رب العالمين

-١٩-
الموجز

تشير ذكرياتي التي كتبتها إلى قصة حياتي التي بدأتها في القرية، وأنا اليوم مع أولادي في القاهرة ، وفيها بيان موجز يؤكد الحقائق التالية

أولا : الأمر كله بيد الله تعالى ، يصرفه كما يشاء، ولا يمكن لعقل الادعاء بتحكمه في أي أمر يتصل به ، ومعرفة نتيجته عند بدايته ، وما أصابني في حياتي يؤكد ذلك .

ثانياً : الإنسان عبد محدود، وعليه أن يعمل ويجتهد، وخير له أن يسلم أمره لله تعالى يدبره، ويحكم له ، وهو خير الحاكمين .

ثالثاً : الإنسان مخلوق حادث ، محدود، عاجز، وجد بعد عدم ، ولا يمكنه اختراق حجب الغيب من حوله، وعاجز عن تحديد مستقبله ، ودفع السوء عنه، والاعتراف بذلك واجب على الإنسان ليؤمن بالحقيقة الثابتة، وهي الإيمان بالله تعالى القوي القدير .

رابعاً: كل الشواهد والدلائل تثبت وجود موجد للكون بما فيه من مخلوقات، وهو الله تعالى .

وحياتي في جملتها تدور في فلك عبد عرف مقام سيده الذي أكرمه، وفضله، وتحتم ضرورة استمرار هذا العبد في الخضوع والطاعة لسيده العظيم ، وهو الله رب العالمين .

وأقر في نهاية ذكرياتي بكل رضى بأني عبد لربي ، خلقني ، ورزقني، وأعانني ، ووفقني ، .... وأسأله سبحانه أن يديم على نعمه، ويستمر عطاؤه ، وأن يتولى أمري كله فهو نعم المولى، ونعم النصير .

- ٢٠ -
الأمل

ويمضي الزمن، ويسير كل إنسان لأجله ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (١) .

ويبقى الأمل في الله تعالى ، وأسأله سبحانه :

- أن يحيني ما دامت الحياة خيرا لي، وأن يأخذني إليه إذا كان الموت خيرا لي .
- أن يقبضني إليه وأنا متمتع بصحتي، وعافيتي .
- وأن يتقبلني عنده بقبول حسن .
- وأن يبارك في ذريتي وأولادي .
- وأن يكافئ كل من ساعدني في عملي وعلمي بصفاء وإحسان .
- وأن يختم لي بخاتمة الحسنى .
- وأن يجعل آخرتي خيرا من دنياي .
- وأن يرد عني خصومة الضالين .
- وأن يديم فضله على ما حييت .

فهو حسبي ونعم الوكيل

---

(١) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

ـ ٢١ ـ
كلمة في الختام

أحمد الله تعالى أن أعانني على كتابة هذه الذكريات، وجعلني أعي أحداثها كما وقعت، وأنسى ما لم أتذكره.

وفي الختام أحب تسجيل بعض الملاحظات :

أولاً : لم أقصد بأي حدث ذكرته الإشارة إلى مقصد من شاركني فيه، لأن المقاصد نوايا قلبية لا يعلمها إلا الله تعالى ، وإني أقص الحدث كما وقع، وما خفي لا دخل لي به، ولا أدعي علمه فهو عند الله العليم الخبير .

ثانياً: ألتمس العذر لكل من كان له موقف أختلف فيه معي، وأتصور له سببا، أو أسبابا تجعله صاحب حق في موقفه، ولا لوم عليه مني .

ثالثاً: من الضروري حمل كافة أحداث هذه الذكريات على ظاهرها وقت حدوثها، وعدم التعليق عليها أو استنتاج أمور تتعلق بها ، فقد انتهت تماما، وحدث ما حدث فيها، ولم يعد لها في النفس ارتباط ، وحافظ العقل عليها لتذكرها، والاستفادة بها كتجارب شخصية ذات دلالات عديدة تفيد المسار الإنساني بصورة عامة .

رابعاً: أتمنى من هذه الذكريات تحقيق أمورا عدة في جوانب عدة .

أتمنى من أولادي أن يحيطوا بالمسار الذي عشت فيه، ويروا رحمة الله بي، وعونه ﷻ لي، وتوفيقه معي في صحتي، وعملي، وعلمي، ونجاحي، وكسبي، ... ليستمر إيمانهم بالله المعطي، فكل ما أنا وما هم فيه قدر إلهي خالص، فلقد خصني الله تعالى بالعمل الدءوب، والجهد

المستمر منذ صغري، والحاجة إليه في كل موقف، ووفقني للتعلم، وفتح لي أبواب الخير كما يشاء، ... فلما بدأت حياة العلم تفتحت أبواب فضل الله على سعتها، ... فأديت الواجب كما هو مطلوب ، وربحت المال وأنا لا ادري ، وباشرت الأعمال الاقتصادية والأسرية ، والعلمية بكفاءة يشهد لها الواقع الذي مضى ، وآثاره في الحاضر المشاهد .

وأتمنى من أولادي أن يعيشوا هذه الحقائق، ويستمروا على استقامتهم الدينية والخلقية، ويحافظوا على حقوق الله، وحقوق الناس.

وأن يربوا أولادهم على الإسلام ليستمر فضل الله عليهم، ويبارك لهم في كل ما يملكونه ويزيد .

وأتمنى من أبناء بلدي " منية مسير " أن يحافظوا على حق بلدهم عليهم، ويساهموا في نهضتها، ويتماسكوا ويتحدوا على الخير والمصلحة ويعلموا أن الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم

وأتمنى لمنتسبي كلية الدعوة الإسلامية أن يراقبوا الله تعالى في عملهم، فهم في مسجد من مساجد الله، وأداء الواجب فيه ضرورة دينية، ولا يصح أن يوكل إليهم شأن إسلامي ويفرطوا في واجبه .

إن القيام بالواجب في كلية الدعوة الإسلامية دعوة لدين الله تعالى ، وأثرها ممتد في العالم الإسلامي كله امتداد خريجيها ومبعوثيها .

وأتمنى من كل قارئ لهذه الذكريات أن يدعو لي بظاهر الغيب، فأنا محتاج إلى دعواتهم جميعا ، وعسى أن يستجيب الله تعالى دعاءهم .

خامساً: أتصور عدم حاجتي لكتابة ذكريات أخرى ، فقد شاخ عمري، وانحصر جهدي في العلم والتعلم ، فأنا أقيم فرائض الله تعالى، وأجلس للقراءة والكتابة، فإذا اعتراني تعب أستريح، وإذا رغبت في النوم أنام ، فإذا استرحت واستيقظت أعود للقراءة والكتابة ، .... وهكذا يسير حالي ليلا ونهارا ، .... ولا أخرج من مكمني ومنهجي إلا إلى كلية الدعوة الإسلامية، ويزورني أولادي فرادى طوال الأسبوع، ومتجمعين مع زوجاتهم وأولادهم مساء يوم الخميس، ولا صلة لي بالعمل الاقتصادي الاستثماري إلا معرفة النتيجة بصورة إجمالية، ولا أذهب لزيارة الأهل والمزرعة إلا ثلاث مرات تقريبا في العام .

ولا تخرج حياتي عن هذا المنهج ، وليس لي ذكريات فيه .

وأخيرا :

استودع الله كل من عاشرت وعايشت الدين، والأمانة، والعمل الصالح، والدعاء بظاهر الغيب.

والله ولي التوفيق .

كان الانتهاء من كتابة هذه الذكريات في فجر يوم الخميس الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٤٣٨ هـ، الموافق أول ديسمبر سنة ٢٠١٦م.

والحمد لله رب العالمين

......***

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
١- القرية	١٣
٢- العائلة	٢٨
٣- الميلاد	٣٥
٤- النشأة الأولى	٤٠
٥- في رحاب معهد كفر الشيخ الديني	٦١
٦- في رحاب معهد طنطا الثانوي	٨٢
٧- وقفة على أبواب الجامعة	١٠٢
٨- في رحاب كلية أصول الدين	١٠٩
٩- مشاكل ما بعد التخرج	١١٨
١٠- مرحلة الدراسات العليا	١٢٢
١١- وصرت معيدا بالجامعة	١٢٩
١٢- الحصول على الدكتوراه.....	١٣٨
١٣- وصرت مدرسا في قسم الدعوة، ومعارا لجامعة الملك سعود بالرياض.....	١٤٥
١٤- رئاسة قسم الدعوة بكلية أصول الدين بالقاهرة	١٦١
١٥- إنشاء كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ودوري معها	١٦٤
١٦- في رحاب مكة المكرمة.....	١٨١
١٧- العودة إلى كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة	٢٢٧
١٨- الحياة في القاهرة	٢٣٦

١٩- الموجز.....	٢٤١
٢٠ – الأمل	٢٤٢
كلمة في الختام	٢٤٣
فهرس الموضوعات	٢٤٦

تم بحمد الله وحسن توفيقه